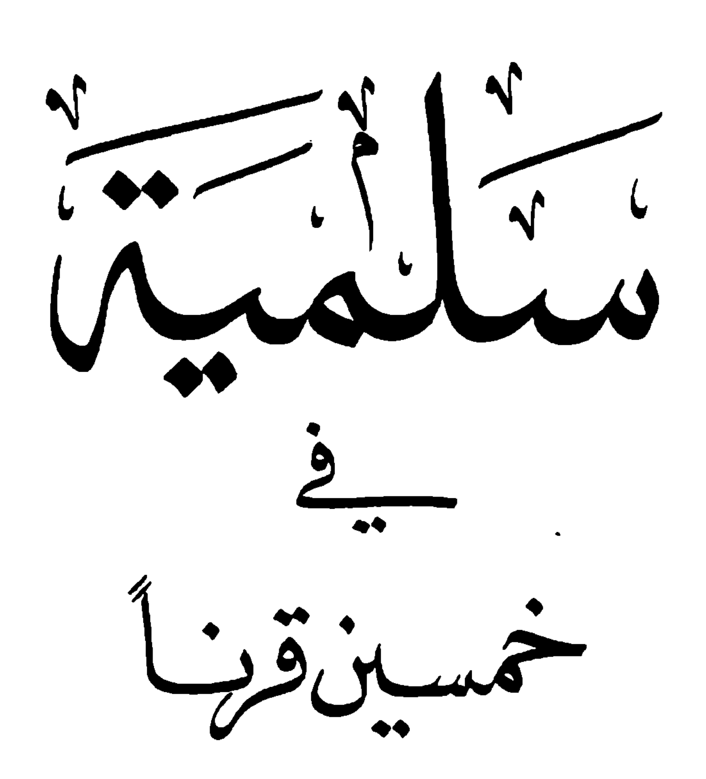

سلمية
في خمسين قرناً
مدونة أبو عبدو
سحب وتعديل جمال حتمل
تأليف محمود أمين


سَلَمِيَّة



تأليف
محمود أمين

مقدمة

لكم تنتابني الذكرى ، ذكرى الأيام الخالية ، عندما كنا في مدارج الطفولة نخرج لنمرح في ربوع وفسحات بلادنا الجميلة ، فتطالعنا العاديات المنتشرة هنا وهناك ، ونقف عاجزين لا نستطيع أن نتبين أسباب هذه العاديات وملامحها ، وكأن الأمر قد غدا ملحاً الحاحاً يزداد مع نمونا الجسمي والفكري والنفسي ، وبالأخص عندما غدت هذه العاديات ذات مظهر أكبر كتلك التلال المنتشرة بأنواعها أو قلعة شميميس أو الأقنية أو بقايا خرب كثيرة .

كان السؤال الذي يتردد دائماً ماهي وكيف ومتى ... ؟ ويتيه السؤال دون جواب في فراغ العجز والقصور عن الاجابة في وأحيانا نضيع بين التأويلات والتفسيرات والتكهنات ولكن دون الحقيقة : هذه المشاعر دفعتني بشعور من المسؤولية أن أعرّف الناس عن ملامح الحضارة في ربوع التصقنا فيها التصاقة الحياة : وهذا الشعور وحده خلق الرغبة في البحث عن معرفة المجهول التائه في معارفنا .

ولما بدأنا الاستطلاع والتقصي كانت الصدمة عنيفة ، اذ لا مصادر ولا تحقيقات وتحديات ولا أثرية ولا تاريخية ، لكن لماما من أمل ؟ أيقظت روح العناد على البحث ، ذلك أن لسلمية ذكرا متناثرا في صفحات بعض المصادر العربية التي بحثت بشكل عام أحداث بلاد الشام والشرق الأوسط بأكمله جاء هذا الذكر بسببين :

١ ـ أهمية سلمية من حيث الموقع التجاري بين شطري بلاد الهلال الخصيب.
٢ ـ أهمية سلمية من حيث الزراعة المتوفرة الدائمة .

هذان السببان جعلا من سلمية دائمة التجديد عقب كل تدمير يصيبها، مما جعلها ذات فتـوة دائمة ، اذ تغرس قواعدها من الرسوم القديمة في أعماق الأرض ولتظهر جديدة المعالم والمظهر وهكذا تغفو سلمية القديمة في الاعماق اغفاءة الموت لتعيش سلمية المتجددة يافعة الشباب وغضة الاهاب.

ونتيجة للبحث والتقصي تبين أن بعض الرواد من البـاحثين زاروا سلمية الحديثة واستطلعوا بعض آثارها القديمة وكان منهم :

المستر (هارتمن) الذي زارها في مطلع القرن العشرين و (فان برشم) الذي استطلع بعض معالمها عام ١٩١٢م ، كما درس بعض أحوالها الاستاذ (نورمان نويس) والسيدة زوجته بين عامي ١٩٤٦م و ١٩٤٨ م ، اذ كتب عن المجتمع السلمي والبدو المتعايشين جميعا في حوضه سلمية ،وقـد درس فيما بين عامي ١٩٢٠ ، ١٩٣٢م المهندس الزراعي الاستاذ وصفي زكريا سلمية دراسة مستفيضة نشرها في مجالين هما :

١ ــ في ثلاثة أعداد من مجلة الانسانية وهي الاعداد العاشر والحادي عشر والثاني عشر حتى عام ١٩٣٣ م الصادرة في بيروت .

٢ ــ في كتابه جولة أثرية في ربوع البلاد الشامية .

كما أولى الاستاذ كامل شحادة دراسة حثيثة عن قناة العاشق التي لها أهمية لكونها تروي أفامية وينابيعها من حوضه سلمية .

أما وجـود هذا الكتاب فيعود لمحاضرة بسيطة يقظت الاحساس بالبحث المستفيض حتى تم انجـاز هذا الكتاب ، وقد تشعبت الدراسة في مواضيع عديدة هي :

١ ــ بحث أصول الاسر القاطنة سلمية الحديثـة وأماكن سكناها ومصادر وفودها الى سلمية .

٢ ــ بحث عادات السلميين وعلاقاتهم مع مجاوريهم .

٣ ــ بحث الجذور القديمة للمجتمع السلمي والمتصلة بتاريخ الاسماعيليين في بلاد الشــام •

هذه الدراسات التي أصبحت الآن مشاريع لكتب ستصدر تباعا بعد انجازها النهائي • وقــد اعتمدنا في دراستنا لتاريخ سلمية على مصادر عديدة بلغت ثلاثــة وهي :

آ ــ دراسات أثرية على الطبيعة أو مادرسته مديريتا الآثار في حماة وحمص والحولية التاريخية •

ب ــ مصادر مكتوبة كانت صعبة المنال لأنها متناثرة في زحام كبير من الكتب المتوفرة وغير المتوفرة أحيانا •

حـ ــ مصادر مسموعة معتمدين على عدد كبير من المعمرين في منطقــة سلمية وخارجها وقــد صنفنا الكتاب على النحو التالي :

١ ــ فصلان يبحثان عن سلمية قبــل الفتح الاسلامي •

٢ ــ سلمية الاسلامية حتى تهديم تيمورلنك •

٣ ــ سلمية الحديثة •

٤ ــ امتداد الاعمار الى ريف سلمية •

٥ ــ دراسات متنوعة في المجتمع السلمي •

ونحن في صدد التكلم عن تاريخ سلمية لا بد أن نذكر بالشكر والوفاء هؤلاء الجنود المجهولين الذين كان لهم اليد الطولى في اخراج هذا المؤلف ، إذ كانوا بحق دائم الفعالية وراء كل كلمة وسطر وموضوع يحتويه هــذا الكتاب ، ولئن لم يتسن لي ذكرهم فرادى فلهم بما قصدته بـ (كلمة الجندي المجهــول) خير دليل عن عمق فعاليتهم المشكورة من الأعماق •

آمل أن أكون قد وفيت البحث عن سلمية واستبيح العــذر عن خطأ وقــع سهواً •

والمولى من وراء القصد

سلمية ١١/تموز/١٩٨٣ المؤلف

محمــود أمين

الموقع الجغرافي لسلمية

تقع سلمية في وسط سورية في الجهة الأميـل الى الغـرب عن طـرف بادية الشام ويحدد خط العرض ٣٥° شمالي خط الاستواء وخط الطول ٣٧° شرقي غرينوتش موقعهـا بالنسبة للشـرق الأوسط ككل ، وهي تتوسط حوضه حدودها سلاسل جبلية وهضاب ومرتفعـات متباينة في ارتفاعهـا ، وتكاد تكون مغلقة إلا من ممر وحيد يتجـه غربا نحو وادي نهر العاصي ، هذا الممر هو قناة التصريف للفائض من مياه هذه الحوضة •

فمن الجنوب تمتد هضبة السطحيات من الغرب متجهـة الى الشرق ، حيث هضاب ومرتفعات جبال الشومريـة •

أما من الشرق فتمتد عرضانيا سلاسل جبليـة ، هي جبـال البلعاس وامتدادها نحو الشمال ، أما من الشمال فتشكل جبال العـلا حاجزاً طبيعيا ممتدا من حدود مدينة حماه وحتى التقاء هذه الجبال شرقا بالمرتفعات الممتدة من جبال البلعاس نحو الشمال • أما من الغرب ، فتشكل مرتفعات الهضبة الكلسية فاصلا يفصلها عن وادي نهر العاصي •

وهكذا تشكل منطقة سلمية حوضه كاملة ترتفع عن سطح البحر بحوالي ٣٨٠م ــ ٤٩٠م ، وهذه الحوضة أميل بسطحها نحو الغـرب ، حيث تزداد ارتفاعا كلما اتجهنا نحو الشـرق ، وتتوسط هذه الحـوضة هضبة متميزة بحوافها المطلة على سلمية المدينة باسم (المنطار) ، بينما تطل على قـرى تل التوت وبري والمفجر باسم مرتفعات (الحمر) وتنكسر هذه الهضبة من جهتها الشمالية مشكلة عددا من الحوضات الفرعية كحوضة السبخة وحوضة قرى عقارب والمبعوجة وصبورة وجدوعة •

أما من الجهة الجنوبية لهذه الهضبة ، فهناك سلاسل من الحوضات الجزئية الصغيرة توضعت على جانب مسيل مياه الفيضانات المتجهة غربا ، ابتداء من جبال البلعاس وحتى مدينة سلمية ، وهذه الحوضات هي حوضة المفجر وحوضة بري وحوضة تل التوت وحوضة تل الشيخ علي وحوضة السبيل ٠

أما جبال البلعاس فتمتد بشكل مرتفعات تتخللها العديد من الأودية الخصيبة متجهة نحو الغرب ، وأشهر هذه الاودية مايتوضع حول الهضبة الوسطى وعلى طرفيها كمجرى السيل المتجه من عقيربات الى المفجر ثم بري ثم تل التوت عبر ممر الشيخ علي متجها نحو مدينة سلمية ويشكل هذا المجرى خطرا سلبياً على سلمية باستمرار ٠

أما الوادي الثاني فهو يتجه عبر ممر قرية الشيخ هلال ثم قرية العلباوي ثم قرية ثقيلة الى المبعوجة فصبورة ثم جدوعة مارا بقرية تل سنان وينتهي في حوضة السبخة ٠ والتي تتصل بممر التصريف من شرقي جبل الخضروقلعة شميميس ، حيث تلتقي بمجرى عين الزرقا ويصبح هذا المجرى جزءاً متحداً مع مجرى التصريف المتجه نحو نهر العاصي غرباً عبر قرية تل درة والكافات، ويلتقي بنهر العاصي قرب زور السوس ٠

ومن المميز لحوضة سلمية أنها مفتوحة بمرتفعات سهلة العبور نحو الجنوب الى حمص أو نحو الشمال الى منطقة الحمرا وقصر ابن وردان والأندرين ، وكذلك يمكن سلوك الاودية في جبال البلعاس حيث يظهر ممران هامان هما طريق سلمية ــ تدمر وممر سلمية ــ أسرية نحو حوض الفرات الشمالي ٠

وهكذا لم تكن هذه الحوضة طيلة العهود التاريخية منفصلة عن جوارها، بل كانت تشكل مطمعا لخصبها لدى قبائل البدو ، مما سبب الخصومات والاقتتال بين فئات عديدة من البدو الرحل ٠

كما كانت سلمية بموقعها تجذب قوافل التجار لأسباب هامة •

أهمها أنها بهذا الموقع قريبة من المعمورة ، ومجاورة للبادية ، لذلك تكون أقرب للالتحام التجاري بين الحضر والبدو ، ومن هنا برزت سلمية مدينة تجارية تعبرها القوافل التي تتحاشى عبور البادية بمرورها حولها خوفا من الأخطار العديدة التي يبعثها عدم استتباب الأمن فكانت سلمية معبرا للقاسدين بلاد الشام من حوض الفرات،وقد اشتهرت هذه هذا الطريق التجاري عبر أحداث للتاريخ ، وآكسب سلمية أهمية جعلها تتجدد في بنائها كلما دمرت •

كما اكتسبت سلمية أهمية كبرى لوقوعها على الطريق الثانية والقادمة من حلب الى سفيرة ثم الأندرين الى قصر ابن وردان حيث تمر في سلمية وبعدها الى (ارسثوزا) الرستن حيث تتجه الى لبنان اليوم أو الى دمشق عبر جبال السلاسل التدمرية والقلمون • ومن هذا العرض تتبين أهمية الموقع مدينة سلمية والطرق المارة فيها عبر أحداث التاريخ المتعاقبة •

توطئـة

ونحن في صدد دراسة تاريخ مدينة سلمية لابد أن نلمح ولو بايجـاز لملاحظات هامة أبداها مدير الآثار في محافظة حمـاه حول بعض الظواهـر الأثرية المتعلقة بمنطقة سلمية ونلخصها بما يلي :

١ ـ اكتشاف بعض العاديات الأثرية مصادفة ، وهي عبارة عن أواني منزليـة وسهام وأدوات حربية تعود برمتهاالى العهد البرونزي ، وقد حدد مدير الآثار زمن هذه العاديات بحوالي ثلاثـة آلاف سنة قبل الميلاد ، ولما لم تدرس هذه العاديات دراسة أثرية ، فقد الزمنا بالتلميح عنهـا •

٢ ـ فسرت مديرية الآثار في محافظـة حماه وجود عدد كبير من المغاور على مشارف مجاري المياه كما في قرية الكافـات وتل درة وضهر المغـر قرب سلمية والمزيرعة وفي قرية تل التوت فسـرت هذه المغاور بأنها كهوف آوى اليها الانسـان القديم الذي لم ندرس بعد ظروف حياته ، وحتى أنه لم تدرس حتى هذه المغاور والتي انتشرت بدقة ان دلت لا تدل الا على أن تواجدها قرب مجاري الانهار أكبر الدلائل على أن حافريها انما عملوا بالزراعة وسيلة للعيش لوجود سهول زراعية قرب الأنهار ومجاري المياه ، ثم أنهم لم يتركوا في هذه الكهوف (المغاور) أي أثر باعتبارها ذات تربة كلسـية حوارية سرعان ما تنفتت بفعل الرطوبة فلا يبقى للأثر أي مظهر •

هاتان الملاحظتان ان فسرتا تفسيرا تاريخيا فانهما تعطيان الآثارالحضارية في منطقة سلمية عمقا زمنيا في التاريخ عبر ماقـد استطعنا تحديده بعهـد مملكـة قطنه العمورية ، ورغـم أن الدراسة الاثرية لم تأخذ بعين الاعتبار والجدية هذه الابحاث في منطقـةسلمية ، فان الدلائل تشير بصراحة ووضوح

تأمين الى العمق الحضاري لمنطقة سلمية ، وهذا متوقع من منطقــةتتوفر فيها الشروط الحضارية بكمال يدفع الى استقطاب الإنسان وتحضره • ولو توفرت هذه الدراسة ، فان المتوقــع أن يكون العمق الحضاري يرافق مظاهر الزراعة في حيــاة الإنسان القديم •

ولقد أردنا من هذا التبويب التلميح الى ملاحظات أبداها مدير الآثار في محافظــة حماه حول العمق الحضاري لمنطقة ســلمية ووادي العاصي باعتبار أن سلمية وحوضتها هما جزءان من حوضة نهر العاصي •

الفصل الأول

سلمية قبل الميلاد

العهد العموري :

مملكة قطنة العمورية

في نهاية الألف الثالث قبل الميلاد توضحت في الشرق العربي قبائل العموريين بعد أن انتشرت في بادية الشام على أرجائها ، ومن ثم اتخذت مواقع ثابتة لها على أطراف الهلال الخصيب الداخلية ، مكونة ثلاث ممالك هي مملكة ماري ومملكة يمحاض ومملكة قطنة .

كانت مملكة ماري على نهر الفرات ، ومملكة يمحاض في موقع قريب من مدينة حلب اليوم ، وأما مملكة قطنة ــ وهي التي تهمنا ــ قد قامت في وسط سورية في موقع قرية المشرفة الواقعة بين حمص وسلمية .

لعبت مملكة قطنة دورا هاما لكونها ذات موقع استراتيجي بين البادية والحاضرة وامتدت حدود هذه المملكة حتى قريتي الضمير والقريتين جنوبا، وحتى الاندرين وسلمية شمالا ، وأما غربا فقد شملت قادس وارشتوزا (الرستن) ، واحتوت كل وادي العاصي وذلك بين عامي ٢٠٠٠ ــ ١٧٠٠ ق.م ، ولقد تعرضت هذه المملكة لهجمات قبائل بدوية عديدة نتيجة لعدم استقرار هذه القبائل وبخاصة بعد عام ١٥٠٠ ق.م ، وقد ذكرت الدراسات أن هذه القبائل كانت هي نفسها التي هاجمت فيما بعد مصر ، وأطلق عليها

اسم الهيكسوس • ولم تستطع هذه القبائل الاستيطان في حوافي بادية الشام لمقاومة البابليين والحوريين والميتانيين والحثيين لها شرقا وشمالا ، لم تستطع ن تتجه غربا لمقاومة الفينيقيين لها ، مما أجبرها على الاتجاه جنوبا ، وقد لاقت من الكنعانيين نفس المقاومة ، فلم يبق أمامها سوى طريق مصر عبر صحراء سيناء ، فدخلتها وأطلق عليها اسم « الهيكسوس » •

تأثرت مملكة قطنة من جراء هجوم الهيكسوس ، ولكن سرعان ما استعادت مكانتها وأهميتها بحيوية كبيرة ، خاصة بما قدمته أرض سلمية التي كانت ضمن ممتلكاتها وبما عرفت به من خيرات وخصب ووفرة في الانتاج الزراعي بدلالة ذلك التناسق بين آثار قطنة المكتشفة وبين ما في بقايا الآثار في حوضة سلمية وبخاصة في مناطق تلول الحمر والجمالة على هضبة السطحيات ، وعلى امتداد مجرى الماء من الكافات وحتى سلمية كخربة الصخر غربي تل درة وخربة خريص ، ولئن لم يظهر في موقع سلمية من آثار هذا العهد لعدم وجود حفريات ، فقد احيطت مدينة سلمية بالآثار العمورية شرقاً وغربا وشمالا وجنوبا •

كانت هذه القرى معرضة للخراب والدمار بشكل دائم ، نظراً لاطماع البدو فيها ولعدم وجود حماية كافية لها ، بينما بقيت مدينة قطنة صامدة ضد غزوات البدو محتمية بسورها العالي الذي كان دائم الترميم والرعاية ، حتى اذا جاءها الهجوم الحثي •

الحثيون ومملكة قطنة :

بدأت مطامع الملك الحثي (شوبيليوما) بالتوسع جنوبا مستغلا ضعف ممالك بلاد الشام وعلى رأسها مملكة يمحاض العمورية التي كانت بداية توسع الحثيين في بلاد الشام ، ثم أعقبها باحتلاله رأس شمرا (أوغاريت) المدينة الفينيقية، وتابع تقدمه جنوباً باتجاه الاندرين وسهول سلمية الشمالية[1]

---

(١) الشرق القديم للدكتور عبد العزيز عثمان بحث التوسع الحثي ص ٣٨٢–٣٨٣

ولما تعداها أصبح الخطر يحيق بقطنه ، كان ذلك حوالي عام ١٣٨٨ ق م ، وكادت قطنه تسقط في يد الملك الحثي لولا وفاته (٥).

الصراع الحثي المصري :

بعد موت شبليوما قام ابنه مرسيل الثاني ، ثم أعقبه ابنه مرسيل موتالي الذي عاصر الملك المصري سيتي الاول الطموح ، فقد قاد سيتي جيشا كبيرا الى سورية،وتقدم بسرعة نحو قادش،الامر الذي أثار الحثيين الذين يعتبرون قادش أرضا لهم،فجرت بين المصريين والحثيين معركة كبيرة ، خسرها الحثيون بانتصار سيتي الاول ، ولكن فرعون مصر المنتصر اضطر أن يعود الى بلاده ، ليرد محاولة ثورية في النوبة جنوبي مصر ، فاستغل الحثيون غياب المصريين وأعادوا قادش الى سلطانهم ، وضمت قطنة الى الحثيين بكل مقاطعاتها ، وفي عام ١٢٩٣ق.م راسل ملوك قطنة فرعون مصر الجديد رعمسيس الثاني لنجدتهم فاستغل رعمسيس موت موتالي الحثي واستلام العرش أولاده الضعاف ،فقاد جيشا كبيرا اقتحم فيه بلاد الشام ، وأمام هذه الاخطار قام ابن أخ موتالي حاتوشيل فاستلم السلطة الحثية باسم حاتوشيل الثالث ، وكان قويا جابه المصريين في معركة كبيرة ، ظهرت قوة المصريين والحثيين المتعادلة ، وخلال المعركة حاول ملك قطنة مساعدة المصريين على الحثيين ، مما دفع الحثيين للانتقام باحراق قطنة وتدميرها تدميرا كاملا ، ويقال أن الحثيين أحرزوا انتصارا على رعمسيس ولكن رعمسيس استعاد قوته مستغلا انصراف جيش حاتوشيل لتدمير مملكة قطنة ونهبها ، فأحرز المصريون انتصارهم الكبير الذي سجله رعمسيس على أعمدة معبد الكرنك في الاقصر ، كما وجدت كتابات على ورق البردي تمجد انتصار هذه المعركة ، ويحدد المؤرخون هذه المعركة بانتهائها بالصلح بين القوتين المصرية والحثية وكتابة أقدم وثيقة تاريخية باللغتين المصرية القديمة والحثية ، وذلك عام / ١٢٩٧ / ق.م في السنة الخامسة لحكم رعمسيس الثاني،وقد وجدت نصوص المعاهدة باللغتين في حفريات مدينة كركميش شمالي سورية وفي تل العمارنة في مصر ، وتنص

هذه المعاهدة أن تكون قطنة للحثيين وقادش للمصريين وتعتبر أول حدود مرسومة بين دولتين كبيرتين في ذلك العهد •

وقد انتهت مملكة قطنة بوقوعها تحت الحكم الحثي الذي أعمل في ممالك العموريين تدميرا كان آخرها تدمير مملكة قطنة التي بقيت خربا مدمرة حتى مجيء القبائل الآرامية •

الآراميون في سورية :

بدأت جموع الآرامين تنتشر في بادية الشام في حوالي ١٥٠٠ قم ، ولم يظهر لهم أي تأثير حتى عام ١٠٠٠ قم ، إذ بدأت قبائل الآرامين تعايش بعض سكان سورية المتحضرين ، مما دفعهم للاستيطان والسكنى مستغلين ضعف الحثيين وانشغالهم في حروبهم مع شعوب البحر الابيض المتوسط وغيرهم منذ عام ١١٨٠ قم في أوغاريت ومناطق أخرى ولما كان فشل الحثيين محتما ، فقد انحسر سلطانهم عن أجزاء عديدة من سورية بدءا من الجنوب الى الشمال ، كان هذا المظهر من الحثيين مشجعا لظهور الآراميين فبرزت الممالك الآرامية في دمشق وعنجر وحماه وفي شمالي سورية كآرام ما بين النهرين وشمأل وفدان ، مما يهمنا الآن هي مملكة حماه الآرامية •

مملكة حماه الآرامية :

أسس هذه المملكة في حماه أحد زعماء الآرامين ، وكان يسمى (زاكير) أو زكريا كما ورد على لسان المستشرق الدينمركي الدكتور (آنتولت) في المجلة الحولية التاريخية في سورية ، و رعان ما امتدت هذه الدولة شرقا وغربا حتى شملت ممتلكاتها حوضة سلمية وما حولها من سهول ، ورافق ظهور الآرامين في سورية بروز قوة أخرى هي القوة الآشورية في شمالي العراق ، وقد اتسمت بالمطامع التوسعية ، وغدت الممالك الآرامية مهددة بشكل دائم وفي وضع خطر من حين لآخر ، وقد تبدى الحكم الآشوري في عهد الملوك •

١ ــ شلمناصر الاول ١٢٤٠ ق‌م[١]

٢ ــ تجلات فلاصر الاول ١٠٤٧ ق‌م

٣ ــ آشور ناصر بعل ٨٥٩ ق‌م

٤ ــ شلمناصر الثالث ٨٥٨ ق‌م

والاخير هو صاحب معركة قرقر الاولى عام ٨٤٤ ق‌م ، حيث انتصر على التحالف الآرامي،ولكن حماه استعصت عليه مما جعله يعود اليها عام ٨٤٠ق‌م ووصلت قواته عام ٨٣٨ ق‌م الى حوران ودرعـــا ، حيث حاصر حزائيل ملك دمشق الآرامي ، بعد أن دمر حماه وما حولها تدميرا مريعا ونال سلميه من جراء ذلك الحظ التعيس .

ولكن الملوك الآشوريين لم يكتفوا فيما بين الرافدين ، فقد ظهر عدد منهم بعد شلمناصر الثالث وقاموا بغزو بلاد الشام ، وقد وصل بعضهم الـــى مصر وكانوا كما يلي :

تجـلات تلاصر الثالث ٧٣٩ ق‌م :

وصل هذا الملك الى حدود مملكة حماة ، ولكنه عاد بعد أن وصــل الى أرض لبنان خوفا من حدوث ثورة عليه في نينوى ، وأعقبه في الحكم .

سرجون الثاني ٧٢٠ ق‌م :

خاض هذا الملك الآشوري معارك شمالي سورية ، ثم اتجه الى الجنوب وفي قرقر حدثت المعركة الثانية ضد الملك الآرامي ياو بعبدي ، حيث فـاز الآشوريون ودمروا حماه للمرة الثانية ، وقطعوا أشجار بساتينها ونال ماحول حماة نفس المصير من التخريب والنهب ، وكانت منطقة سلمية هدفا ولا سيما

---

(١) كتاب الرافدين ــ سيتون لويد ــ تعريب طه باقر وبشير فرانسيس ص ٨٢ وما بعدها .

بعد أن أراد الملك الآشوري العـودة عن طريـق إسرية ـ الرصافة وادي الفـرات [1]

سنحاريب ٧٠٥ ق‌م :

ورد ذكر حملته التي وصلت مصر مجتاحا بلاد كنعان ، ورد ذكر هذه الحملة في التوراة في سفر الملوك عام ٧٠١ق‌م ، وعاد بعدها الى بلاده ، وقد اجتاح في هذه الحملة جميع الممالك الآرامية كان اتجاهه من حلب الى الاندرين فسلمية ـ فحماة الى وسط بلاد الشام •

آشور اخ الدين ٦٧١ ق‌م :

اجتاح هذا الملك الآشوري بلاد الشام أكثر من مرة ، وفي كل حملة كان النصر حليفه رغم أن الآراميين كانوا غالبا ما يقابلونه متحدين بما فيهم ملك حماة ، وقد بلغ في احدى حملاته الى مصر[2] ، بعد أن تـم له اخضاع شعوب بلاد الشام كلها •

آشـور بانـي بعـل ٦٦٨ ق‌م :

سماه اليونان : (آسرنا بالوس) كما أطلق عليه التوراة اسم (أسناير)، تعتبر قوة هذا الملك آخر قوة الآشوريين ، وبسقوطه انهارت دولة آشور وانحسرت اجتياحاتها عبر بلاد الشـام وغيرهـا ، وبزوال سلطة الآشوريين وأخطارهم عن سورية ، بدت بعض البلدان تستعيد حياتها ، وغدت بعـض مظاهر العمران تتقدم ، فاستعادت حماة عمرانها وامتدت هذه المظاهر الـى حوضة سلمية ، ومما أبداه الملك الكلداني نبوبلاصر تتبين من اعجابه بالتقدم والازدهار في وسط بلاد الشام ، وبالاخص عندما عبر حوضة سلمية متقدما نحو حماه في طريقه الى فلسطين (أرض كنعان) ، فقد وردت هذه العبارات

---

(١) كتاب شعوب وحضارات ـ المجموعـة الثالثـة ـ المجلد الاول ـ للاستاذ كونتينو .

(٢) حضارة مصر والشرق الادنى ـ ازرقانة ـ ص ٣٢٣ وما بعد .

في ترجمات اللوحات الفخارية في حفريات بابل المتأخرة ، وذلك من خلال حرب الكلدان لنيخاو فرعون مصر عندما جاء لنجدة الآشوريين ضد الكلدانيين وكان من نتيجة هذه الحرب في معركة كركميش التي أدت الى هرب فرعون مصر (نيخاو) خوفا من أن يصل الكلدان قبله الى مصر ، وكان يقود الجيش الكلداني نبوخذنصر بن نبوبلاصر .

كان مرور الجيش المصري من سلمية قادما عن طريق الأندرين ومتجها الى القريتين فالضمير ـ ففلسطين ثم الى مصر كأقصر طريق للهزيمة ، وكانت قوات الكلدانيين تلاحق الجيش المنهزم حتى أرض كنعان (فلسطين)[1] .

ما نال سلمية وحوضتها من خلال الهجوم الآشوري المتكرر التهديم على غرار ما كانت تلاقيه مملكة حماة الآرامية ، ولكن انحدار السلطة الآشورية أعاد لحوضة سلمية نوعا من الاستقرار والأمن ، فعادت الحياة الزراعية والعمرانية لتستمر وتتقدم في العهد الكلداني .

العهد الكلداني :

لم يكن الكلدان كسابقيهم الآشوريين من ناحية التخريب والتدمير ، وبخاصة في بلاد الشام الشمالية ، بينما لاقت الاجزاء الجنوبية من بلاد الشام وبخاصة فلسطين التدمير نتيجة لوقوف دولتي يهوذا واسرائيل ضد الكلدان، لذلك شهدت الحياة الحضارية في شمالي ووسط بلاد الشام تقدما ملحوظا ، إذ قامت الحياة العمرانية ، وتمت التجارة بين وادي الرافدين وبلاد الشام ، وقد وجدت العديد من الكتابات تمجد أعمال ملوك الكلدان للشعوب الاخرى مكتوبة على ألواح فخارية وجدت في بابل [2] في قبو المعبد الكبير .

ولكن حكم الكلدان أخذ في التقلص بعد الملك العظيم نبوخذ نصر

---

(١) الشرق القديم ـ للدكتور عبد العزيز عثمان ـ بحث الحضارة الكلدانية

(٢) التوراة ـ سفر ارميا ـ الاصحاح ٤٦ .

فظهرت في سورية بعض الممالك والأمارات الصغيرة التي تمتعت بشيء من الاستقلال والأمن •

ومن خلال هذا الأمن ، ازدهرت الطرق التجارية بين وادي الرافدين وبلاد الشام وكان أهم هذه الطرق طريق الرصافة أسرية ـ سلمية الى وسط سورية ، فقد عكست التجارة لهذه المناطق التجارية ازدهارا ملحوظا ، وكان نصيب سلمية الحظ الأوفر نظرا لكونها ملتقى طرق تجارية بين الشمال والجنوب والشرق والغرب ، ويبدو أن مظاهر إمارة حديثة أخذت تظهر في سلمية على غرار ما كان في تدمر •

الفرس في بلاد الشام

في عام ٥٣٩ ق‌م انهارت مملكة بابل الكلدانية على يد الفرس بقيادة الأسرة الاخمينية التي أسسها كورش الاول ، ولكن ابنه قمبيز كان طموحا ، إذ تابع اجتياح بلاد الشام متجها نحو الغرب سالكا طريق وادي الفرات فالرصافة ثم وسط بلاد الشام مارا عبر حوضة سلمية قاصدا مصر ، ولم تنفع المقاومة المصرية الضارية ، ولم تفد جهود فرعون مصر بسامتيك الثالث لدى اصرار قمبيز وقواته على الدخول الى مصر فاتحا ، فانهارت المقاومة المصرية ، وغدت الامبراطورية الفارسية بقيادة قمبيز في أكبر اتساع لها •

كان من نتائج هذا الفتح أن شجع الفرس التجارة بين طرفي الهلال الخصيب ، مما أدى الى ازدهار المدن التجارية على حوافي بلاد بادية الشام وفي وسطها ، فظهرت تدمر كمدينة مزدهرة ، وكذلك الرصافة ، وسلمية ومعرة النعمان والضمير •

ولم يضعف انسحاب الفرس عسكريا عن بلاد الشام استمرار الازدهار الاقتصادي إذ دانت كل الامارات الناشئة للهيمنة الفارسية بعد عام ٤٨٦ق‌م•

فقد عاد الفينيقيون بإماراتهم الى الساحل السوري ، وظهرت بعض مدن سورية شبه مستقلة بأمراء آراميين أو كلدانيين ، وبقاء التجارة

النشيطة مدعاة لاستمرار التقدم والازدهار في المدن التجارية ، فعم سلمية الرفاه ، وغدت مدينة ناشئة ذات أثر في الحركة التجارية والزراعية ، حتى إذا أطل اليونان كان لها مقام آخر •

الاسكندر المكدوني في الشرق العربي

يشكل الاجتياح المكدوني اليوناني لبلاد الشرق ردا للتحدي الذي شكله الفرس إبان غزوهم لبلاد اليونان بقيادة الملك داريوس الاول وابنه كزركيزس ، وكان احتلالهما للدول اليونانية مدعاة لايقاظ روح التحدي في المجتمع اليوناني المنقسم ، فشكل وحدة قوامها ملوك مكدونيا ، هادفين طرد الفرس من بلادهم،فكان الاسكندر مخاض هذه الوحدة،فقد اندفع اليونان جارفين أمامهم جموع الفرس المندحرة عبر آسيا الصغرى بقيادة الاسكندر المكدوني عام ٣٣٢ ق م ، فقد استطاع الاسكندر اجتياح بلاد الشام بلا مقاومة كبيرة ، وفي عام ٣٣١ ق م دخل مصر فاتحا ، ولم تشبع نوازع الاسكندر هذه البلاد ، بل اندفع يريد الشرق ، فعبر بلاد الشام مارا بدمشق فحمص عابرا بحوضة سلمية التي استطاب فيها المقام ،وأعجب بمياهها ومناخها، وقال : إنها شبيهة بمدينة سلاميس على بحر ايجه من بلاد اليونان ، وتابع الاسكندر مسيرته دائرا حول بادية الشام مارا بإسرية فوادي الفرات فالشرق•

ولأول مرة يرد اسم سلمية بشكل (سلاميس) على ألسنة اليونان ، وهذا مرده إما اعجابهم باسم سلمية فلفظوه سلاميس،أو كما يحلله المؤرخون ذا مصدرين :

١ ـ لعل اليونان أطلقوا اسم سلاميس على مدينة سلمية تيمنا بانتصارهم في معركة سلاميس التي قادها تيموستوكل[1] ضد الفرس •

٢ ـ إنهم أطلقوا اسم سلاميس ، الاسم المطابق لها من مدن اليونان على

---

(١) تاريخ سورية ـ فيليب حتى ـ ٢ ص ٢٥٦ •

بحر ايجه نظرا للتوافق بين المدينتين في المناخ والشكل

وفي كلتا الحالتين قد دلت الدراسات ، أن مدينة سلمية كانت قائمة ومبنية وأنها ذات ازدهار وتقدم ، وسبب ذلك يعود للموقع التجاري المتميز ثم لوجود مؤهلات زراعية في السهول التي تحيط بها من وفرة في الماءوخصب في التربة وملاءمة في المناخ •

وكانت هذه المظاهر متكاتفة ، تجعل من سلمية ملتقى القوافل الساعية شمالا وجنوبا وغربا وشرقا لتصبح بحق عقدة مواصلات هامة تحط فيها الرحال ويلتقي في ساحها الحضر والبدو على السواء للتبادل التجاري ، كسوق هامة يؤمها التجار •

هذا من الجانب التجاري ، أما من الجانب الزراعي ، فقد استوطن المدينة العديد من الناس ممن أغنوا بجهودهم أرض سلمية الخصبية المعطاءة، فردت جهودهم وفرة في الانتاج وازدهارا في الزراعة استمر عهدا طويلا •

سلمية والعهد الهلنستي

بعد موت الاسكندر ، أصبحت بلاد الشام تحت حكم أكبر قواده وأقواهم سيلوقوس نتيجة لانقسام الامبراطورية المكدونية بين قواده الثلاثة، وقد أولى سيلوقوس أهمية كبرى لبلاد الشام بمتابعة الحركة العمرانية التي بدأها الاسكندر ، وعلى الاخص بعد أن جعل سورية مركزا لدولته المترامية الاطراف ، جاعلا له عاصمتين : الاولى أنطاكية وأما الثانية فهي أفامية وتدل الآثار الباقية في كلتا المدينتين على مدى اهتمام اليونان السلوقيين بالجوانب العمرانية والاقتصادية والاجتماعية طيلة مدة حكمهم المديدة ، من اهتمامات بطراز البناء الذي بدأ يتكشف في أفامية إبان الحفريات المستمرة فيها ، فقد بذل اليونان جهودا في اضفاء الطابع اليوناني الغربي الصرف على المدن التي بنوها في الشرق ، من شوارع عريضة تقوم على جوانبها الاعمدة المتباينة الاشكال من كورنتيه ودورية ومخروطية وذات الميازيب ، ومن أقواس

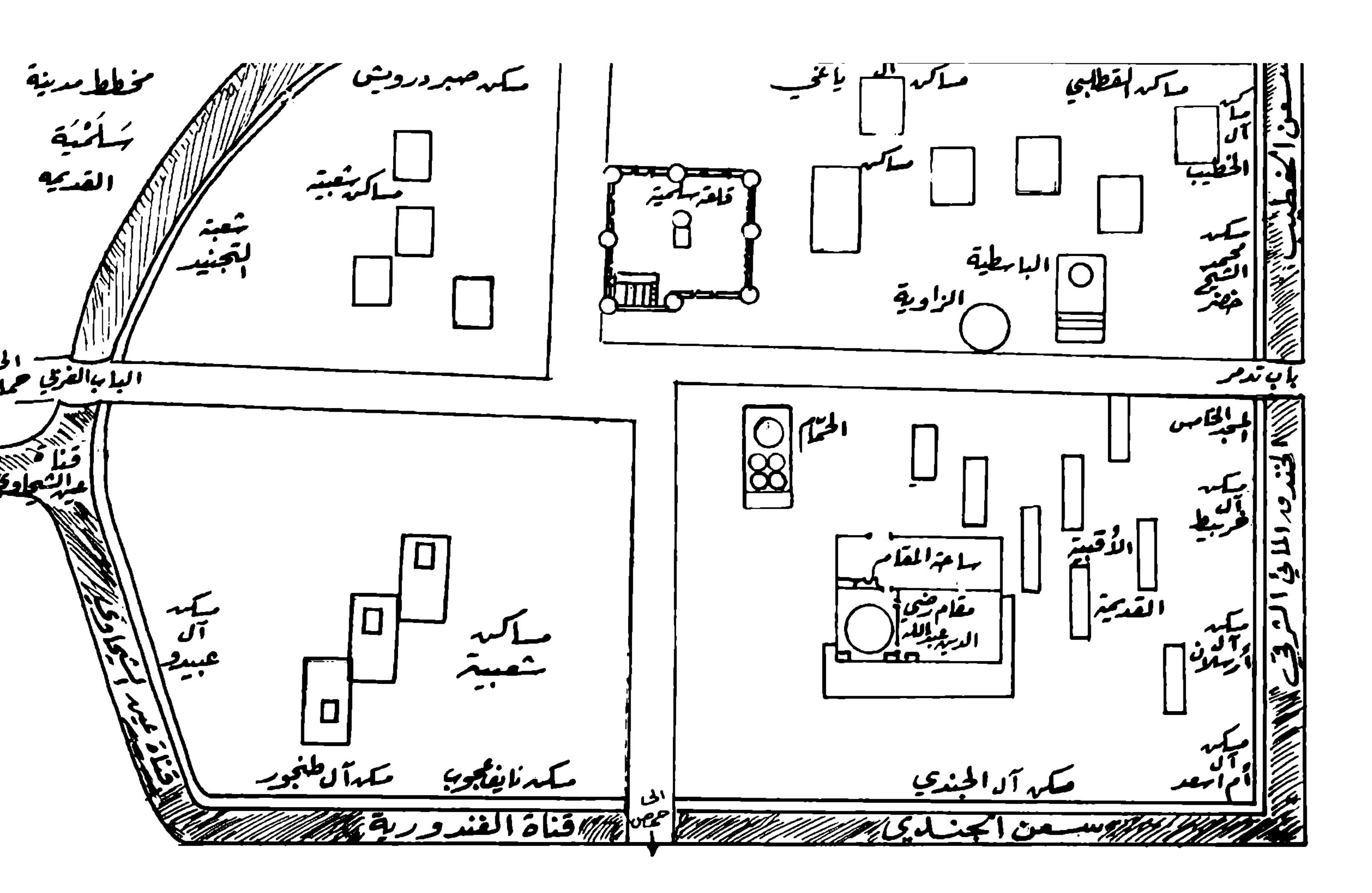
ومسلات وسط الساحات الكبرى ، واهتمامهم الكبير في بناء الاوغرا والاسواق التجارية ومجالس الشعب والمسارح المدرجة وحلقات الرياضة على أنواعها •

فقد بدت الآثار الهلنستيه في الشرق متميزة بالطابع اليوناني مع اختلاط الى حد ما بالآثار الحضارية السابقة ، ما عدا المدن التي بنوها ، ولم يكن لها وجود سابق كأفامية ، فقد اتسمت مظاهرها باليونانية النزعة بشكل كامل•

أما سلمية في هذا العهد ، فقد غدت إمارة بكل ما فيها من مظاهر الآثار الباقية من معبد ضخم وسور كبير يدل على اتساع رقعتها العمرانية ، والعديد من الاساطير التي تدور حول مد مياه سلمية لإرواء أفامية بقصة قناة العاشق •

سور سلمية :

حتى تبقى سلمية ذات منعة وحصانة ، فقد بنى لها اليونان سورا ، كل الحفريات التي قام بها سكانها المعاصرون يقرون بأنهم عثروا على جذور هذا السور الذي يمتد بطول يقدر حوالي أربعة كيلومترات ، وهو بشكل رباعي ، فالجزء الشرقي منه يمتد من دار آل أم أسعد متجها شمالا حتى دار آل أصلان ، ثم آل خربيط حتى مبنى استهلاكية التجزئة ، ثم دار محمد الشيخ خضر ، حتى منازل آل الخطيب حيث ينتهي السور الشرقي لسلمية ، ويبدأ السور الشمالي الممتد من منازل آل الخطيب حتى منازل آل القطلبي ثم آل ياغي ثم منزل خضر أمين فمنزل صبر درويش حيث ينتهي السور الشمالي ، ويبتديء السور الغربي الممتد من غربي منزل صبر درويش متجها جنوبا مارا من قرب دائرة التجنيد وغربي دار علي خضر أبي اسماعيل وقرب دار آل عبيد وثم من غربي المجلس الاسماعيلي الاعلى وغربي دار آل زعير حيث يتصل بالسور الجنوبي ، أما السور الجنوبي فيمتد من الشرق الى الغرب من دار آل أم أسعد حتى منازل آل الجندي حيث يسمى المجرى المائي


مخطط مدينة
سلمية
القديمة
مساكن صبر درويش
مساكن شعبية
شعبة التجنيد
قلعة سلمية
مساكن آل باغي
مساكن
مساكن القطلبي
مساكن آل الخطيب
مسكن محمد الشيخ خضر
الباسطية
الزاوية
باب تدمر
الباب الغربي حماه
قناة عبيد الشحاوي
الحمام
الجب الخامس
مسكن آل فريط
الأقبية
القديمة
ساحة المقام
مقام رضي الدين عبد الله
مسكن آل أرسلان
مسكن آل أم اسعد
مسكن آل الجندي
مسكن آل عبيدو
مساكن شعبية
مسكن آل طنجور
مسكن نايف محجوب
الى حمص
قناة الفندورية
قناة عبيد الشحاوي
سعن الجندي

بسمن الجندي حتى منازل آل القصير وقرب دار الدكتور نايف غجـوب والدكتور طنجور ويلتقي بقناة الغندورية حيث يجاري مسارها من جهتها الشمالية ، حتى يلتقي بالسور الغربي وكل جهات السور الاربع محاطة من الخارج بخندق كبير ، كانت تسيل المياه فيه متجهة من الشرق الى الغرب ، فتكسب المدينة منعة فوق منعة سورها العالي،والذي قدرت جذوره المغمورة تحت الارض من ٢ ـ ٣ م ، وهو مؤلف من حجارة رباعية بازلتية ذات حجوم كبيرة ، وفوق ذلك الخندق المحيط بالمدينة بنيت أربعة جسور هي معابر للأبواب الاربعة المتجهة حسب الاتجاهات الأربعة •

قلعة سلمية(١) :

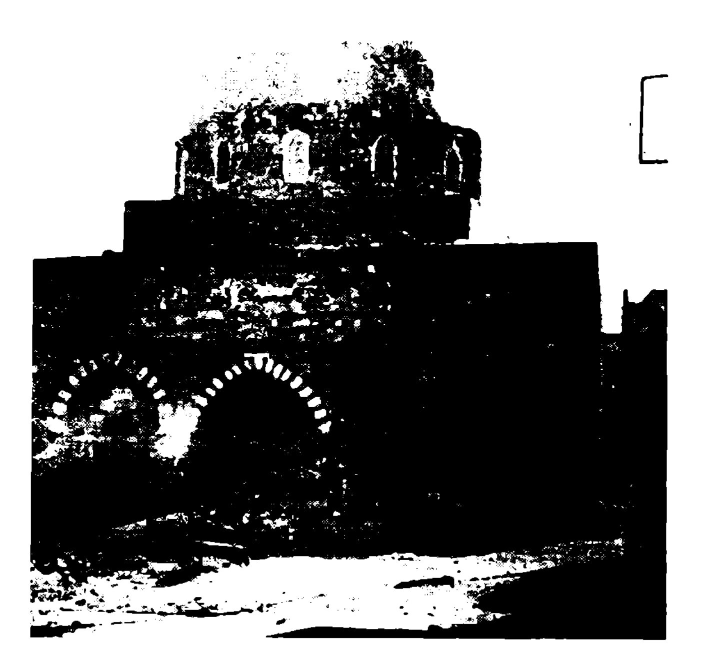
تتوسط المدينة قلعة ، ولكن لم يبق منها سوى بقية أو بعض من سورها الجنوبي القائم اليوم وسط سوق المدينة ، إلا أن هذا الجزء المتبقي ليس يونانيا الا في قاعدته على ارتفاع ما يقرب من ـ ١ ـ م، وما تبقى فقد بناه نور الدين زنكي في العهد الاسلامي • وسنأتي على ذكر هذه القلعة إبان شرح سلمية في العهد الزنكي لانطباع البناء بالطابع الزنكي •

معبد زيوس :

هو نفس المقام المعروف اليوم بمقام الامام اسماعيل ، نتيجة لدراسة المخلفات الاثرية المتواجدة في البناء القائم أو المتناثرة حوله ، نجد العديد من الآثار ذات الطابع اليوناني (الهلنستي) ، مما يدل أن اليونان قد ساهموا في بناء معبد وسط المدينة المسورة ، ومنحوا هذا المعبد المزيد من العناية والاتقان بالنقوش اليونانية على حجارة صلدة بازلتية بالدقة المتناهية، سواء كانت هذه النقوش على أعمدة أو تيجان أو عتبات أو لوحات حجرية

---

(١) وصف الرحالة زكريا هذه القلعة كما زارها المستشرق هارتمان في مطلع القرن العشرين ، وفان برشم سنة ١٩١٢ م وراى كل من المستشرقين كتابات يونانية قد دثرت الآن ؛ وصفي زكريا ـ رحلة اثرية ـ ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ .



المسجد ذو
سبعة المحاريب

المدفن الإمامي (للإمامين تقي محمد ورضي الدين عبد الله)

متناثرة حول مقام الامام اسماعيل ، الأمر الذي يدل على طول المدة التي استمرت فيها الحضارة اليونانية واستمر فيها هذا المعبد قائما ، ومدى تقدم سلمية في ذلك العصر ، ورغم تهدم هذا المعبد أو تحوله الى حضارات متعاقبة ، لم يمنع ذلك من بروز الآثار واضحة سواء في العهد اليوناني أو الروماني بعد أن حول المعبد الى معبد لجوبيتر وتضخيم بنائه واستحضار اثني عشر عمودا غرانيتيا من جنوب الاردن أو من مصر ، و تحويل المعبد الوثني الى كنيسة في العهد البيزنطي ، وتم بناء الاروقة على فسحة واسعة انتشرت من حولها الغرف ، اذ غدا هذا المركز الديني أبرشية مسيحية يتبعها أكثر من / ٤٢ / كنيسة في وسط بلاد الشام ممتدة من مدينة الرصافة وحتى طرابلس الشام ، فدراسةالآثار المتناثرة أو المبنية بدون عناية تدل على أن هذا المكان المقدس ، قد اعتراه التهديم عدة مرات وأن بناءه الاخير تم في عهد الامير خلف بن ملاعب صاحب حمص قبل قدوم السلاجقة إبان العهد الفاطمي فقد حول الى مسجد عرف بالجامع ذي سبعة محاريب ، والى جانب هذا الجامع يقوم مدفن إمامي لإمامين من أئمة الاسماعيليين هما تقي محمد ورضي الدين عبد الله ، واللذان لا يزال أثرهما قائما ، وقد رمم مؤخرا ببناء القبة المهدمة بعد تهديم سلمية في عهد تيمورلنك التتري عام ٨٠٢ هـ ٠

قناة العاشق (١) :

لا تزال الروايات تتناول هذه القناة بشكل اسطوري جذاب ، وقد

---

(١) وردت عدة روايات عن هذه القناة كأساطير يرويها الناس وقد اورد الرحالة المهندس وصفي زكريا في كتابه رحلة اثرية شرحا عن هذه القناة كما ذكرها وبحث في مسارها الاستاذ كامل شحادة فيما نشرته الحولية الاثرية المجلد السابع عام ١٩٥٧ ص ١٥٥ ـ ١٦٧ ، وقد ذكر مدير متحف بروكسل الاستاذ / ح.جون / انه عثر على حجر منقوش بكتابة تثبت وصول الماء من الشرق بواسطة قناة حيث تسقي مدينة افامية كلها بمائها العذب .

اجمعت هذه الروايات على أن سلمية امارة شأن أفامية ، وأن امير سلمية أحب ابنة ملك أفامية ، وكان صداقها هو استحضار الماء من سلمية الى أفامية بشكل دائم •

ومهما نسجت حول هذه القناة من روايات متباينة ، إلا أن الواقع والآثار تدل أن القناة موجودة فعلا وأن آثارها بادية للعيان بشكل تجعل هذه الروايات لا تتناول أمرا خياليا ، بل شيئا حقيقيا ماثلا للعيان ،ويمكن دراستها حتى يومنا هذا وتمتد هذه القناة كما يلي :

تبدأ القناة من عين الزرقا غربي سلمية ، وهي على شكل ساقيتين لقناة واحدة ممتدة نحو الغرب حيث تلتقي الساقيتان بعد حوالي /٥ر١/ كم ، فتشكلان ساقية واحدة ، وبعد حوالي / ٥ / كم توجد آثار طاحونة مائية متهدمة والى جانبها طاحونة أخرى تسمى طاحونة المعبد (القرقانية) نسبة لمعبد وثني قديم كان الى جانبها وقد تهدم ، ثم تتجه القناة بشكل شقة مفتوحة ومكشوفة حتى تلعقيرب ومزرعة أحمد شاهين حيث تقوم آثار سدود قديمة ، حيث تأخذ القناة طريقا منفصلا نحو الغرب بحيث تبدو آثارها بشق في الصخور بعرض حوالي / ٦٠ / سم وعمق متر ، وهناك آثار طاحونة مائية بعض أركانها قائم الى الآن بدلالة أنها كانت تعمل لوقت ليس ببعيد •

بعدها تأخذ القناة شكلا آخر بأن تسيل في مجرى مسقوف ، وتمر بالقرب من قصر ميرزا من الشرق وتتجه بعد ذلك الى الشمال الغربي ، وتقطع طريق سلمية ــ حماه المعبد في الكيلو متر / ٩ / ثم تسير فيأراضي قرية تل الدرة ، وتشكل عدة انحناءات حول أخاديد ووديان ومسيلات الجبال حتى تصل الى الجنوب من قرية الشحلة ، ومن شمالي هذه القرية

تتخذ طريقها الى سفح جبل علي كاسون مارة بأراضي القرى أم طويقيه ــ سفينة العوجة ــ كاسون جبرين فشمال قرية الهاشمية ثم تتجه الى الجنوب من الهاشمية وتعاود سيرها الى الشرق من القرية نفسها وتلتف حول جبل زين العابدين وبالسفح الشمالي منه ، ثم تنتهي نحو الشمال مارة فوق جسر أقيم خصيصا لها على ثلاث قناطر ثم تصل الى الحوية متجهة الى الشمال الشرقي قليلا الى تل العبادي بأراضي قرية معردس وتقطع الخط الحديدي حماة ــ حلب شمالي معردس عند الحجر الكيلومتر / ٨ / ، حيث تدخل أراضي قرية صوران وتدخل الى البيوت من حيها الغربي ، وتتجه الى الشمال مارة بظهرة الشيخ مسعود ثم تنثني نحو الغرب مجتازة وادي الدورات على جسر كبير نسف القسم الاكبر منه لفتح طريق عام بين حماه ــ حلب عام ١٩٢٨ ، ثم نشاهد آثارها ممتدة بمحاذاة الوادي الواصل الى قرية اللطامنة ، وعلى مسافة كيلومتر واحد من هذا الوادي أقيم لها في أراضي مورك جسر .

وتتابع القناة سيرها غربا ، فتمر بقرية لحاية على الجسر المعد لها ، ومنه تمتد غربا فتلتف حول تل قيلون (وهو تل اصطناعي عائد لقرية اللطامنة) . وتنثني بعده الى الشمال الى مسافة / ٣ / كم فتعود بعدها باتجاه الغرب مارة حول تل فاس التابع لقرية لطمين ، وتدخل أراضي كفر زيتا على الجسر الطويل المتهدم حاليا ، ثم تصلها وتلتف حولها ، وفي جهتها الشمالية على مسافة / ٣ / كم يعترضها طريق (كفر زيتا ــ معرة حرمة) ، وهناك أقيم لها جسر فوق واد ، ومن ثم تتجه الى الغرب الشمالي ، فتمر بخربة كمقايا ، ومن شرقي خربة أبو مرته .

وفي شرقي قرية الهبيط أقيم جسر لها ، وتلتف حول الهبيط ، ثم تتجه شماليها على مسافة حوالي / ٣ / كم حيث تبدو محفورة في الصخور ومسقوفة على عمق كبير وتجتاز الوادي (وادي الطويلة) على جسر عال (وهذا أكبر جسورها) ، ثم تلتف حول سفح جبل الطويلة الغربي ،

وتنعطف الى الغرب على جسر زال أثره،وبعد انحناءات تعود باتجاه الغرب حتى قرية كفر نبوده ، فتلتف حولها ، وفي الشمال منها أعد لها جسر طويل ، وتمتد الى الشمال الى الجانب الشرقي من قرية القيروطية والجانب الجنوبي من قريتي قرانة وسحاب ، حيث تتجه الى الغرب مارة بأراضي قرية الصهرية متوسطة المسافة بينها وبين قرية تل هواش وهنا أعد لها جسران •

وما أن تصل الى طريق (الصهرية ـ قلعة المضيق) حتى تنثني نحو الغرب مجتازة أواسط أراضي مقسم الباب وكروم أهالي قلعة المضيق، حتى تغدو أمام القنطرة الشمالية لمدينة أفامية القديمة ، فتدخلها من جانبها الشرقي وسط المدينة واضحة على قناطر ممتدة الى الجنوب ، حيث تتوزع فيخزانات البلدة ، وأكبرها خزان مبني من الآجر ذي أبعاد ٢٥ × ١٥ م وهو خلف البناء المعروف بدار السعادة أمام القلعة من الجهة الشرقية ، ومنه كانت تدخل المياه الى داخل القلعة حيث الصهريج الكبير الواقع بدار نجيب عقيل وعمقه مساو سطح القناة الممتدة لأول القلعة وانصبابها في الخزان القريب من الخندق وتقدر المسافة بين سلمية وأفامية بحوالي / ٨٥ / كم يضاف اليها التعاريج والتلافيف / ٦٥ / كم فيصبح طول القناة حوالي / ١٥٠ / كم ، أما عرض مجراها الداخلي من بدايتها الى نهايتها / ٦٠/ سم أما العمق فهو يتراوح بين / ١ م الى ٣ م /ويختلف طراز بنائها حسب المناطق التي تمر فيها ، فهي في السهول مبنية من القرميد ورقيق الحجارة المدعومة بالبلاط القوي ، أما في المرتفعات الصخرية فقد شقت فيها نقرا بصورة متناسقة منتظمة ، وهي مسقوفة بنفس الطريقة التي أنشئت عليها وتعبر القناة من خلال مسارها من سلمية وحتى أفامية على اثني عشر جسرا ، تعبر القناة بواسطتها جميع الاودية ، ولذلك كان بين هذه الجسور جسور طويلة وعالية ، وبعضها صغير حسب طبيعة الوادي الذي تعبره القناة • وقد بنيت هذه الجسور من الحجارة الكلسية الضخمة على شكل قناطر كبيرة يتراوح طولها بين ٢٠ ـ ١٠٠ م وعرضها لا يتجاوز

/ ٢ / م ، أما ارتفاعها فيتراوح بين ٤ ــ ١٢ م ، وهناك بعض الجسور تبنى من الحجر والقرميد معا ، وفيها بعض المنافذ المائية الصغيرة المربعة ، وبعضها بني بالحجر الدبش الممزوج بالكلس وبالحجر الثقيل المدعوم بجوانبه على شكل تصوينة مكونة من الحجر الدبش والكلس ، ويبلغ عرض التصوينة بين ٦ ــ ٨ م .

والقناة بأكملها على شكل (سيفون) تحت الارض ، وأحكمت بالجانبين بالبناء ومدت على ظهورها الاحجار المستطيلة الكبيرة بشكل أصبح ما فوقها طريقا مرصوفا مساويا لسطح الارض حوله ، مما يسهل مرور السيول فوقه بسهولة ، وهكذا يكون ماء القناة معزولا من الاختلاط بمياه السيول النافذة ، ويكون سقف القناة متينا يتحمل الضغوط مهما بلغت .

أما مجرى القناة من الداخل فهو مطلي بمادة الكلس والقصرمل ، وهذا ما يجعلها غير نافذة .

ماذا تروي القناة ؟

تروي القناة

١ ــ أفامية المدينة بشكل رئيسي
٢ ــ تدير بعض الطواحين المقامة عليها .
٣ ــ لها فتحات لإرواء السكان كما في قرية الشحلة بمأخذ مائي .
٤ ــ لها مأخذ مائي كقناة فرعية لإرواء قرية كفر زيتا وتصل الى قرية يرعون .

تاريخ بناء القناة :

من دراسة آثار هذه القناة والقرائن وما نشر حولها من نصوص كالذي اكتشف برواق الشارع المستقيم في أفامية ولا يزال النص موجودا،

وتتألف من أربعين سطرا على حجر كلسي كبير وقد نقشت هذه الكتابة في ذكرى تكريم مدينة أفامية لابنها البار (لوقيوس جوليوس آجريبا بن كايوس) من عشيرة فابيا لإهدائه المدينة أروقة وحمامات ووزع القمح والزيت ، جرى ذلك في عهد الامبراطور (نيرفا تراجان قيصر أوغست) عام ١١٦ ـ ١١٧ م يمكن أن يحدد بناؤها خلال القرن الاول للميلاد ، إذ كانت أفامية في ذروة مجدها في عهد آنتونا وليوسيوس فيزوس ، وتم اصلاح القناة مرات عديدة في عهد يوستينانوس •

•

ويبدو أن القناة قد خربت بفعل زلزال عام / ٥٥١ / م ، ثم بنيت لتخرب ثانية بتأثير زلزال عام / ٥٥٢ / هـ الموافق عام ١١٥٧ م ، مما جعل ملوك بني أيوب يحولون مجراها للاستفادة في ارواء مدينة حماه وسقاية المناطق الشمالية منها المسماة مناطق الجروف وهناك نقوش عربية عن القناة نقشت على أعمدة الجامع الكبير في حماة ، تحمل تاريخ / ١٥ / من شهر جمادى الاول سنة ٩٠١ هـ ـ ١٤٩١ م،وهو عبارة عن مرسوم صادر عن كافل المملكة الحموية بحماة قانصوه الشريفي الشامي ، وينص المرسوم على ابطال الضريبة من المنتفعين بمياه ساقية سلمية •

ومهما يكن ، فقد دلت الآثار الحضارية لهذه القناة عن مدى تقدم العقلية المعمارية للقائمين على بنائها ومقدرتهم في ايصال مياه سلمية العذبة الى أفامية على امتداد قناة بلغ طولها حوالي / ١٥٠ / كم ، دون ضخ أو رفع ، الامر الذي يوضح مدى تقدم عدد من العلوم ، وفي مقدمتها العلوم العمرانية والطبوغرافية ، وامتداد هذا العهد للعهد الهلنستي الذي تميز في الشرق كله بتقدم العلوم وازدهار العمران الواضح من الاعمدة الملساء والتيجان المعرقة بالنقوش النباتية والحيوانية كأوراق العنب وسعف النخيل، وما انتشر في ربوع سلمية من طواحين مائية ومعاصر للعنب والزيتون متناثرة في أرجاء حوضه سلمية على رحبها •

امارة تدمر والرومان وسلمية :

أخذت إمارة تدمر في التوسع والنمو كونها ذات حيوية في موقعها الاستراتيجي التجاري في وسط بادية الشام ، وبالاخص في العهد الذي أخذ فيه الحكم السلوقي يضطرب ويضعف نتيجة للخصومات التي بدأت تتفجر بين الامراء السلوقيين ، مما أدى لانسلاخ بقاع واسعة عن حكمهم وحتى غدا الشرق ، وكأنه خلو من الحكم ، في تلك الظروف أخذت روما في نموها وتوسعها المضطرد بعد الحروب البونية مع قرطاجة ، إذ خرجت روما سيدة البحر الابيض المتوسط وبدأت تستغل هذه السيادة في توسعها، فاحتلت اسبانيا واليونان ، وسقطت مصر بيدها ونزل القائد الروماني بومبيوس في الساحل السوري ، وسرعان ما اجتاح بلاد الشام دون مقاومة تذكر ، ووصل فلسطين عام / ٦٤ / ق م ، واعتبر البارثيون الفرس ذلك التقدم الروماني تحديا لهم ، فناصبوهم العداء ، ودخلوا العراق ، ووقفوا أمام الرومان بتحد ظاهر جلي ، عادت هذه العداوة على بلدان بادية الشام بالضرر البالغ ، فقد توقفت التجارة بين جزأي الهلال الخصيب مما أوقع أكبر الاذى في مدن تدمر وسلمية وكل المدن التي تقع على الشريط الصحراوي بين البادية والحاضرة ، واستمرت هذه الحال على وضعها حتى مجيء أغوسطس القائد الروماني ، فعقد هذا الامبراطور مع البارثيين ملوك فارس معاهدة سلام ، بعثت في المدن الخامدة روح الحياة التجارية من جديد.

وهنا بدأ نجم تدمر في السطوع ، وأخذت تتقدم بظهور قيادة الامراء الناجحين ، تتوسع على حساب مثيلاتها من المدن المتوضعة حولها ، فوقعت سلمية والرصافة والأندرين والضمير والقريتين تحت سلطانها ، وليس أدل على قوة تدمر من أن يسعى الامبراطور تراجان للسيطرة عليها خوفا من أن تكون يوما مع الفرس البارثيين ، فتهدد الوجود الروماني في الشرق ، ورغم ما بين تراجان والفرس من أحداث واضطرابات ، فقد هدأت كلها في أعقاب وفاته واعتلى العرش في روما الامبراطور هدريان ، فعاد السلم بين روما وبلاد

فارس ، ومنح الامبراطور الجديد تدمر استقلالا ذاتيا ، وصلاحية الاشـراف على ممتلكاتها وادارة تجارتها ، وعاد لتدمر والمدن التي حولها التابعة لها نوع من الازدهار •

وجميع الآثار الرومانية المتواجدة في سلمية تشابه الى حد ما تلك التي أقامها الرومان في تدمر ، فالنقوش هي نفسها ، وقد لوحظ في بعض تيجـان الاعمدة وبعض النقوش في العتبات والركائز المتناثرة في منطقة سلمية تشابه الى حد ما موجود في تدمر وبالاخص في طاحون المعبد وخربة فويرة قرب السعن وقرّية أم الميال وخربة الشيخ هلال ، إذ تعود كل هذه الآثار الى عهد سيطرة تدمر وشمول سلطتها كل هذه البقاع •

ففي ظل دولة تدمر ، ازدهرت سلمية ككل المدن الواقعة على الخطوط التجارية ، وأصبحت لنقاء هوائها وخصب تربتها رابلة بالسكان ، فقد أمها العديد من السكان متمتعين بالأمن والاستقرار طيلة العهد الروماني والبيزنطي بعـده •

أما تدمر فقد زاد سلطانها وتوسع طموحها بامتدادها شرقا لتضم اليها مدنا عديـدة كدورا أوريس (الصالحيـة) على نهر الفرات وسرجيوبولس (الرصافة) ، وكان ازدهارها أكبر في ظل ملوكها العرب من أي وقت سبق ، فقد حارب أذينه الى جانب الرومان نصرة للامبراطور فاليران ، وذلك سـنة ٢٦٢ م ،واتسعت تدمر في عصر زنوبيا أي اتساع مستغلة انشغال الدولـة الرومانية في مقاومة هجمات القبائل الجرمانية البربرية عبر سـهول أوروبا الوسطى ،فشمل اتساعها سورية كلها وجزءا من الاناضول،وفتحت الاسكندرية في مصر وذلك سنة ٢٧١ م ، مما جعل الامبراطور أورليان يسعى الى تدمـر بين عامي ٢٧١ ــ ٢٧٥ م قائدا حملة كبيرة دخلت تدمر ، ووضعت شروطـا قاسية عليها ، ولم تستطع تدمر الاستمرار على هذه الشروط ، اذ هبت بعد عودة أورليان بثورة عارمة ضد الحكم الروماني قتل على أثرها الحاكـم الروماني مما استدعى الامبراطور أورليان لمهاجمة تدمر بجيشين سلكا طريقين

الاول : طريق حمص ــ تدمر   والثاني طريق حماه ــ تدمر مارا بسلمية

وفي هذه المرة أسرت ملكة تدمر زنوبيا ، وقيدت الــى رومــا مطوقة بالاغلال عام ٢٧٤ م ، ومنذ ذلك العهد اســتتب حكم الرومان في ســورية بشكل مباشر •

سلمية تزدهــر في العهــد الرومانــي :

استبعدت تدمر كمركز للتجــارة عبر بادية الشــام بعد القضاء علــى دولتها ، وهاجر أكثر تجارها الى المدن الداخلية التجارية وبالاخص ســلمية الامر الذي جعل الطرق التجارية القاصدة سلمية عامرة بالقوافل الغــاديــة والرائحة عبر طريق الهلال الخصيب ، أو الطريق المؤدية الى حلب أو الطريق المؤدية الى الحواضر الغربية من بلاد الشام ، وهكذا عمرت سلمية كعقــدة مواصلات بين الشرق والغرب والشمال والجنوب لبلاد الشام كلها ، مما بعث في منطقة سلمية الازدهار والانتعاش بازدياد عدد الــكان ، وتجلى تقدمها في عدة مجالات منها :

١ ــ المجــال العمــرانــي :

أولى الرومان سلمية أهمية من الناحية العمرانيــة بدءا بمعبد زيوس ، فقد حول هذا المعبد من معبد يوناني الى معبد روماني للإله جوبيتر ، ولذلك بدأ الرومان يوسعون المجال العمراني لهذا المعبد ، واستحضروا له حوالي / ١٢ / عمــودا من الغرانيت ، وهذه الاعمدة لا تزال موجودة بعضها في أرضية المسجد الذي كان قسما من المعبد فيما سبق ، وقد سحب بعض هذه الاعمدة ، ووضعت على بوابات حديقة دار الحكومة في حوالــي ١٩٣٠ م ولا تزال أربعة منها موضوعة قرب دار الحكومة اليوم •

ومع أن جميع الجغرافيين يعرفــون : أن ســورية خلــو من الصخور الغرانيتية ، فقد أجمع على أن هذه الأعمدة قد استحضرت إما من جنــوب

الاردن أو من شمالي مصر أو جبال سيناء ، وليس أدل على مدى العناية من الناحية العمرانية بسلمية من الاهتمام بهذا المعبدغاية الاهتمام بسحب مجموعة من الحجارة من مسافات نائية كالاردن أو مصر .

كما لا تزال سلمية تزخر بالعديد من التيجان الرومانية الخالصة والمتناثرة في كل زاوية وطريق من ربوع هذه المدينة ، وغلبت عليها اسم (الجلاسات) ، لأن أغلبية الناس أخذوا يستعملونها للجلوس .

ولقد أجريت مجموعة دراسات متأخرة قام بها نخبة من المهندسين المعماريين تناولت العديد من المنشآت ومنها (مقام الإمام اسماعيل) ، ورغم أنه لم تجر حفريات ، فقد حدد أن مساحة المقام كانت واسعة وتشمل عددا من المنشآت ذات الأصول القديمة محاطة بالاعمدة والاقواس تزين الرواق المحيط بالمقام الى جانب الاقبية ، والتي لا يزال بعضها موجودا ، إما في الدور السكنية المحيطة به أو أمام ساحته ، ولا تزال الاعمدة البازلتية والعتبات المزخرفة متناثرة حول المبنى الموجود اليوم كمسجد اسلامي ، يحمل بين حجارة بنائه مئات الدلائل على ضخامة ما أرساه الرومان في بنائهم لهذا المعبد الوثني في عهدهم .

قلعة شميميس :

تجثم هذه القلعة على جبل منفرد يقع غربي سلمية ويبعد عنها حوالي / ٥ / كم ويقول فيليب حتى في كتابة تاريخ سورية ، « أن أمراء حمص في العهد الهلنستي وبداية العهد الروماني في القرن الاول قبل الميلاد من آل شميسغرام[1] وقد بنوا عددا من الحصون والقلاع على أكناف بادية الشام ليردوا بها أي هجوم من البادية بشكل غزوات يقوم بها عادة البدو على الحاضرة » .

---

(١) كتاب جولة أثرية ـ المهندس وصفي زكريا ـ ص ٢٧٠ وص ٢٩٠ من نفس المصدر .

ومؤكد أن قلعة شميميس كانت احدى هذه القلاع التي أقامهـا آل شميسغرام ، ورغم أن الاصول الاولى القديمة قد تداعت بعد تخريب هذه القلعة إبان هجوم كسرى أبرويز على سلمية قبيل الفتح الاسلامي بسنوات، إلا أن الأيوبيين هم الذين جددوا بناءها وأعطوها شكلها الحالي •

وأما طريقة بنائها فهي على الشكل التالي :

استفاد بناتها الأول من ذروة الجبل المخروطية المكسوة بطبقة صخرية بازلتية كما هي على الجبال المجاورة حتى يومنا هذا ، فقد نزع الغطـــاء البازلتي ليشاد به أساس القلعة الاول ، ثم تم حفر الخندق المحيط بها ، وحفر بئر في جهة القلعة الشرقية ليمدها بالماء عند الحاجة ، واستمرت القلعة طيلـة العهد الهلنستي المتأخر ، ولما جاء الرومان أولوها مزيدا من الاهتمام لـدرء خطر الفرس القادم من الشرق ، كما استمرت بعملها هذا طيلة العهد البيزنطي، حتى تم هدمها الاول على يد كسرى أبرويز الفارسي •

التــلال الاصطناعيــة :

من دراسة هذه التلال المتناثرة في أرجاء حوضة سلمية ، تتبين أنها بأكملها قد صنعت بأيدي انسانية ، فهي إما قرى عامرة أصابها التهديم ، أو مصنوعة لأسـباب أمنيـة[1] ، فقد تبدى لدى حفريات تل المرج غربي سلمية عـن سور القرية التي ترقد تحت التل ، كما أن بعضها لم يبد تحتها أي أثر لبناء، ومن الملاحظ أن كل تل اصطناعي تقوم بقربه قرية خربة قديمة مما يدل على أن الانسان القديم استعمل هذه التلال كوسيلة أمنية استطلاعية اسـتدعتها ظروف الخطر القائم بين الرومان والفرس قديما ، وامتداد هذه الظروف حتى

---

(1) المجلة الحولية التاريخية ـ مكتبة متحف دمشق الوطني ـ المجلـد السـادس بحث الآثار الرومانية

العصر البيزنطي والفرس والساسانيين وقد ذكرت المجلة الحولية التاريخية :أن هذه التلال تمتد على أطراف بادية الشام من الجهة الشمالية والغربية ، فهي موجودة في الجزيرة السورية وحوضة الفرات الاعلى ومناطق حلب ، وحتى أنطاكية وتمتد الى معرة النعمان وأفامية ، وهي موجودة شرقي نهر العاصي حتى القريتين ، بما فيها منطقة سلمية وكذلك شرقي، دمشق امتدادامنحوران وأطراف جبل العرب ، ومن دراستها نستطيع تصنيفها على نماذج ثلاثة :

١ ــ التلال المحدبة القببية •

٢ ــ التلال المسطحة الدائرية •

٣ ــ التلال المسطحة الدائرية ذات البرج •

ولكل نوع من هذه التلال خدمات أمنية خاصة به :

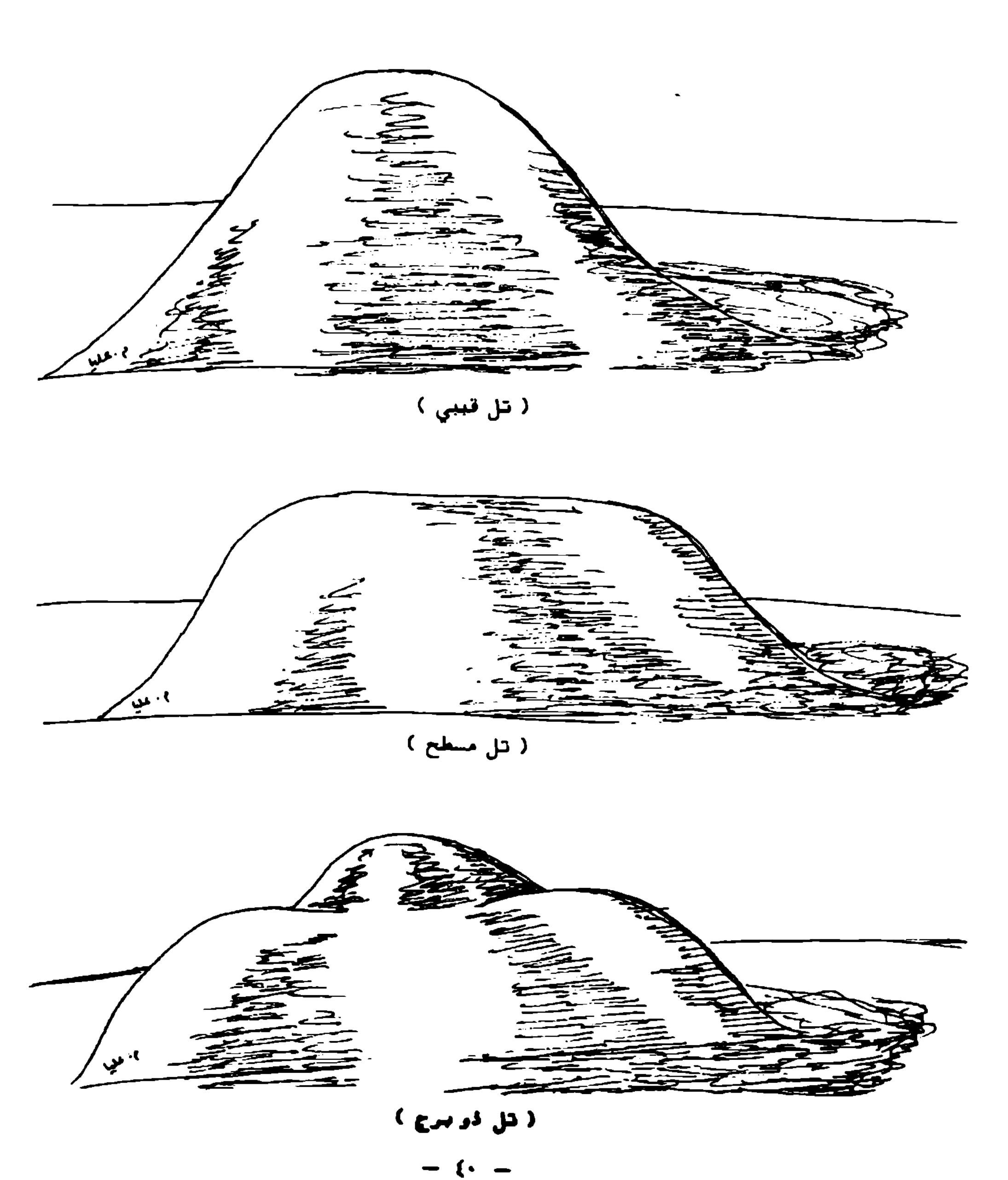
فالتلال المحدبة القببية :

هي تلال تختص بالانذار لمنطقة محدودة ، لذلك كانت بسيطة ، ومنها نوع صغير وآخر كبير ، والتلال الكبيرة ذات مفعول أكبر ومدى أوسع •

٢ ــ التلال المسطحة : أكثر أهمية ، لانها تتصل بعدد من التلال المقببة والمحدبة ، وغالبا ما تكون هذه التلال في مناطق سهلية ومطلة على أودية أو منحنيات يخشى المفاجأة منها •

التلال المسطحة ذات البرج : وهي تلال تتلقى الانذار ، وتتولى عادة الدفاع لانها مجهزة ببرج عال في أعلاها حيث يكمن في هذا البرج قوة عسكرية دفاعية •

وفي حوضة سلمية توضعت هذه التلال على شكل سلاسل في عمق البادية ، وتتجه نحو الحواضر ، أو عرضانية تصل حوضة سلمية بما يجاورها من مناطق حول بادية الشام ، فهي إذا تتجه شرقا وغربا ، أو شمالا وجنوبا



(تل قببي)

(تل مسطح)

(تل ذو برج)

بشكل سلاسل متعاقبة ، يطل كل تل على آخر حيث تشكل سلاسل تلالية تسهل نقل الاخبار بواسطتها ، من البادية شرقا وحتى المدن الداخلية غربا ، أو من الشمال الى المناطق الجنوبية وبالعكس •

التلال المحور شرقا وغربا في حوضة سلمية :

ابتداء من مدينة حماة،حيث قلعتها هي مركز المدينة الى مرتفعات مصفاة مياه حماه جنوبا ، ومنها الى تل زور العاصي قرب قرية الجنان وهو تل ذو برج ، ومنه الى تل قصارين ثم الى تل المباركات وهو تل مزدوج وكلاهما مسطحان ثم تل صماخ وهو الآخر ذو برج ثم الى تل قرية الكافات وهو قبيي كبير ثم الى تل قرية تل درة وهو ذو برج كبير ثم الى تل المرج وهومسطح حيث تنقسم التلال الى محورين :

المحور الاول : ويتألف من تل المرج ثم تل المزيرعة وهو تل مسطح ثم تل المالحة وهو قبيي ثم تل عربيد ثم تل الغزالة قرب مدينة سلمية وهو مسطح كبير ثم تل الشيخ علي الغربي وهو تل مسطح مجوف يعتقد أنه كان يشكل سورا لمدينة عمورية على غرار مرتفعات قرية المشرقة (قطنه) قديما، ثم تل الشيخ علي الشرقي وعلى جانبه يقع برج صغير واضح ثم تل قرية تل التوت وتل قرية بري وتل قرية المفجر وتل قرية فريتان ، وكل هذه التلال بحجم واحد وقبيبة ، وبعدها تتجه في عمق البادية •

المحور الثاني : ويبدأ من تل المرج (الكريم) فتل عقيرب ثم تل جبل عين الزرقا وكلاهما قبيان صغيران فتل جبل الخضر وهو قبيي كبير ثم تل السبخة وهو ذو برج ، ثم تل قرية عدا فتل قرية تل سنان وهما قبييان ثم قرية جدوعة الذي بنيت القرية فوقه من الجهة الشرقية ، فتل قرية عقارب وهما قبييان ، ثم تل قرية صبورة وهو ذو برج ، وتتجه بعدها هذه التلال في عمق البادية •

التلال العرطانية :

وهي مجموعة تلال تربط حوضة سلمية بمواقع شمالها وجنوبها ، فهي تربطها بمنطقة الحمرا شمالا،وذلك من تل قرية جصين وتلال الشهباء الشهيب ... الخ ، وهناك تلال تمتد جنوبا مثل تل قرية خنيفيس وتل قرية السنيدي حيث تتجه الى مناطق ما شرقي مدينة حمص .

أما طريقة الإنذار ، فتكون إما بالنار أو الاشارات الضوئية ، ومما يدل على استعمال النار تواجد الرماد بشكل كثيف قرب هذه التلال أو على سطوحها أحيانا .

ومن الدراسة يمكن أن تتبين أن هذه التلال لها صفتان :

١ ـ أنها رومانية الاصل وامتد استخدامها الى العهود البيزنطية ، وقد أظهرت الحفريات آثارا رومانية كخناجر وتماثيل فخارية لجنود رومانيين ، كما عثر في خرب بعض التلال على حجارة رسم عليها شارة الصليب ، مما يدل على امتداد استخدام التلال حتى العهود البيزنطية المسيحية .

٢ ـ أنها ذات مدلول كامن في عمق العوامل النفسية عند الانسان ، هذه العوامل التي تتوارى خلف عبقرية الانسان في ابداعه ما يخمد في نفسه مشاعر الخوف والرعب ، ليحل محلها الامن والطمأنينة بدفع الاذى المهدد باستمرار لحياته وبقائه ، وهذا ما دفع الانسان أن يجهد نفسه حتى يؤمن لحياته الاستقرار والامن باصطناع هذه التلال التي لعبت دورا كبيرا في عهود الخصام الروماني الفارسي .

٢ ـ المجال الزراعي :

أولى الرومان حوضة سلمية اهتماما في تطوير الزراعة ، شأن كل المناطق التي احتلوها في الشرق ، فقد أبدعوا في حوض نهر العاصي باستنباط

النواعير كأسلوب لتطوير الزراعة واتساع رقعتهـا ، أما في سلمية ، لقد انحصر اهتمامهم في استنباط الماء من جوف الارض عندما تبينوا أن الميـاه السطحية متوفرة ، وذلك بالاستفادة من تجاربهم في حوضة نهر المجردة في تونس ، فكـان أن حفروا العديد من الاقنية التي وسعت بدورها مسـاحة الارض المزروعة فمم تتألف القناة ؟

لكل قناة مجرى تحت الارض ، ولهذا المجرى نوافذ الى السطح ، ثم لها مخرج للماء على السطح ، تسيل المياه بعدها لتروي مساحة زراعية ، وهذه الاجزاء متكاملة في خلق الحياة الزراعية المروية بواسطة الاقنية ، وهنـاك سؤال لا بد من الاجابة عليه وهو :

كيـف تحفـر هـذه الاقنيـة

قبل حفر أية قناة ، لابد من دراسة عامة تتناول المساحة المراد زراعتها بالمياه المستخرجة ، وبعدها يبدأ الحفر بدءا من مخرج القناة (أي من منفذها على سطح الارض) ، بشكل شقة مفتوحة ، ثم يبدأ بحفر نفق القناة والمسمى (سراب) ، ومن خلال الحفر تفتح على هذا السراب فوهات نافذة الى أعلى السطح ، بشكل بئر له عدة فوائد ، منها الاستضاءة والتهوية ، ثم اخـراج التراب المحفور ، وقد تتعدد مثل هذه الآبار على امتداد القناة حتى تغدو المياه السائلة من خلال النفق كافية من حيث الغزارة لإرواء المسـاحـة المدروسة سابقا ، عندئذ تتوقف أعمال الحفر بهذا الاسلوب تكثر الينابيع على امتـداد النفق ، وتنبثق هذه الينابيع لتسيل في مجرى النفق ، ولتخرج الى السطح ، وتوجه لإرواء المساحة الزراعية المطلوبة •

لقد تعددت القنوات في حوضة سلمية ، وقـد ذكرهـا كتاب الحوليـة التاريخية ، بأنها قد بلغت في تعدادها حوالي / ٣٦٠ / قناة ، وعندما تتصور مثل هذاالعدد منالاقنية والمياه المستخرجة إذ يمكن أن تروي هذه المياهسدس مسـاحة الحوضة لتحويلها من أرض بعليـة الى أرض مروية مثمـرة بشكل

زراعي دائم ، مما حول حوضة سلمية الى ما يشبه الغوطة الفيحاء العامرة بحياة زراعية راقية ،جذبت اليها الناس ليستوطنوها كاملة ، لذلك عمرت هذه الحوضة بالآثار الرومانية كقرى عديدة متناثرة بقاياها أينما اتجهنا في حوضة سلمية ، بما في هذه الآثار من بقايا أدوات زراعية كمعاصر العنب والزيتون ، وهكذا امتدت هذه الزراعات شمالا حتى مدينة الأندرين والتي ذكرها الشعراء الجاهليون كقول عمرو بن كلثوم في مطلع معلقته المشهورة :

ألا هبي بصحنك واصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

وليس أدل على هذا التقدم الزراعي ما جعل حوضة سلمية عامرة بالسكان الذين لم تكفهم زراعة السهول فاتجهوا الى زراعة الجبال المحيطة بحوضة سلمية •

زراعة المدرجات الجبلية :

بنظرة يتفحص الانسان فيها سفوح الجبال،وبالأخص سفوح جبال العلاء، يجد أن السفوح الملساء أصلا قد استحالت الى مدرجات ، ولئن كانت هذه المدرجات اليوم خالية من الحياة الزراعية فإنها كانت فيما مضى عامرة بالزراعة الشجرية المثمرة ، والتي توضعت في هذه المدرجات بنوعيها •

الاول : مدرجات عرضانية الثاني : مدرجات طولانية

وهذا النوع من الزراعة الجبلية معروف في الشرق الاوسط ، سواء كان في اليونان أو في ايطاليا أو في سفوح شمالي افريقيا وبلاد الشام ، ويعتقد أن الزراعة التي سادت هذه المدرجاتهي الكرمة واللوزيات والتفاحيات والزيتون وهذا ما يدل على أن الرومان ، قدأولوا حوضة سلمية اهتماما كبيرا باستثمارهم الواسع بكل طاقاتها الانتاجية من الناحية الزراعية معتمدين على أحدث السبل المتطورة في عصرهم •

وتمتهر الأقنية الاسلوب المتطور في حوضة سلمية ، وقد استطعنا أن نحصي بعض هذه الاقنية ، والتي يطلق عليها السكان المعاصرون أسماء قد لا تكون هي الاسماء المعروفة بها قديما ، وهي على الشكل التالي[1] .

الاقنيــة في اراضــي مدينــة ســلميــة

١ ـ الغندوية

٢ ـ عين القصب

٣ ـ تل عرق

٤ ـ بركان

٥ ـ عين الزرقا وهي عدة أقنية العين مخرجها

٦ ـ الشيحاوية

٧ ـ عين خزام

٨ ـ المالحة ومجموعة أقنية

٩ ـ المنطار

١٠ ـ الشادوف

١١ ـ قناة المدرسة الزراعية

١٢ ـ السبيل وهي مجموعة أقنية

١٣ ـ بكور

---

(١) لقد اعتمدنا في دراسة هذه الاقنية على مجموعات من المزارعين الذين كانوا يستفيدون من مياهها قبل جفافها مؤخرا .

١٤ ــ عين العامود

١٥ ــ المزيرعة وهي مجموعة أقنية

١٦ ــ جديدة

١٧ ــ الشيخ علي وهي مجموعة أقنية في حوضة واحدة

١٨ ــ قناة طاحون المعبد كانت تدير سبع أحجار رحى

١٩ ــ أقنية عربيد وعددها أربع

٢٠ ــ قناة بين الجبال

٢١ ــ القطلبية

٢٢ ــ أبو رباح وهي عدة أقنية بمخارج عديدة

٢٣ ــ الخصيمية وهي مجموعة أقنية

٢٤ ــ الكريم مجموعة أقنية متفرقة

٢٥ ــ قناة طاحون المطمورة

٢٦ ــ قناة ميرزا

٢٧ ــ قناة شاهين

٢٨ ــ قناة الشيخ أحمد

٢٩ ــ قناة وشقة بكور الغربية

٣٠ ــ قناة الصيادة وهي مجموعة أقنية

٣١ ــ قناة الامير اسماعيل

٣٢ ــ قناة عين الصخر

٣٣ ـ قناة عبيلو

٣٤ ـ قناة كردوش

٣٥ ـ قناة المرج الشرقية

٣٦ ـ قناة المرج الغربية

٣٧ ـ شقة كريم

٣٨ ـ قناة غزيلة

٣٩ ـ قناة البيضاء

٤٠ ـ سعن القبلي

٤١ ـ سعن الشرقي

٤٢ ـ سعن الغربي

٤٣ ـ أم الرجوم

٤٤ ـ قناة حانا

٤٥ ـ أم ديه

٤٦ ـ عين الصغيرة

٤٧ ـ عين عيدون

٤٨ ـ مجمع العيون

٤٩ ـ الميدونية

٥٠ ـ الوجرة

٥١ ـ خريص الغربية

٥٢ ـ خريص الشرقية

٥٣ ـ المرقب

٥٤ ـ عين خزام الشرقية

٥٥ ـ الشادوف الغربية

٥٦ ـ قناة القطريب

٥٧ ـ السبيل وعددها اثنتان

٥٨ ـ البردة

٥٩ ـ زغرين

٦٠ ـ السبخة

٦١ ـ فرج

جميع هذه الاقنية تسيل في أراضي مدينة سلمية ، وهناك مجموعات الاقنية التي تسيل في ريف مدينة سلمية على سعة حوضتها وهي كالتالي :

اقنية غربي سلمية

١ ـ قناة جعفر الصادق

٢ ـ قناة أبي مصع

٣ ـ الفوار

٤ ـ أقنية خريص الغربية

٥ ـ قناة المير

٦ ـ أقنية عيون كحيل

٧ ـ قناة أبي دودة

٨ ـ قناة دنورة

٩ ـ عين العامود الغربية

١٠ ـ قناة قبة الكردي

١١ ـ قناة وشقة قبة الكردي الغربية

١٢ ـ عين صميع

١٣ ـ قناة القنطرة

١٤ ـ قناة فويرة في الكافات

١٥ ـ قناة الزور

١٦ ـ قناة الخربانة الغربية

١٧ ـ قناة الخربانة الشرقية

١٨ ـ قناة الضيق

١٩ ـ قناة الطاحون الغربية في تل درة

٢٠ ـ قناة الطاحون الشرقية

٢١ ـ قناة الرباصة

٢٢ ـ قناة ميرزا القبلية

٢٣ ـ قناة طاحون الامير

٢٤ ـ قناة ومسيل التل

اقنية شرقي سلمية

١ ـ قناة السدة في تل التوت

٢ ـ قناة التل قرب تل التوت

٣ ـ قناة الشمالية

٤ ـ قناة مالطة

٥ ـ قناة الخفية

٦ ـ أقنية بري الغربي وعددها ثلاث أقنية

٧ ـ أقنية بري الشرقي وعددها أربع

٨ ـ أقنية المنجر الغربي وعددها اثنتان

٩ ـ أقنية المفجر الشرقي وعددها أربع في مخرج واحد

١٠ ـ أقنية فريتان وعددها اثنتان ١٣ ـ قناة أم ميل

١١ ـ أقنية تل جديد وعددها ثلاث ١٤ ـ أقنية القسطل

١٢ ـ قناة الخريجة

اقنيــة شــمالــي ســلميــة

١ ـ قناة تل عدا ١٠ ـ أقنية الطباوي وعددها ثلاث

٢ ـ قناة تل سنان وشقتها ١١ ـ أقنية الشيخ هلال وعددها اثنتان

٣ ـ أقنية جصين ١٢ ـ أقنية أم الميال وعددها اثنتان

٤ ـ أقنية منطقة السبخة وعددها ثلاثة ١٣ ـ أقنية السعن وعددها ثلاث

٥ ـ أقنية جدوعة وعددها أربع ١٤ ـ أقنية جديدة وعددها اثنتان

٦ ـ أقنية عقارب وعددها ثلا ث ١٥ ـ أقنية تل عبد العزيز

٧ ـ أقنية صبورة وعددها ثلاث ١٦ ـ أقنية أبي جبيلات

٨ ـ أقنية المبعوجة وعددها اثنتان ١٧ ـ أقنية ديل العجل

٩ ـ قناة ثقيلة

هذا ما أمكنا إحصاؤه من الاقنية مع العلم أن العديد منها قد تجمع في مخرج واحد ، تخرج منه عدة أقنية ، ويطلق عليها اسم واحد ، لذا لا يمكن العدد مطابقا لو اعتبرنا كل قناة على حده ، وقد استطاع السلميون المعاصرون استثمار كل الاقنية المذكورة ، مع العلم أن هناك أقنية عديدة لم تفتح وبقيت مدثورة ، ولم تستعمل في عصرنا ، لذا يمكن التأكيد أن الرقم الذي ورد في الحولية التاريخية قد أكده جعفر الحاجب في سيرته برقم تقريب من رقم الحولية، وكل ذلك دلالة على عبقرية الرومان ، وازدحام السكان ومدى اعمار حوضة سلمية في ذلك العهد .

الفصل الثاني

من المسيحية ... حتى الاسلام

المسيحية في بلاد الشام :

أجمعت أكثر المصادر ، أن ولادة السيد المسيح[1] كانت بين العامين ٧ ــ ٦ م ، عندما كان اسم الامبراطور أغسطس يملأ الدنيا ، كان ذلك المولود، وبظهوره في الشرق ، حمل للعالم رسالة الحب والسلام ، ولترتفع مكانته حتى أن التاريخ نفسه غدا يأخذ بالميلاد المقدس كحد للتاريخ قبل وبعد الميلاد .

ومع أن حياة السيد المسيح لم تكن طويلة ، فقد أعدم صلبا وهو في الثلاثينات من عمره ورغم أن هذا العمر كان قصيرا ، إلا أن فعله وأثره كانا كبيرين ، لما تجلت به حياة السيد المسيح من قيم روحية واجتماعية ، مما أهلها أن يكون لها ذلك التأثير الإنساني الكبير في ملايين الأتباع المخلصين لمبادئه الروحية السامية .

كان الشرق مشبعا بالنظريات اليونانية الهلنستية والشرقية الفارسية والكابية واليهودية ، لذلك لم تعتبر حركة السيد المسيح شيئا جديدا أوحديثا يخالف الأفكار الشرقية لا كما لاقت هذه الحركة من مجابهة في الغرب عنيفة وأحيانا دامية .

فلقد تمثل الشرق النظرية المسيحية رغم ما فيه من نظريات تصطرع وأفكار تضطرب لأن ما طرحه السيد المسيح من مبادىء لاقت قبولا في راحة النفس الانسانية المعذبة والمحرومة ، بآمال كبيرة في ملكوت السماء ، وفي

---

(١) تاريخ سورية ــ د فيليب حتي ــ ج١ ــ ص٣٦٣ .

الدعوة لعبادة الإله الواحد النظرية لم تلق ردا أمام الطرح الوثني لفكرة تعدد الآلهة ، لتعمق هذه الفكرة قبل السيد المسيح بمئات السنين لدى طرحها في مصر بما كرسه (أخناتون) فرعون مصر في هذا الميدان وما دعا اليه موسى عليه السلام ، لذلك كان الشرق على رحبه يتمثل هذه الدعوة ولا يرفضها ، ولكن الرفض العنيف جاء من الغرب ، فقد حكم الامبراطور الروماني (دوقينيان) على ابن عمه بالاعدام ، لأنه آمن بالمسيحية ، وذلك عام / ٩٥/م وقد سبقته اضطهادات أكبر عام / ٦٤ /م بإعدام القديس بولوس في روما ، وبعده بثلاث سنوات حكم على القديس بطرس بالصلب لنفس السبب ، وقد قتل من جراء هذه الاضطهادات ألوف من الناس بطرق وحشية لاإنسانية ، حتى عهد الامبراطور قسطنطين الذي جعل الديانة المسيحية ديانة الدولة الرومانية •

وازدهرت بعدها الديانة المسيحية ، وعاش المسيحيون متمتعين بازدهار الدولة الرومانية ، أما في الشرق وبالأخص في بلاد الشام ، فقد تطور المفهوم المسيحي فكريا بإغنائه بالأفكار الهلنستية الشرقية ، مما أدى لوقوع الخلافات العقائدية في المسيحية بين شرقي الدولة الرومانية وغربيها ، هذا الخلاف الذي أدى فيما بعد لانقسام الدولة الرومانية نفسها عقائديا وسياسيا •

وبقي الشرق العربي مبعث الابداع المسيحي ، فازدهرت مدنه ، فأصبحت أنطاكية عاصمة دينية تتبعها العديد من الأبرشيات في دمشق وطرابلس وسلمية والرصافة ، في الوقت الذي وقفت أديسا فيما بين النهرين عاصمة تنافس أنطاكية باعتبارها مركزا للمسيحيين السريان ،في أواخر القرن الثاني للميلاد ، وتبدى الابتكار المسيحي في التعبد بأساليب متباينة بما تهدف اليه المسيحية من انقطاع عن الحياة المادية ، الى حياة روحية شأن المسيح ودعوته لذلك تركزت في الشرق أساليب عديدة كان أشهرها •

١ ـ الكنائس :

وهي دور للعبادة تضم جميع الناس على كافة مستوياتهم ، حيث تمارس

فيها طقوس العبادة بشكل جماعي بقيادة الرهبان والمسؤولين الدينيين الذين كانوا مع الزمن يفلسفون المسيحية مقتبسين الأفكار الشرقية بنوازعها العديدة، وقد برزت الكنيسة الشرقية على نقيض الكنيسة الغربية فكرا وسلوكا •

٢ ـ الحركة الديرية :

وهي أسلوب من العبادة الهادفة للانقطاع عن العالم المادي ، والانصراف للعبادة الروحية الخالصة ، شأن ما دعا اليه السيد المسيح تهيئة للوصول الى العالم الروحاني في الدعوة لملكوت السماوات متقنعين بالفلسفة اللاهوتية[١]•

وأول من أبدع فكرة الدير هو الراهب أفرام في حوالي ٣٧٣ م في صحراء سيناء ثم في وادي العقبة ، لتبدأ في تقدمها نحو الشمال الى فلسطين والشام متتبعة طرق القوافل التجارية،إذ كان التجار يقدمون لهؤلاء الناسكين المنقطعين عن الحياة المادية كل المساعدات ، من مطعم وملبس ، وهم معتصمون وراء جدران أديرتهم يدعون لملكوت السماء أن يتقبلهم بدون خطايا العالم المادي •

وهكذا عم الشرق هذه النزعات على أكمله لتزحف بعده الى أوروبا وتنتشر فيها •

الآثار المسيحية في حوضة سلمية

أينما سرت في مدينة سلمية أو ريفها تطالعك المظاهر المسيحية هنا وهناك بالعديد من المنحوتات والنقوش التي تحمل في مضمونها معاني المسيحية ، مما يدل على أن العهد البيزنطي المسيحي قد لاقى ازدهارا في سلمية، فنمت فيه وانتشرت حتى شملت كل جوانب الحياة ، وبعد دراسة مستفيضة

---

(١) تاريخ سورية ـ فيليب حتي ـ ص ٤٠٤ .

لهذه الآثار أمكننا حصرها في مجالين اثنين هما :

١ ـ الكنـــائـــس :

يذكر جعفر الحاجب في رسالته بعنوان (استتار الأئمة) أن سلمية كانت حاضرة مسيحية وأنها ذات أثر في وسط بلاد الشام ، وتشكل مركز الأبرشية امتد سلطانها من الرصافة شرقا حتى معرة النعمان والأندرين ووادي العاصي وطرابلس الشام وشمال لبنان ، وقد بلغ عدد الكنائس التابعة لها حوالي / ٧٦ / كنيسة كبيرة •

وقدتبدت الآثار في منطقة سلمية عن آثار بارزة لهذه الكنائس •

الأبرشـــية :

كل الدراسات تدل على أن مركز الإمام اسماعيل اليوم هو مركز الأبرشية سابقا فقد حول الروم المسيحيون مركز معبد جوبيتر الذي أولوه اهتماما زائدا واعتناءا كبيرا ، حوله الروم المسيحيون بسهولة الى كنيسة ، توسعت فيما بعد ، وأصبحت مركزا دينيا يتبعه العديد من الكنائس •

وتدل الآثار المتواجدة أن المسجد ذا سبعة المحاريب هو نفسه الكنيسة الخاصة بالأبرشية ، إذ كان له صحن دار كبير يحيط به العديد من الاروقة ذات الأقواس والأعمدة ، وبداخلها العديد من الغرف ، والتي تقوم داخلها المنشآت التابعة للأبرشية من تدوين واستضافة وزوايا تعليمية لتخريج رجال الدين ، وبلغ من سعتها أنها شملت مساحة تقدر بـ / ١٠ / آلاف م٢ ، تتوسط سلمية قبل الاسلام ، وقد لعبت هذه الأبرشية دورا كبيرا نظرا لموقعها الحساس وسط بلاد الشام وتبع هذه الأبرشية العديد من الكنائس ، وقد تم اكتشاف بعض هذه الكنائس حاليا في منطقة سلمية وهي على التوالي :

١ ـ كنيسة الشيخ هلال : ويطلق عليها العامة اسم (قلعة) ،وتتألف من بقايا كنيسة يجاورها دير له فسحة رحبة تقوم على أطرافها غرف الدير وقد

هدمها السكان فلم تبق سوى رسومها •

٢ ـ كنيسة العلباوي : وهي رسوم لكنيسة ظهرت أرضيتها المرصعة بالحجارة الملونة والتي تدل على مدى تقدمها ، مما استدعى مديرية الآثار الى تغطيتها خوفا عليها من التخريب •

٣ ـ كنيسة القسطل : وتظهر منها بقايا الجدران المهدمة والقاعة الكبرى المتجهة شرقا •

٤ ـ كنيسة أسرية : وهي متحولة عن معبد وثني لا تزال قائمة في أطراف آثار أسرية •

٥ ـ كنيسة عقارب : وتقع غربي القرية ، بما يسميه السكان المعاصرون (القلعة) ، وهي بقايا قرية بيزنطية محصنة حدثني عنها السيد محمود سيفو فقال : « لقد هدمت أكبر بناء في القلعة وهذه الحجارة منه ، ولقد جئت بهذا الجرن من وسط البناء » •

أما الحجارة فجميعها تحمل شارة الصليب المقدس ، وأما الجرن فهو جرن المعمدانية يظهر من الصلبان التي تزينه والثقب الموجود في أسفله لتصريف الماء بعد عملية التعميد المقدسة وهو من الحجر البازلتي المصقول •

وحتى اليوم تبدو مظاهر الكنائس في منطقة سلمية جلية ، فإن هناك العديد منها منتشرا في قرية فويرة وعلي كاسونوزغرين وبعضها الآخر مغمور أتت عليه يد الانسان المعاصر تهديما للاستفادة من الحجارة في البناء سواء كان في سلمية أو ريفها المعاصرين •

الحركة الديرية في سلمية :

الحركة الديرية في سلمية هي جزء من الحركة الديرية الكبرى في بلاد الشام ، ولقد شجع وجود الطرق التجارية في حوضة سلمية على انتشار هذه الأديرة ، والتي لا يزال بعضها موجودا حتى اليوم ، أو توجد بعض آثارها الدالة عليها •

وبعد الدراسة تبين أن الأديرة سايرت الطريق التجارية القادمة من (أرتسوزا) الرستن على شاطيء نهر العاصي حتى قرية القنطرة مارة بقرية عسيلة ثم تتجه شرقا ، لتمر من شرقي قرية تل درة وطاحون المعبد ، وبعدها تتجه من شرقي جبل عين الزرقا ، مارة بالقرب من قلعة شميميس ، ثم تتجه شرقا مارة بالقرب من جبل الخضر متجهة الى الشمال الشرقي ، ومارة من قرية جدوعة وصبورة وفويرة والسعن والشيخ هلال باتجاه خرب أسرية ثم شمالا الى حوض نهر الفرات على هذه الطريق توضعت العديد من الآثار للحركة الديرية •

ففي قرية عسيلة آثار دير لا تزال بعض حجارته المسحوبة مدسوسة في بعض أبنية القرية الحديثة ، وكذلك توجد بقايا دير قرب قرية القنطرة على الضفة الشرقية لنهر العاصي ،وهي بادية كرسوم لكنيسة وعدد من الغرف وجدار خارجي هو السور الضام لها •

وشرقي قرية تل درة بقايا دير كبير يطلق الأهلون عليه اسم (جعفرالطيار)، لا تزال بعض الحجارة موجودة فيه ، بينما سحب أكثرها عندما بنيت قرية تل درة وهي موجودة كعتبات وأحجار زوايا ، تحمل كلها شارات مسيحية لأنواع من الصلبان ، كما حولت الأعمدة بعد كسرها من قبل السكان لتكون مداحل لأسطحتهم الترابية ويسمونها (معرجلين) •

وتدل آثار طاحون المعبد على أنها تابعة لدير ذي أصول يونانية ، وأعمدة هذا الدير وحجارته تجمع بين الآثار اليونانية والمسيحية في آن واحد ، ويستدل من الدراسة أن بقايا كنيسة صغيرة وزوايا وغرف للرهبان الى جانب الطاحون الأثرية القديمة •

كما يشكل مزار الخضر (المارجورجيوس) الجاثم فوق جبل الخضر مقابل من الشمال لمدينة سلمية أنه دير كبير باق بكامل شكله ، حتى الفتح الإسلامي ، إذ حولت كنيسته الى مسجد صغير وحول اسم الدير من دير

المارجورجيوس الى مزار الخضر الحي ، ويلحق بهذا الدير العديد من الغرف وبعض المغاور في سفوح الجبل •

كما حدثنا العديد ممن بنوا قرية صبورة أنهم خربوا ديرا ومركزا للمسيحية ، كان قرب التل ، ولا يزال أثر هذا الدير واضحا شمالي التل ، إذ قام السكان بحفر الجدران وسحب الحجارة لبناء بيوتهم لتنهض قرية صبورة ويدثر الدير الأثري •

كما أن في قرية فويرة حتى الوقت الحاضر بقايا أعمدة وحجارة مسيحية، هي بقايا دير فويرة الذي أتى عليه الانسان تخريبا •

أما في ناحية السعن فقد حدثنا العديد من المعمرين : أن بناة قرية السعن استفادوا كثيرا من الحجارة المربعة التي سحبوها من خربة السعن ، والتي وصفوها لنا بأنها عبارة عن بناء كنيسة يتبعها العديد من المنازل ، فهي إذا حسب وصفهم دير كامل •

كما شاهدنا قرب قرية الشيخ هلال بما هو موجود حتى الوقت الحاضر بقايا دير كبير يقع شرقي القرية وهو مؤلف من كنيسة وعدد كبير من الغرف يحيط بها جميعا سور ذو حجارة بيضاء كلسية بعكس كل الأديرة السابقة التي كانت حجارتها بازلتية سوداء ، ولضخامة بناء دير الشيخ هلال كان يطلق عليه ولا يزال اسم (القلعة) بما رأوه من ضخامة في السور وإحكام في البناء •

والزائر الى إسرية يجد المعبد الروماني الوثني وقد حول الى كنيسة يتبعها عدد من بقايا قصور ورسوم لأبنية تعاصر من حيث البناء حضارة تدمر القديمة ، ولكن المظاهر المسيحية ظاهرة فيها عندما حول المعبد الى دير له ملحقاته •

المظاهر المسيحية في منطقة سلمية :

تبدت هذه المظاهر عن مجموعة منحوتات حجرية ، وهي إما مخلفات

الكنائس التي لم يتناولها الإحراق والنهب لأنها أحجـار ، وأما محتويـات الكنائس الثمينة فقد نهبت وأحرقت غداة غزو الفرس لبلاد الشام بقيـادة كسرى أبرويز قبيل الفتح الإسلامي بقليل •

وتتألف المنحوتات الحجرية المسيحية من :

١ ــ الصلبان : وهي متواجدة بكثرة في منطقة سلمية ، وتتوضع إمـا على تيجان الأعمدة والمسماة عادة : (الجلاسات) أو لوحات حجرية يرافقها نقوش نباتية ، وبعدإحصاء نماذج هذه الصلبان ، ظهرت أنها على ثلاثة نماذج هي :

١ ــ الصليب القائم ٢ ــ الصليب الهلالي ٣ ــ الصليب المروحي

٢ ــ اللوحات المنحوتة : عثرنا في سلمية على جدار لآل عبيدو قبالة مقر المجلس الاسماعيلي على لوحة رائعة منحوتة على حجـر من البازلت ، وهي عبارة عن أيقونة أو تعويذة كلوحة مؤلفة من قسمين •

تمثل في قسمها الاول نحتا لصليب قائم أما القسم الثاني المجاور للأول فهو على شكل شيطان مرموز اليه بخطين على شكل اشارة ضرب فيها رأس بشري له عيون وشعر ، ومن المظاهر المعبرة عنها الصورة ، خوف الشيطان المعبر عنه من العيون المفتوحة والأيدي المنتصبة والشـعر المنتصب علـى الرأس ، وبعد دراسة هذه اللوحة ، استطعنا أن نضع لها عنوانا هو (اذا دخل الرحمن خرج الشيطان) ، ولقد بحثنا عن الآثار المسيحية في سـلمية وريفها ، فكنا نفاجأ بقول السكان : « لقد عثرنا في حفرنا عند بناء دورنا على العديد من الاعمدة والكتابات والجلاسات وأنواع من الحجارة ،ولكننا وضعناها في أسس أبنيتنا ••• » ويعود ذلك للجهل بقيمة هذه الآثار ،أو خوفا من مديرية الآثار أن تمنع البناء وتتملك المنازل ••

ولقد قال لي السيد حمدو حمود من سلمية بالحرف الواحد : « لقد عثرنا في دارنا القديمة على قاطع (عتبة) مكتوب عليها بأحرف أجنبية أربعة

(تعويذة من صليب قائم ورمز للنفس الشريرة)

(الصليب الهلالي)



أسد يعود للعهد الروماني من حجـــر البازلت

أسطر ، ولكن المعماري كسر الحجر وجعلها في أساس البيت ، فماذا تريد مني أحفر البيت من أجل كتابة لا نعرف معناها » ، في مثل هذه الكلمات التي سمعتها من العديد من مواطني سلمية وريفها المعاصرين اختفت أكثر الآثار الحضارية لسلمية واختفت معها معلومات ثمينة ، ومع ذلك ففي أي مكان سرت وسط المدينة اليوم تطالعك الحجارة بأنواعها تحمل ما كانت عليه سلمية كتحفة أثرية قبيل الإسلام •

الحروب والصراعات في بلاد الشام :

خلال حكم فوكاس الامبراطور البيزنطي ٦٠٢ ــ ٦١٠ م ، وصلت الدولة البيزنطية الى الهرم ، أو لنقل أنها بدأت تتجرع سكرات الموت ،فقد اعترتها نتيجة للارهاب الذي مارسه الامبراطور فوكاس بالفوضى الداخلية، حتى لكأنها ثورة شملت أجزاء الامبراطورية ، مما فجر الاخطار الخارجية على الدولة البيزنطية في البلقان وآسيا الصغرى على السواء ، فقد عمد كسرى أبرويز الامبراطور الفارسي لشن حرب على بيزنطة بحجة الثأر للامبراطور البيزنطي المقتول (موريس) الذي أعدمه فوكاس ، ولم تستطع قوات بيزنطة مجابهة القوات الفارسية ، فاحتل كسرى قلعة دارا عام ٦٠٥ م، وتوغل في آسيا الصغرى حتى وصل الى (خلقدونية)[١] قرب البوسفور ، وفي الوقت نفسه قام السلاف والآفاريون بالزحف على البلقان وكأن القسطنطينية بدأت تشهد نهايتها ، فإذا الله يقيض لها مخلصا ومنقذا من هذه المحنة ، كان هذا المخلص المنقذ هو (هيراقيليوس) حاكم قرطاجة وشمالي أفريقيا ، فأرسل ابنه هيراقيليوس الصغير بحملة بحرية ، جاءت الى القسطنطينية ، ودخلتها في ٣ تشرين الأول عام ٦١٠ م فانهار حكم فوكاس ، وتوج هيراقيليوس الصغير امبراطورا على بيزنطة •

---

(١) كتاب بيزنطة ــ دكتور نبيه عاقل ص ٤٥ ــ وتاريخ سورية ــ فيليب حتي ــ ص ٢ ص ٣ •

اتبع هيراقيليوس اصلاحات جددت دماء الامبراطورية البيزنطية، ورغم ذلك، فقد كانت آسيا الصغرى وبلاد الشام مسرحا لعمليات حربية ضارية بين الفرس المنتصرين وبيزنطة المنهزمة وتميزت هذه الحروب بالضراوة والحقد والكراهية ، وبخاصة في المعتقدات الدينية الحساسة ، لذلك كانت الاماكن الدينية المقدسة تتعرض للهدم والاحراق والدمار ، ففي عام ٦١٣ م ، وصل الفرس في تقدمهم الى أنطاكية ، ولم يكن هيراقيليوس قد استقر وضعه في العاصمة البيزنطية ، فقد كانت معركة أنطاكية ضارية انتصر فيها الفرس ، وتقدموا جنوبا يخربون ويحرقون كل ما يلاقونه أمامهم من أماكن دينية من كنائس وأديرة وابرشيات ومدن لها طابع ديني •

حتى لقد استحالت منطقة أنطاكية وجبل سمعان كوما من الخراب والرماد ، واتجهت قوات الفرس الى جبل الزاوية فخربت مدينة بارين ثم معرة النعمان ثم اتجهت نحو الشرق الى الأندرين ومنها اندفعت سيولا جارفة باتجاه حوضة سلمية •

ورغم أن القوات الفارسية لم تلق أية مقاومة في سلمية ، لكن هذا لايمنع من احراق الكنائس وتدميرها ، فاندلعت ألسنة اللهب ، وتبددت في أيام معدودة تلك الظواهر الحية لتستحيل الى كوم من رماد وخراب ودمار •

ولاقت كل المظاهر الدينية في بلاد الشام على طول مسيرة الحملة نفس المصير وغدت أبرشية سلمية الموقه ردما بعد أن نهبت نفائسها الثمينة الذهبية والفضية ، وهرب سكان سلمية مشتتين الى الجبال من الموت الراعف بالحقد اللاهب •

فاستحالت الصروح العالية كوما من حجارة متناثرة ، فلا ترى إلا الأعمدة والتيجان التي تناثرت على بطاح كل قرية ومعمورة ، فتعطلت الحياة وذوت روح البهجة فيها ، وصوحت العرصات وقطعت الأشجار ، وغدت كل مظاهر الحياة تذوي حاملة معها شارة الموت • واستحالت السهول المرعة

الملأى بالحيوية والغناء والأنس سهولا صامتة تئن تحت وطأة وقسوة الحرب ودمارها .

أما القدس ، فقد لاقت مالاقته سلمية ، وبشكل أعنف ، فقد قتل الآلاف من الناس المدافعين عبر الأسوار العالية ، وغدت جثث القتلى تملأ الشوارع والممرات على مدى ثلاثة أسابيع من الحرب الضروس ، واستطاع الجيش الفارسي أن يتعدى الأسوار ويدخل المدينة المقدسة التي تهاوت صرعى أمام حراب الفرس الشرسة ، واندلعت فيها ألسنة النيران ، وحتى كنيسة القبر المقدس التي بناها قسطنطين الكبير ، أتت عليها النيران بعد نهبها ، وحمل الفرس الصليب الأكبر المقدس بشكل مذر كأعظم غنيمة غنموها الى عاصمتهم المدائن[1] عام ٦١٤ م ، وعاد الفرس ثانية الى بلاد الشام محاربين،ولم يكن هيراقيليوس قد أتم استعداده مما جعل القسطنطينية تحاط بالأخطار من جديد ، فقد وقع للمرة الثانية بين نارين نار الفرس القادمين من الشرق والآفاريين والسلاف القادمين من الغرب .

كانت خطة هيراقيليوس ، إرضاء الآفاريين بالجزية حتى يتفرغ لحرب الفرس ، وفعلا خرج هيراقيليوس من القسطنطينية على أتم الاستعداد ، وبدأ أعمال حربية باهرة الانتصار في ربوع آسيا الصغرى وسورية الشمالية ، وكانت قوات بيزنطة في تقدمها المضطرد حتى وصلت الى مدينة (دفين) وهي أول بلاد ما بين النهرين في آسيا الصغرى ، ثم احتلت مدينة (تحتزك) عاصمة أردشير القديمة ، وهرب كسرى من المعركة ،وهدم الروم البيزنطيون معبد زاردشت انتقاما لما فعله الفرس في كنائس بلاد الشام والقدس[2] ، واتخذت الحرب بعدها شكل السجال حتى عام ٦٢٨ م ، حيث بدت قوة بيزنطة أرجح في النصر ، إذ جردت كل آسيا الصغرى من الحكم الفارسي،

---

(١) تاريخ بيزنطة ــ دكتور نبيه عاقل ــ ص ٤٧ .

(٢) تاريخ بيزنطة ــ دكتور نبيه عاقل ــ من ٤٧ ــ ٥٢ ــ وكتاب تاريخ سورية ــ فيليب حتي ــ ج٢ ص٣ .

وحررت سورية بأكملها ،واتجهت القوات البيزنطية بقيادة هيراقيليوس لفسه الى المدائن العاصمة الفارسية الكردية ، واستطاع دخولها بالقوة واستعاد الصليب المقدس في ١٤ أيلول عام ٦٢٦ م ، واستحق إذاك أن يكون الامبراطور المنقذ لبيزنطة والنصير الأكبر للمسيحية ، وقد حقق الانتصارات بسلسلة من المعارك كان الفرس ينهزمون في كل معركة ، فمن معركة نينوى الى معركة بابل الى معركة المدائن التي كانت آخر المطاف ورأس كل انتصار ..

مميزات الحروب الرومية الفارسية :

حدثت هذه الحرب بين عامي ٥٩٦ — ٦٢٩ م ولها ميزات هامة :

١ — كانت هذه الحرب قائمة بين دولتين كبيرتين ذات امكانيات كبيرة في جميع المجالات .

٢ — اتخذت هذه الحرب شكلا دينيا إذ شحنت بالكراهية والأحقاد كل فئة على الأخرى من وثنية فارسية ومسيحية .

٣ — أدت هذه الحروب لدمار العديد من المدن ، وبالأخص الطابع الديني ، من أمثال أنطاكية والقدس وسلمية ، والعديد من الكنائس والأديرة والمعابد في بلاد الفئتين المتحاربتين .

٤ — غدت كلتا الدولتان في أواخر هذه الحروب من فرس وروم في تعب وعجز ، إذ قبع الفرس يلهثون ، فيما بين النهرين ، والبيزنطيون مجهدين منهكين رغم ما حققوه من نصر ، وكأن القوتين عجوزان تعاركا ثم طال العراك ، فجلس كل منهما منهكا يلملم جراحه ويمسح عرقه المكدود .

الشرق يرفض التحدي :

حدد أرنولد توينبي أحداث التاريخ في نظريته العلمية القائلة : (إن

الأحداث تتكون دائما من فعل يعقبه رد فعل) ، ومن هنا جعل تونبي العلاقات البشرية تقوم على مبدأين :

١ ـ العلاقات الايجابية : والتي تعني انتشار روح التعاون والتبادل بين مجتمعين لهما نفس القيم والمؤهلات الاقتصادية والاجتماعية أو القيم الروحية،مما سبب الاختلاف الذي يؤدي الى تفاقم روح الانقسام والبغضاء التي من أهم نتائجها الحرب •

وعلى هذه المستويات ، فقد تباينت العلاقات بين الفرس واليونان ، مما أدى لاجتياح الفرس في عهد الملك دارا وابنه كزركيزس بلاد اليونان ، والذين شعروا بأن هذا الفعل مشين لعاداتهم وتقاليدهم ، فكان ردهم عنيفا بطرد الفرس وظهور الاسكندر المكدوني الذي رد على الهجوم الفارسي باجتياحه لبلاد الشرق بما فيه أرض بلاد فارس •

ولعل البنية المختلفة بين مقومات الدولة الفارسية والدولة البيزنطية ، كانت لها أعمق الأسباب في قيام الحرب كفعل قام به الفرس عندما اجتاحوا بلاد بيزنطة ، واستهانتهم بالمقدسات ونهبهم للصليب المقدس ، الأمر الذي رد عليه الروم بالحرب المدمرة بقيادة هيراقيليوس واستعادة الكرامة المسلوبة •

ماذا لبلاد العرب ؟ كلتا القوتين الفارسية والرومية تتحديان العرب باحتلالهما لأراض عربية ، فالفرس يحتلون ما بين النهرين ، والروم يحتلون بلاد الشام ومصر وشمالي أفريقيا ، وقد أدت الحروب بين هاتين القوتين الى أنهاكهما وعجزهما ، فجاء رد الفعل العربي من شبه الجزيرة العربية •

فقد تحدى العرب البيئة الصحراوية و البنية الاجتماعية الصحراوية في مجتمعهم بظهور الإسلام ، الذي بدل جذريا حياتهم وكيانهم الاجتماعي ، وهذا الرد العنيف في شبه الجزيرة العربية ، هيأ كل الظروف لرد الاعتبار لإنقاذ البلاد المحتلة ، فكانت حروب التحرير العربية وبعد حروب الفتح خارج الوطن العربي ، إذ أوصلت العرب الى حدود الصين والسند وبلاد

الأندلس غربا وشرقا ، وهذا ما يفسر لنا الموقف الحاسم من القبائل العربية التي كانت تحت الحكم الفارسي والرومي أعلنتا انضمامهما للقوة الناشئة ، رغم الاختلاف في الدين والمذهب ، لقد رفض العرب تحدي الاعاجم وقبول الرضوخ والانصياع عندما قام بنو جلدتهم بالحرب،فكانوا أكبر نصراء لهم، ومن عداد القبائل الشامية المنضمة للزحف العربي ، قبائل كنده وتغلب والغساسنة وعلى رأسهم ملكهم جبلة بن الأيهم ، وعلى هذا الأساس انهارت القوى الأعجمية من فارسية ورومية بسرعة أمام القوة العربية مع الفارق الكبير في العدد بين الفرس والروم والعرب،وهكذا تسنى للعرب أن يدخلوا الحضارة الانسانية من أعرض الأبواب حاملين مشاعل المساواة والأخوة والرحمة والعدل الى جميع أصقاع العالم بشعار الدين الذي نشروا ألويته عبر الجحافل المتجهة غربا وشرقا .

العرب والفتوحات عام ٦٣٤ م :

أوضاع الروم بعد انتصاراتهم على الفرس : كانت انتصارات هيراقيليوس العظيمة على الفرس ، بإعادة الدولة البيزنطية الى سابق عهدها من السعة والعظمة مدعاة لشعور الشعب الرومي بأكمله بالإعتزاز والفخر بملكه حامي الدين ، وباني الدولة العظيمة ، وغدت الجموع الرومية في كل مناسبة تهلل لقائدها هيراقيليوس بكل عبارات الإكبار والثناء ،ورغم كل هذه المشاعر ، فقد اجتاحت حياة الملك المنتصر مأساة اهتز لها الشعب أسى ونفورا ، فقد اهتز العرش الهيراقيلي ، لما أبداه الشعب من كراهية بعد حب ، وازدراء بعد إكبار واعتزاز ، وتتجسد المأساة على ما يأتي :

كان هيراقيليوس متزوجا من (فابيا بودوسيا)[1] الامبراطورة التي

---

(1) تاريخ سورية ـ فيليب حتي ـ ص ٢ ص ٣ .

ولدت له ولدين ابن هو هيراقليوس قسطنطين ، وابنة وهي (مارتيا) ، ولكن الامبراطورة فابيا توفيت عام ٦١٢م بمرض عضال،وقعت بعدها المأساة، إذ عمد الامبراطور بعد حوالي عشر سنوات من وفاة زوجته الى الزواج من ابنة أخيه (مارتينا) ، كان هذا الزواج بحد ذاته فضيحة ومأساة ، لدى شعب ديّن الى حد التزمت بالمبادىء المسيحية التي تحرم مثل هذه الزيجات ، وزيادة وإمعانا في الفضيحة والمأساة ، أصر على تسميتها باسم امبراطورة ، ومن هنا أدخلها في شؤون الدولة كاملة ، وزيادة على ذلك ، فقد نصب ابنها وليا لعهده[1] .

كانت توقعات كل الشعب البيزنطي ، أن نكبة لا بد أن تحل بالدولة ، نتيجة لهذه المعصية الإلهية التي اقترفها هيراقيليوس الامبراطور ، وغدت مشاعر الحب الشعبي تستحيل الى كراهية ومشاعر الإعتزاز تنقلب الى توجس من المستقبل الغامض ، فقد مات أولاد هيراقيليوس الأربعة من مارتينا ، وهذا ما أكد مشاعر الشعب المؤججة ، بأن هذه الوفيات بداية إعصار يدمر الملك والدولة والشعب ، فإن النكبة إن مست الملك فسوف تمتد لأسرته والى شعبه الذي كان ينظر للملك بدلا من نظرات الأمل والإكبار بنظرات التوجس والإضطراب تناجا لزواجه بتلك الفاسقة التي عصت ملكوت السماوات بالزواج من عمها الأحمق

وفعلا وقعت النكبة ، بزحف القوات العربية الى أرض الشام ، وانهيار سلطة هيراقيليوس رغم ضخامة جيشه بالعدد والعتاد على يد فئة صغيرة قادمة من الصحراء العربية .

العرب والفتوحات في بلاد الشام :

كانت بلاد الشام شبه مدمرة في أعقاب العديد من الحملات العسكرية بين الفرس والروم ، على مدى ما ينوف عن ثلاثين سنة ٥٩٦م حتى ٦٢٨ م ، وقد غدت القوة الرومية منهكة،رغم الانتصارات التي حققتها،فقد تدهورت

---

(١) تاريخ بيزنطة ــ دكتور نبيه عاقل ــ ص ٥٣ .

الحالتان المعنوية والمادية في نفوس جيوش أنهكتها الحرب المتنقلة في مناطق متباينة بين الأناضول وبلاد الرافدين وبطاح سورية وجبال فلسطين ، هذه المساحات الشاسعة كانت كلها مسارح لحرب ضروس وعمليات عسكرية باعثة على الدمار وإراقة الدماء حتى أتت على كلتا القوتين الفارسية والرومية بالإنهاك والضعف .

فيما كان العرب يشكلون قوة ناشئة ، عمر قلبها الإيمان والاعتداد بالنفس ، وكان الرسول الكريم قد عقد لواء الحرب لأسامة بن زيد المتوجه الى الشام ، ليأخذ بثأر أبيه المقتول في وقعة مؤتة الشهيرة ، ولكن وفاة الرسول الكريم أعاقت مسيرة هذه الحملة ، حتى كانت خلافة أبي بكر الخليفة الأول ، وانقضاء حروب الردة ، كان أمام الخليفة أن يسير أربعة جيوش الى الشام عام ٦٣٤ م ، وكانت أشهر المعارك ضراوة تلك التي كانت في فلسطين ، فقد وقف سوفرنيوس بطريرك القدس مدافعا مستميتا في الوقت الذي انهارت فيه المقاومة البيزنطية الرسمية،لتأخذ الحرب في فلسطين طابعا دينيا متصلبا .

كانت القوة الرومانية المنسحبة من فلسطين قد اعتصمت في مدينة دمشق ، ومن هنا غدت المقاومة في فلسطين شديدة متسمة بالإستماتة من قبل رجال الدين معتقدين أن الإسلام سيقضي على المسيحية ، في الوقت الذي كان موقف هيراقيليوس بارد الاهتمام بكل الحرب الدائرة في جنوب بلاد الشام ، بعكس موقفه إزاء الفرس وذلك يعود لأسباب هامة :

١ ــ يعتبر هيراقيليوس أن العرب ليسوا سوى غزاة مؤقتين .

٢ ــ واعتبر المهاجمين ليسوا ذوي قوة لها أهميتها ، لكونهم من شبه الجزيرة العربية التي لا تشكل في اعتقاده دولة ذات رهبة وسطوة .

٣ ــ كان التعب والملل قد ألما بجيشه نتيجة للحروب التي خاضها ضد الفرس ، لذلك عزف الجيش عن حل الأمور بالحرب باعتباره تحديا دينيا

وليس سياسيا،مما أجج في نفس البطريرك سوفرنيوس روح الدفاع بحماس المتعبد الذي يشعر أن دينا آخر ينافسه بشكل جيش محارب ، فقد غدا بطريرك القدس قائد حرب يحمل الصليب المهدد بيد والسيف المشهور للدفاع بيد أخرى ..

ومع أن حماس المسيحيين كان كبيرا ، إلا أن خبرتهم الحربية كانت قليلة ، فلم تمض سوى أقل من سنة حتى تهاوت مقاومة الرومان وقوات البطريرك ، لتصبح الحرب مقاومة سلبية من خلف الأسوار ، سواء كانت في القدس أم في دمشق ، وكان للصلح وفتح القدس أثر كبير في تجمع القوة في دمشق بعد معركة اليرموك المشهورة ، واندحار الرومان فيها بتاريخ ٢٠ آب سنة ٦٣٦ م ، هذه المعركة التي اعتبرت فاصلا في تاريخ العرب والبيزنطيين إذ غدا الرومان بعدها أعجز عن تجهيز جيش للحرب ، في الوقت الذي بدأ العرب فيه أمتن بنية وأقوى شكيمة وأرحم بالفاتحين من حكامهم في احترامهم للمقدسات المسيحية وإعطاء الإنسان المغلوب في الحرب اهتماما واعتناءا حتى لقد قال المؤرخ غوستاف لوبون عن العرب : (لا يعرف التاريخ فاتحا أرحم وأعدل من العرب) .

ولقد زاد العرب من اهتمامهم وقوة معنويتهم بانضمام العديد من سكان البلاد لهم معتبرين الروم أعاجم وحكاما غرباء .

كل هذه المشاعر دفعت هيراقيليوس لليأس القاتل ، فقد اسودت الدنيا أمامه وشعر بالمعصية وتتائجها ، وأنه الآن يقطف عار الجناية التي ارتكبها ، والتي توقعها له كل مسيحي في دولة بيزنطة ، أن الفشل سوف يحيق بالدولة ، وهذه هي النكبة المتوقعة ، فقد اندحرت القوة الكبيرة بجحافلها ذات العدد والعتاد أمام قوة صغيرة ، لأن الله تعالى أوقع الفتنة في جند ملك عاص زنديق لزواجه من ابنة أخيه .

حصار دمشق وفتحها : (١)

لم تجد القوات الهاربة من فلسطين أو اليرموك ملجأ تلجأ اليه من زحف العرب الذي يلاحقها سوى دمشق ذات الأسوار العالية الحصينة ، لذا كانت دمشق تبتلع في جوفها كل القادمين الهاربين من المعارك ، سواء كان مجيئهم عن طريق بانياس الحولة الجنوبية أي من فلسطين أم عن طريق حوران من اليرموك ، فقد أصبحت دمشق محتشدة بالسكان ، مما دهور الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية الى حد ينذر بالخطر ، ويبعث على الذعر والقلق ، من القادمين المتزايدة أعدادهم بعد كل تقدم تحرزه الفصائل العربية ، وهناك بدأت تنقلب المفاهيم فقد أضحى الخوف مسيطرا على سكان دمشق بدلا من عدم المبالاة ، وأخذت القلوب تضطرب من هؤلاء القادمين من الصحراء ، لقد أيقن القواد الهاربون من اليرموك ، أنهم ليسوا أمام غزاة يريدون غنائم كما توهموا من قبل ، فقد بدا خطأ الاعتقاد واضحا من خلال المعاملة التي عامل بها العرب سكان فلسطين وأهل القدس ،واللطف الذي أبدوه لسكان الأرض المحتلة مما يدل على التحضر والحكمة التي فاقت سكان البلدان المتحضرة ، فإن انعكاس معركة اليرموك كان جذريا في رأي المحاربين الرومان ، من أن الذين يحاربون في الصف المقابل لهم ليسوا همجا رعويين بل مقاتلين جديرين بالنصر وقت القتال رحماء بعد نصرهم لا كما عهدوه بالفرس إبان اجتياحهم لبلاد الشام قبل حوالي ثلاثين سنة من تخريب الكنائس وتدمير الأديرة فوق رؤوس الرهبان ، وفي طمسهم لمعاني الحضارة المسيحية من خلال تدميرهم للمدن وتشتيتهم للسكان ٠

فقد تبدلت الصورة عن العربي القادم من الصحراء نتيجة إبقائه للقدس زهوتها تصدح فيها الأجراس الكنائسية بكل معاني الحرية ، ولم تمس يد عربية تحفة مسيحية من كنيسة أو تنهب قطعة ذهب من امرأة ، بل على العكس ، فقد حرص العرب المسلمون على ما تحتويه الكنائس كأشياء مقدسة لها حرمتها وقدسيتها وحصانة بقائها في خدمة الله تعالى ملكا للخالق

(١) مختصر تاريخ سورية ـ سيد أمير علي ـ ص ٩٦ ـ وفتوح الشام للواقدي ـ ج١ ص ١١١ ٠

العظيم ، لقد خاب اعتقاد الروم البيزنطيين ، أن العرب لم يكونوا سوى غزاة طامعين ناهبين كسابق عاداتهم فيما بينهم .

لقد تيقن الروم أن الإسلام الدين الجديد قد صقل نفوس أبناء تلك القبائل ، وأعدهم لحياة جديدة بلباس عصري جديد ، يحلمون من خلال ايمانهم بعقيدة جديدة أوحاها لهم نبيهم خلال الإسلام العادل والرحمة الواسعة .

فمن هنا تضاعف الخوف وراء أسوار دمشق ، فقد تكدست القوات الهاربة في الأزقة والشوارع والساحات بكل الفوضى التي ترافق عادة مثل هذه الأحوال ، من تجمعات غير منتظمة وتبديد لروح القيادة ، فقد أقصى الخوف مضاجع سكان دمشق .

طوق العرب دمشق ، ولم يقطعوا شجرة ولم يهدموا بيتا ، إذ كانت أهدافهم متجهة كليا لفتح المدينة مهما طالت مدة حصارها .

واستغل العرب انصراف المسيحيين للعيد ليلا ، فقذفوا الحبال على الأسوار ، وكان المتسلقون فرادى وجماعات تقتحم السور وتدخل المدينة من الشرق[1] ، كانت خطة خالد بن الوليد خطة ناجحة تماما ، كنجاح خطة اليرموك ، وفتحت الأبواب من الشرق ودخلت القوات،ووصلت الى منتصف المدينة ، عندما طلب حاكمها الصلح عن النصف الثاني[2] ، وفي الوقت نفسه خرجت العديد من الفصائل الرومية هاربة من الأبواب الأخرى باتجاهالشمال صوب الرحبة ثم حمص ، وقد بلغ اليأس في هيراقيليوس مبلغا عظيما ، وهو في أنطاكية عندما وافته أنباء فتح العرب لفلسطين والقدس ، وبلغ به اليأس

---

(١) فتوح الشام ـ للواقدي ج ١ ص ١١٢ .

(٢) فيليب حتي ـ تاريخ سورية ـ ج٢ ص ١٠ .
انكر الدكتور حتي أن العرب افتتحوا نصف المدينة بل يقول : انها فتحت على غرار القدس بالتسليم من قبل المفاوضين وهم اسقف المدينة منصور بن سرجون معتمدا على وثيقة ثبتها في كتابه المذكور.

حد القنوط عندما عرف فتح العرب لدمشق ، ومن أعماق قنوطة أطلق آخر سهم في كنانته بإرسال عدد من قواده لصد الهجـوم العربي ، فكانت بحق ضربة اليائس أو يقظة الموت ، فكانت المعركة الثالثة :

سـقوط حمـص وحمـاه :

تجمعت فلول الهاربين وبعض المرسلين من هيراقيليوس بقيادة قـائده فيليب جنوبي حمص ، عرف العرب ، وهم يحشـون الخطا نحو حمص بهذا التجمع الذي بلغ بحدود ستة عشر ألف مقاتل ، من عيونهم المبثوثة في كـل الأرجـاء •

كانت خطة أبي عبيدة بن الجراح القائد العام ، أن يجعل القوة العربية قوتين ، الأولى مهاجمة ، والثانية متربصة ، بينما تقدمت القوات المهاجمة الى جنوب حمص ، تربصت القوة الثانية على بئر شرقي حمص،وسميت فيما بعد (جب الجراح) نسبة لقائد هذه الحملة ••

ووقعت المعركـة التي انتصـر فيهـا العرب ، وبدت هزيمـة الروم البيزنطيين باتجاه أنطاكية ، بشكل يبعث على اليأس القاتل بدلالـة الفوضى والهلع الذي ظهر في صفوف القوات الرومية المقاتلة ، وقد استطاع العرب فتح بلاد الشام كاملـة بالحماس والمعنويـات المتزايـدة تـزايد الخوف والاضطراب في صفوف الروم الهاربين •

لم يكـن لسلميـة إذاك أي وجود فوق الارض ، لقد نالهـا التدمير والتخريب إبان الغزو الفارسي ، لذلك لم يعثر العرب خلال مرورهم فـي رحابها باتجاه معرة النعمان بعد تعسكرهم في جب الجراح ، لقد وجدوا في حوضة سلمية المياه التائهة وبقايا مدينة تناثرت أجزاؤها مدمرة ، فاختلطت الأعمدة المسجاة أرضا بركام البيوت المتداعيـة والتيجـان المتناثرة وبقايا حضارة تمتد في عمق التاريخ •

لقد تعطلت الحياة في سهول سلمية إلا من قبائل بدوية تجوب السهول هنا وهناك بحثا عن المرعى ، بينما خلت من السكان الحضر الذين هجرهم الرعب والموت ، فكانت غمرة من الزمن تهاوت سلمية مخلفة وراءها خربا ورسوما دارسة تعبث بها الأقدار •

الفصل الثالث

العهد الاسلامي وتجديد بناء سلمية

لقد أجمع مؤرخو العرب أن تجديد بناء سلمية في العهد الإسلامي كان بين عامي ٧٥٢ ــ ٧٦٢م ، ١٣٥ ــ ١٤٥ هـ أي في عهد الخليفتين العباسيين المنصور والمهدي .

ولكن الذي يثير التساؤل هو : هل هو عبد الله بن صالح العباسي بانيها ومجددها أم أهل المؤتفكة فقد جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي[١] قوله عن سلمية : (سلمية قرب المؤتفكة نزل بأهلها العذاب ولم يسلم منها (أي المؤتفكة) سوى مئة نفس ، فنزحوا الى سلمية ، فعمروها وسكنوها فسميت (سلم مئة) ثم حرف الى سلمية ، ثم أن عبد الله بن صالح ابن عباس اتخذها منزلا وبنى هو وولده فيها الأبنية ، وفيها المسجد ذو المحاريب السبعة) .

كما يقول ياقوت الحموي في تعريف المؤتفكة ما يلي[٢] « قال أحمد ابن يحيى بن جابر ، كان بقرب سلمية الشام مدينة تدعى المؤتفكة ، انقلبت بأهلها ، فلم يسلم منهم إلا مئة نفس ، خرجوا منها ، فبنوا لهم مئة بيت فسميت حوزتهم التي بنوا فيها مساكنهم (سلم مئة) ثم قال الناس سَلَمْيَةُ .. » .

---

(١) معجم البلدان ــ ياقوت الحموي ــ ج٣ ص ٢٤٠ .

(٢) معجم البلدان ــ ياقوت الحموي ــ ج٥ ص ٢١٩ .

إذا بما أورده ياقوت الحموي والبلاذري ، إن بناة سلمية هم أهل المؤتفكة وليس عبد الله بن صالح العباسي بينما يقول الطبري[1] : « جاء عبد الله بن صالح بن علي في عهد أبيه صالح بن علي العباسي والي قنسرين وحمص ودمشق،فعمر هو وأولاده سلمية وسكنوها وأجروا فيها الأقنية».

ويقول البلاذري[2] مؤيدا رأي ياقوت الحموي فيقول : « .. حدثني شيخ من أهل حمص كان بقرب سلمية مدينة تدعى المؤتفكة ، انقلبت بأهلها، فلم يسلم فيها سوى مئة نفس ، فبنوا مئة منزل،وسكنوها وسميت حوزتهم التي بنوها(سلم مئة)، ثم حرف الى سلمية ، ثم إن صالحا ابن عبد الله بن عباس اتخذها وبنى وولده فيها ومصروها ، ونزل فيها قوم كثيرون وقال ابن سهم الانطاكي سلمية اسم رومي قديم أو يوناني .. » .

بينما يؤيد جعفر الحاجب في رسالته التي حققها ايفانوف [3] بقوله : «.. جاء الدعاة الاسماعيليون الى سلمية ، وكانت حديثة البناء ، بناها محمد بن عبد الله بن صالح العباسي عندما خرج من بغداد ، وكان فيها أربعة وعشرون ديرا للنصارى ، وأرسل لأبن عمه الخليفة العباسي يقول له : إني وقعت على مدينة في طرف الدنيا ذات مناخ جيد وأرض خصيبة ، وأطلب منك ـ أدامك الله ـ أن أنادي في الأمصار أن يحضر اليها التجار ويعمروا سوقها .. » .

وهذا الخلاف الظاهر فيمن أعاد بناء سلمية في العهد الإسلامي ، أهم أهل المؤتفكة أم عبد الله بن صالح العباسي ؟ ، في الحقيقة إن معمري سلميةهم أهل المؤتفكة ، ولكن الذي أشهر المدينة فيما بعد هو عبد الله بن صالح

---

(١) الطبري ـ ج ٦ ص ١٧٦ .

(٢) البلاذري ـ فتوح البلدان ـ ص ١٤٠ .

(٣) سيرة جعفر الحاجب أو رسالة استتار الائمة ـ تحقيق ايفانوف ص ٩٤ ـ ٩٦ .

العباسي فمن هم أهل المؤتفكة ؟

أهل المؤتفكة: يذكر النسابون[1] أن أهل المؤتفكة هي قبيلة رحلت الى بلاد الشام في أعقاب الفتح الاسلامي من الجنوب الغربي ، وجابوا بادية الشام ، كعرب رحل ثم أنهم وقعوا على ينابيع حوضة سلمية ، واستعذبوا الماء والارض الخصبة ، فأقاموا لهم بيوتا في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز ، ولكن القدر لم يسعدهم بطول السكنى ، إذ ألمت بهم هزة أرضية قلبت بيوتهم ، وسلم منهم عدد ليس بالكثير ، وكانوا فقراء ، فرحلوا عن قريتهم الخربة وآووا الى خرب قريبة منها ، وأطلق عليها فيما بعد اسم سَلَمْيَة ، وكان ذلك في أواخر العهد الأموي ، ولما جاء العباسيون مروا بقربها يطاردون الأمويين ، فلم يهتموا بهذه القلة التي تسكن الخرب القديمة ، حتى إذا مر بها عبد الله بن صالح العباسي ، سكنها وأشهرها في الأقاليم كمدينة تجارية ٠

وهذا ما يؤيد نزعة العباسيين الى الاستيطان ، والعمل بالزراعة والتجارة ، بينما يخالفون بذلك الأمويين الذين كرسوا كل حياتهم الى الفتوحات والتوسع ، وهذا ما يبرر بناء المدن التجارية والزراعية المتأخرة في العهد الإسلامي ، ومما أعطى الأهمية للمدن هو الاتجاه العسكري كبناء الكوفة والفسطاط والقيروان وغيرها من المدن ٠

أشهار سلمية :

أكدت الروايات التاريخية مجمعة ، أن سلمية كانت خربا وأن ساكنيها هم فقراء المؤتفكة ، ولكن عبد الله بن صالح العباسي ، رأى بعينه البصيرة ما لموقع هذه المدينة من أهمية في توسطها لبلاد الشام ، ومجاورتها للبادية ، وللطرق التجارية العابرة بها من أهمية فسكنها وأشهرها ، وأقام فيها السوق

---

(١) انساب العرب ـ (رسالة جامعية) ـ سمير عبد الرزاق قطب ص ٢٢٢ ٠

لمدة ثلاثة أشهر إذ سمح لعمه الخليفة العباسي بذلك،وكانت السوق في وسط المدينة وهي ما تعرف اليوم بقلعة سلمية المهدمة ، والتي لها باب ، فكان يجلس الجباة على هذا الباب ، فمن أراد الاشتراك بالسوق يدفع مكوسا له ، وعلى مدى ثلاثة أشهر ، ومن هنا جاء إشهار مدينة سلمية في حواضر بلاد الشام كمدينة تجارية •

ومما يؤيد ذلك مكانة عبد الله بن صالح العباسي لدى الخليفة المهدي أن زار سلمية قاصدا بها ابن عمه في عام ١٦٣ هـ ٧٧٩ م ، عندما كان الخليفة في طريقه الى بيت المقدس كما أورد ذلك الطبري في تاريخية[1] بقوله : « زار الخليفة العباسي المهدي عبد الله بن صالح في سلمية عام ١٦٣ هـ ، وكان في طريقه الى بيت المقدس ، فأعجب بها ، وتجمع فيها بعد ذلك لفيف من أقرباء عبد الله بن صالح من العباسيين والهاشميين » •

وهذا لا يمنع من أن أهل المؤتفكة الفقراء كانوا قد آووا الى سلمية ، فسكنوها محتمين بخربها من غوائل الفقر ونكبات الدهر ، حتى إذا جاء عبد الله بن صالح فأشهرها ، وبنى فيها القصور وأقام فيها السوق ، لذلك أخذ على بعض المؤرخين أنه هو مجدد بناءها ومعمرها مع العلم أن جعفر الحاجب يؤيد أن عبد الله هو الذي أشهرهابواسطةالتجاروسوقها قوله [2] : «••فجعل يعمر سوقها مدة ثلاثة أشهر،حتى أن كثيرا من التجار أرادوا سكناها، فكان ذلك لا يتم إلا بموافقة سيدها » •

دخول الأئمة الاسماعيليين سلمية واتخاذها مقرا لهم :

خرج الإمام محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق (ع) متخفيا عن

---

(١) تاريخ الطبري ــ ج٦ ص١٧٩ •
(٢) سيرة جعفر الحاجب أو استتار الأئمة ــ تحقيق ايفانوف ــ ص ٨٤ ــ ٩٦ •

عيون أبي جعفر المنصور الذي دأب على الخلاص من آل البيت المنافسين له ، خرج من المدينة المنورة ، وسار عبر سورية وشمالي العراق ، ودخل أرض بلاد فارس ، وحل في الري حيث رحب به حاكمها اسحق بن عباس الفارسي ، ثم انتقل الى نهاوند ،ولاحقه العباسيون الى تلك المنطقة ، فانتقل الى دماوند، ثم أزمع على الانتقال من أرض المشرق غير الآمنة الى بلاد آمنة ، فيمم شطر مدينة تدمر في سورية عام ١٩١ هـ/٨٠٦ م واستوطنها ، ثم توفي فيها عام ١٩٣هـ/٨٠٨م ، ويسمى قبره الآن محمد بن علي[1] وخلفه في الإمامة ابنه عبد الله بن محمد ، والذي لم تعجبه تدمر كمقر ، فأخذ يوفد دعاته للتفتيش عن مقر آمن من عيون العباسيين ، فذهبوا الى معرة النعمان وسلمية وحماه وحمص ولكن مطاردة الهاشميين خفت بعد وفاة أبي جعفر المنصور واعتلاء الخلافة المهدي .

كانت سلمية مدينة صاعدة ، ملتقى التجار القادمين من تدمر والعراق شمالي بلاد الشام وجنوبيها ، ولاقت هذه المدينة استحسان الدعاة لأسباب أهمها :

١ ــ كونها مطروقة كثيرة الغرباء .

٢ ــ وهي ذات مياه عذبة ومناخ جيد .

فوصفوها للامام عبد الله بن محمد ، فوافق على سكناها ، وأرسل الدعاة يفتشون له عن دار فيها وقد أشار جعفر الحاجب في رسالته عن استتار الأئمة واختيار منزل الإمام بقوله[2] « .. وجاء الدعاة الى سلمية واشتروا دار أبي فرحة بأمر سيد المدينة محمد بن عبد الله بن صالح ، وكانت الدار قريبة من السوق كسائر التجار،وسكنها الإمام عبد الله بن محمد الوفي (ع)،

---

(١) المجلة الذهبية عدد ممتاز صدر عن بومباي (الهند) ١٩٤٧ تاريخ الدعوة الاسماعيلية ــ مصطفى غالب ــ ص ١٤٥ .

(٢) سيرة جعفر الحاجب او استتار الائمة ــ تحقيق ايفانوف ــ ص ٩٥ ووافق على النص الاستاذ محمد حسن الاعظمي في كتابه عبقرية الفاطميين ص ٦٨ .

ونجمع اليه أتباعه ودعاته ، وبنى قصرا شامخا وتزوج فيها ، وأصبحت مركزا له ، يقصده الدعاة والأموال من الأمصار » .

وبما يتضمنه النص تتبين أن الإمام المستور عبد الله بن محمد الملقب بـ(الوفي أحمد) ، اتخذ سلمية مركزا وتعني كلمة (مركز) أشـياء كثـيرة في نشاطات الاسماعيليين الشيعة ، ولم يكن محمد بن عبد الله العباسي يعرف حقيقة ما يقوم به الإمام (الوفي أحمد) وبالأخص بعد وفاة والده عبد الله ، وكونه هو حدثا لا يولي مثل هذه الأمور أهمية ، ثم ان الإمام ودعاته كانـوا بزي التجار ، ومن هنا نجح اختفاؤهم وتواريهم عن أعين العباسيين،وأصبحوا في مأمن وطمأنينة .

وهكذا غدت القوافل القادمة تحمل العديد من الدعاة الوافدين بـزي التجار ، أو يقومون بالتجارة فعلا ، حتى اذا انفضت السوق عمدوا الى دار الإمام قرب السوق ، فيدخلونها ، ويحضرون مجالس الإمام بسرية ، ينتقلون بعدها الى الأمصار حاملين معهم تعليمات الإمام الى أتباعه في شتى أصـقاع المعمـورة .

ثم إن دعوة ومكانة ابن العباس محمد بن عبد الله العباسي ، غدت تضعف فيما غدت سلمية تمور بأتباع الإمام (وفي أحمد) حيث أقام المسجد ذا سبعة المحاريب ، والذي كان أنقاض كنيسة بيزنطية على نمط من البناء معتمدا على مافيه من أعمدة وتيجان هي مخلفات العهدين البيزنطي واليوناني قبله .

وهكذا غدت سلمية فعلا تمور بحركة الإمام المستتر فيها .

بيت الدعوة : بنى الإمام دارا فسيحة جعل في وسطها بركة ماء ، تحت هذه البركة خزينة الإمام المالية[1] ، وفي هذه الدار كان يجتمع دعاة الإمام،

---

(١) مجلة الانسانية ـ مقال بعنوان (سلمية) للمهندس وصفي زكريا ـ الجزء العاشر الممتاز عدد شباط ١٩٣٣ .

فيتدارسون الدعوة ونشاطاتها ، وكثيرا ما يشارك الإمام نفسه في مثل هــذه الاجتماعات ، ولهذه الدار قسم خصص للأضيــاف الوافدين من الأمصار ، لذلك أطلق على هذه الدار اسم (بيت الدعوة) •

اخــوان الصــفا وخــلان الــوفــاء :

اختلف الدارسون بمكان وعدد أخوان الصفا ، كما اختلفوا بهوياتهم ، ولم يختلفوا بفكرهم • وهذا يعود لكونهم اتخذوا السرية أسلوبا لهم ، فمن قائل:إنهم أعداد كبيرة ومنهم من جعلهم في البصرةلو المدينة أو أماكن أخرى • وهناك رأي يقول مصرحا بأسمائهم على أنهم مجموعة علماء منهم الزنجانــي والمقدسي والبستي وابن رفاعة والعوفي[1] وهناك رأي آخر يقول : « إنهم جماعة عاشوا في سلمية في زمن الإمام عبد الله بن محمد ومن بعده من الأئمة المستورين ، وهم عبد الله بن سعيد وعبد الله بن مبارك وعبد الله بن حمدان وعبد الله بن ميمون ، وهذا ما أورده أبو المعالي حاتم بن عمران بن زهر في رسالته المسماة (رسالة الأصول والأحكام) ، إذ ورد في هذه الرسالة قوله « إن عبد الله بن سعيد وعبد الله بن مبارك وعبد الله بن حمدان وعبد الله ابن ميمون ، هؤلاء الأربعة اجتمعوا مع غيرهم ووضعوا رسائل طويلة فــي شتى العلوم والفنون وعددها اثنتان وخمسون رسالة » •

كما ذكر القاضي النعمان المغربي ما يؤكد الرواية الثانية بقوله : « إنهم دعاة الإمام الجرم ويورد أسماءهم وتؤكد المخطوطات الإسماعيلية أن أخوان الصفا هم دعاة مستورون شأن الأئمة ، وأنهم كانوا في سلمية ولهم فروع في أمصار أخرى وعملوا للأئمة المستورين (وفي أحمد) و (تقــي محمــد) و (رضي الدين عبد الله) أبي محمد المهدي •

---

(1) تاريخ حضارة العرب ــ شاكر مصطفى ــ تحت عنوان الفلســـــفة الاسلامية ص ١٠٥ مستندا لما اورده ابو حيان التوحيدي •

رسائل اخوان الصفا : الرسائل بين أيدي القراء موجودة بعلومها الشاملة ، والتي تتضمن علوم ذلك العصر وفلسفته مستوعبة جوانب الحياة المادية والمعنوية والروحية والدينية ، وهي مصاغة صياغة حكيمة يقرأها الفيلسوف فيرى ما يفكر ويقرأها الرجل العادي فيفهم منها ما يريد ، فهي من ناحية الصياغة كتبت بلغة سهلة مفهومة جذابة ، تشعر القاريء بأنها له بقولهم : « أيها الأخ أدامك الله وأبقاك لنا ذخرا،أيدنا الله وإياك بروح منه».

ومن المؤكد أن هذه الرسائل خرجت من سلمية،حسب اجماع الروايات، فتكون سلمية في ذلك العصر ذات أهمية فكرية وثقافية ، بشكل مستور ، ظهر ذلك في أعقاب حادثتين هامتين الأولى قيام الدولة الفاطمية ، فمن سلمية انطلقت الدولة الفاطمية وكما قال الدكتور طه حسين : « سلمية أم القاهرة » والثانية هجوم القرامطة على سلمية .

سلمية أم المهدية والقاهرة :

كان الدعاة المرسلون من الأئمة المستورين يجوبون أصقاع البلاد الاسلامية بحثا عن المكان المناسب ، لإحقاق أمل الشيعة الضائع في قيام دولة الحق بعد الفشل الكبير الذي منوا به خلال العهدين الأموي والعباسي ، لذلك انتشر الدعاة في بلاد فارس والمغرب واليمن ، ولأسباب هامة أبعدت اليمن وبلاد فارس عن أن تكون موئل قيام الدولة ، واهتم بالمغرب العربي لأسباب منها :

١ ــ قيام القبائل الكتامية في تلبية دعوة القائم (الإمام الذي يدعى له)

٢ ــ بعد موقع الدولة عن أنظار ومراقبة العباسيين .

٣ ــ توفر أسباب قيام الدولة لعدم وجود مناوئين أشداء .

وكان لأبي عبد الله الشيعي الأثر الاكبر في قيام الدولة ودعوة الإمام محمد المهدي الى المغرب ، ليكون على رأس هذه الدولة ، ورغم ما لاقاه الإمام من صعوبات كاكتشاف أمره في الطريق وسجنه في مدينة سلجماسة ،

إلا أن النجاح كان حليفه بوصوله الى المغرب وإعلان قيام الدولة ومبايعته بالخلافة الفاطمية ، ثم في بنائه للعاصمة المغربية (المهدية) ، وبعد ذلك قيام ابن حفيده الخليفة المعز لدين الله فاتحا مصر وبانيا مدينة القاهرة ، وهكذا تكون سلمية المدينة الصغيرة قد ولدت مدينة كبيرة هي القاهرة •

القرامطة يهاجمون سلمية :

كان هذا الهجوم في أعقاب الانفصال الأول للحركة القرمطية عن الدعوة الإسماعيلية ، وأسباب هذا الإنفصال والهجوم معا كان كما يلي :

كان لداعي الكوفة قبل الأئمة المستورين في سلمية أبي محمد عبد الله ثلاثة أولاد وبنت واحدة ، وأولاده هم أبو القاسم محمد بن عبد الله وأبو مهزول أحمد بن عبد الله وأبو العباس الحسين بن عبد الله ، ولما مات الأب، أصبح منصبه خاليا ، وترك أمر تعيين خلفه للامام محمد المهدي ، وقد عُين بالفعل زوج أختهم الوحيدة ، ولكن الأخوة أقدموا على قتل زوج أختهم ، فجاءتهم تبكيه فقالوا لها : « إنه مبغض لنا وضد دعوتنا » ، فكتبت الأخت تشكو اخوتها الى القائم بأعمال الدعوة في حماة أبي الحسين الأسود تشكو اخوتها لقتلهم زوجها ،فكان لهذه الشكوى إبعاد الاخوة عن منصب الدعاة، مما أثار غضب الاخوة الثلاثة ، فكاتبوا الإمام محمد المهدي في شأنهم مع أبي الحسين الأسود ، فلم يجبهم الإمام بشيء ، عندئذ صمموا أن يأتوا سلمية وينتقموا من أبي الحسين الأسود والإمام إن لم يذعنا لامرهم ، واذا لم ينجحوا أشهروا دعوة الإمام السرية •

جاءت الرسائل من الكوفة تحمل أخبار أولاد أبي محمد عبد الله الكوفي، وكان الإمام قد عزم على الرحيل مع بعض من أهله وذويه وخلصائه ، وكان منهم جعفر الحاجب وابن بركة الخاصان وولده أبو القاسم ، بينما ترك في سلمية أبناء عمومته وأبناء وبنات أخيه وأخاه وقصره وخدمه بما يحتويه ، وترك رعاية كل ذلك مما يخصه للحسين بن معاذ ، ويقول في ذلك جعفر

الحاجب ما يلي[1] : « . . .. فلما خرج الإمام المهدي (ع) ،وصار الى ظاهر سلمية ، قعد ساعة يخلو لنفسه ، وما هو إلا وقت قصير حتى أرسل في طلب غيلان الرياحي كان رجلا من البدو يسكن قرية اسمها سلهب ، وهو مطاع في قومه ، وسرعان ما قدم غيلان الى الإمام ، ومعه ثلاثون فارسا ، تمشى هو ومن معه في حماية الإمام وركبه طيلة تلك الليلة ، حتى أصبحنا في اليوم التالي ، فإذا نحن في مدينة طرابلس الشام ، فأقام فيها يوما واحدا، ثم توجه على طريق تساير الساحل الى فلسطين ، فحللنا رملتها ،واتخذ الإمام فيها منزلا خاصا ، واتصل به من أخبره بأن أولاد أبي محمد الكوفي ، يطلبونه وكانت السنة ثلاثا وتسعين بعد المئتين » .

وعند وصولهم سلمية ، وطلبهم الإمام لم يجدوه جاؤوا أخاه محمد وأرشدهم على مكان الإمام بقوله « إن صاحبكم قد رحل عن سلمية ، وهو الآن متخف في رملة فلسطين » عندئذ تشاور الاخوة في أمرهم ، فعاد أخوهم أبو العباس الى الكوفة ليسوس أمرهم فيها ، بينما بقي أخواه أبو القاسم وأبو مهزول يترصدان أبا الحسين الأسود في حماة ، وعملا على الاتصال بالقبائل الموالية لأبي الحسين من الغاصبين بدعوة شيوخهم سعدون بن دعلج ومالك بن معرض ، كما دعيا شيوخ قبائل بني مالك وبني هجيني وبني اليلوى وبني مخداش وبني هذيل وزياد فحالفا بعضها،بينما أحجم الآخرون عنهما ، وكان محور جمعهم هو مناجزة والى دمشق طفج ، وساروا اليه ، ولكن طفجا استنصر بوالي مصر بدر الحمامي ، واستطاع أبو القاسم وأخوه أبو المهزول ، أن يصلا قرب دمشق فتبقى أبو القاسم قرب دمشق ، بينما سار أبو مهزول الى مدينة الرملة في فلسطين باحثا عن الإمام المهدي ، ولما

---

(1) رسالة استتار الائمة او سيرة جعفر الحاجب ـ حققها ايفانوف ص٩٦ طابق هذا التاريخ دخول القرامطة الكوفيين سلمية وبلاد الشام عند الطبري ـ ج١١ ص ٢٨١ .

وصلها أخذ يترصد سوق الرملة ، يسأل الناس عن ضالته ، حتى إذا رأى جعفر الحاجب يشتري حوائج من السوق ، قال له بعض من يعرفه : يا أبا مهزول هذا غلام من تبحث عنه ، فتبع أبو مهزول جعفرا حتى دخل الدار ، فجلس له في الدهليز وقال له أبلغ مولانا السلام وقل له : إنني قد جئت ، وأنا أبو مهزول من الكوفة أنا ابن عبد الله الكوفي ألتمس مقابلته ، ورجائي الاستجابة ، ماذا فإنني سأصرخ بأعلى صوتي وأشهر أمركم ، فدخل جعفر على الإمام وأنبأه بأمر أبي مهزول فكان جواب الإمام المهدي : أصعده إلينا •

ولما مثل أبو مهزول أمام المهدي قال[1] : « لقد جئنا الى سلمية لنقدم الى سدتكم العليا شكوانا على أبي الحسين الأسود في اخراجنا من الدعوة ، ونحن أطوع لكم من بنانكم ، ونطلب عودتكم الى سلمية ، بعد أن مهدنا لكم أمر الشام كلها ، ووضعنا تحت أمرنا كل سلطانها وهي بأمرتكم لإعلان دولتكم وكما تأمرون »• فوعده الإمام خيرا ، فأرسل أبو مهزول كتابا لأخيه أبي القاسم في دمشق يبشره بوعد الإمام له •

ولما عاد أبو مهزول الى دمشق ، وجد أخاه أبا القاسم قد قتل في معركة بضواحي دمشق ومكث أياما ينتظر عودة الإمام ، ولما طال أمر انتظاره ، أرسل الى الرملة من يستكشف الخبر فعاد رسوله لينبئه بأن الإمام رحل الى جهة مجهولة • فثارت ثائرة أبي مهزول ، وعاد الى سلمية ، فأوقع جنده بالهاشميين والعباسيين ، وكانوا قرابة مائة وتسعين رجلا وامرأة وطفلا ، بحجة أنهم يراسلون بني العباس في بغداد يستنصرونهم على رد بلاء القرامطة عنهم ، ثم جعل أبو مهزول مركزه في حمص ، وأخذ يطارد أبي الحسين الأسود ، ويترصد مواقفه ، وهو المتخفي عنه ، حتى إذا جاءه واش ، ينقل

---

(1) رسالة جعفر الحاجب او استتار الائمة ـ تحقيق ايفانوف ـ ص٩٨

له خبر أبي الحسين ومكان مخبئه ، ألقى أبو مهزول القبض عليه ، ولم تفد شفاعة شيوخ الغاصبين الذين أعلنوا أنهم على دعوة أبي الحسين ، وأنهم نصرته إذا وقع عليه مكروه ، ولكن أبا مهزول قطع على نفسه وعدا لهم بمعاملة أبي الحسين بالحسنى •

وطال انتظار أبي مهزول في حمص ، وتهادى الى سمعه أنباء خروج جيش المعتضد بالله العباسي بقيادة محمد بن سليمان،وهنا صمم أبو مهزول على الانتقام ؛ فأرسل حلفاءه من أنصار الحسين لملاقاة الجيش القادم ، وقام من توه ، فقتل أبا الحسين الأسود ومثل به على رؤوس الأشهاد ، ودخل سلمية وعاث فيها فسادا،ودخل بيوت الهاشميين والسلميين يقتل من يصادفه رجلا كان أم امرأة أم طفلا ، وأخذ يمثل بهم أبشع تمثيل ، يضرب المسامير في الرؤوس من جهة الجبهة أو الأصداغ ، ولم يثنه رادع ، فقد دخل قصر الإمام وخرب فيه أيما تخريب ، فأحرقه بعد نهبه ، وهكذا وقع في الهاشميين والعباسيين والسلميين الموت والتدمير بشكل مثير ومزر •

وأخلى المدينة هاربا من الجيش القادم الذي هزم جموع أبي مهزول متجها الى تدمر ، ومنها رحل سرا الى سواد العراق حيث ألقي القبض عليه وسيق الى الخليفة العباسي في بغداد ، فلما مثل بين يديه ، قال له الخليفة : « مادعاك للفساد في الأرض » • فأجابه أبو مهزول « بل أنا داع لفلان بن فلان (يقصد الإمام) »،وذكر له أوصافه ومكان إقامته آملا العفو ، فأجابه الخليفة: « اذا كنت قد خنت صاحبك فمن أين لنا أن نثق بك » ،وأمر بقتله،وأرسل الخليفة أوصاف الإمام الى عماله وأمر بالقبض عليه •

وعندما جاء القائد محمد بن سليمان ومعه جيش الخليفة الى سلمية ، خرج اليه من تبقى من أهلها ، فسألهم : أين أبو مهزول ، فقالوا له « إنه هرب باتجاه الشرق » فأجابهم : (إنني لأقتل منكم الحضر والبدو كما أمرت) ، فقال له أهل المدينة : « حسبنا ما وقع لنا من أبي مهزول وصحبه،

وإن لم تصدق فتلك قتلاه في العراء لا تلاقي من يدفنها » ، ولما رأى محمد ابن سليمان شنيع ما صنعه أبو مهزول ، أمر جنده بالرحيل من شرقي المدينة، وعسكروا غربيها في مرج واسع يعرف بمرج الأخرم خوفا أن يصيبهم من نتن قتلى سلمية ثم رحل عنها[1] .

فمن تسلسل هذه الأحداث يتبين أن أواخر القرن الثالث الهجري ، احاقت بسلمية كوارث وأحداث ، جعلت من سلمية أقرب الى المدينة الخربة المدمرة ، فلم تعد سلمية العامرة بالوافدين من التجار ، وخوت عرصاتها من زحام الناس ، وهجرها ساكنوها لعدم توفر الأمن والاستقرار فيها ، فقد خبا وميض الحياة فيها بعد أن كانت مشعل الحضارة المتألق من وافدين من المشرق والمغرب ، تجار يحملون معهم شتى الأفكار ، لتذوب في سلمية حضارة وفكرا عبر عنها اخوان الصفاء،لقد بدا قرامطة الكوفة في انسلاخهم عن دعوة الإمام المهدي مدمري للحياة في سلمية،وباعثي الاضطراب بتعطيلهم أسباب الرقي فيها ، وغدت مرتعا للبدو الغزاة طالبي الغنائم والأتاوات من ساكنيها الذين رحلوا الى أصقاع آمنة مستقرة[2] .

---

(١) هذه الاحداث مستندة لما رواه جعفر الحاجب في رسالة استتار الائمة من ص ٩٨ – ١٠٣ ، وفي حفريات كان يقوم بها ساكنوا سلمية المعاصرون لبناء بيوتهم وذكر بعضهم لي « أن غربي مسكن علي خضر ابي اسماعيل علي (بيادر) لآل حمودة عثر على (خشاشة) مدفن جماعي على رؤوس مقطوعة فيها مسامير نفذت من الجبهة الى القفا او من الصدغين » ، وكذلك تحدث البعض : « أن في بناء السيد دياب سليم المحاذي لطريق حمص ضمن المدينة عثر اثناء الحفر على رؤوس فيها نفس الظاهرة » ، ومن دراسة هذه المظاهر ، تتبين ان ما جاء في رسالة جعفر الحاجب مشابه تماما لما قام به القرامطة في التمثيل بالسلميين غداة هجومهم عليها بقيادة ابي مهزول ، والمحدثون عن هذه الظاهرة هم السادة حمدو حمود ، خضر امين ،وكان معماريا ، شريف الحايك ، الشيخ علي زهوه ، محمد ملحم ، محمد طنجور، محمد خضر قاسم .

(٢) الطبري – ج١١ ص ٢٨٤ .

ظهور الدولة الاخشيدية في الشام :

محمد بن طغج الأخشيدي [1] من أمراء فرغانه قربه العباسيون ، والأخشيد لقب من ألقاب الإمارة كقيصر وكسرى والنجاشي ، نال الحظوة عند الخليفة العباسي ، فأوفده ليعمل قائدا للجند في مصر ، ودخل تحت إمرة واليها تكين الذي اعتمده قائدا للجند في محاربة الفاطميين في المغرب ، ثم عين واليا على عمان وجبل الشراة لحماية طريق الحج من قطاع الطرق وذلك عام ٣٠٦هـ/٩١٨م ، وبعدها بعام جعله تكين نائبا عنه في ولاية الاسكندرية، ولما مات تكين ، كان الأخشيد هو الوحيد الذي بمقدوره أن يكون واليا يرضي الخلافة العباسية ، وكان لزيادة حظوته عند الخليفة أن أسند اليه ولاية مصر والشام ، حتى امتد سلطانه الى حمص وحماه وحلب ، ومعنى ذلك أن سلمية قد أصبحت تابعة لولايته ، رغم أنها لم تكن ذات أهمية لضمورها ، وقد هجرها التجار في أعقاب ما نالها من القرامطة ، وزيادة مكانة حمص وحماة .

ويظهر أن الخليفة الراضي العباسي ، لم يكن راضيا عن توسع الأخشيدي محمد بن طغج ، وبالأخص في بلاد الشام ووصوله الى ضفاف نهر الفرات ، وزاد من نقمة الخليفة عليه أن الدعاء له كان يقام على المنابر تيمنا بالدعاء للخلفاء ، لذلك عهد الخليفة العباسي لمحمد بن رائق الخزري بولاية الشام ، لينصلها عن مصر الأخشيدية ، وهذا بدوره استدعى الأخشيدي أن يحتفظ بالشام له ، فوقعت بين القائدين حرب ، كانت المعركة شديدة في العريش على طريق مصر[2] ، ولم تكن هذه المعركة فاصلة ، إذا تواصلت الحرب بعدها حتى عام ٣٣٠ هـ ، وانتهت هذه الحرب بوفاة ابن رائق ، وعادت سلمية لسلطة الأخشيد مع ما عاد من بلاد الشام .

---

(١) تاريخ العرب والاسلام ــ د. حسن ابراهيم حسن ــ ج٣ ص ١٣٧ .
(٢) تاريخ العرب والاسلام ــ د. حسن ابراهيم حسن ــ ج٣ ص١٣٨ .

وكان لانشغال الأخشيد بالحرب مع الفاطميين الذين ظهروا على حدوده الغربية ، ما شجع امتداد الحمدانيين عبر شمالي بلاد الشام ليستقروا في حلب ، وذلك عام ٣٣٢ هـ ، فوقع الأخشيد مع الفاطميين هدنة ، ليتفرغ بها الحمدانيين المتقدمين ، ولما لم يستطع أن يقوم بشيء ، فقد اعترف بالأمر الواقع ، وأقرهم على ما بيدهم من إمارة حلب ، وهكذا قسمت بلاد الشام الى قسمين الشمالي وهو للحمدانيين ، والجنوبي وهو للأخشيد •

لم تدرج حماة ولا حمص في الاتفاقية بين الأخشيد والحمدانيين ، بل ذكر فيها حلب والمناطق المجاورة لها فقط ، ومعنى ذلك أن سلمية وحمص وحماة ، كانت تابعة للأخشيد ، ولكن سيف الدولة الحمداني ، لم يكن هو الآخر ليقنع بإمارة تضيق على مطامعه ، وحبه للتوسع ، ولما لم يكن بمقدوره التوسع شمالا لوقوع الروم كأعداء أقوياء شرسين ولاغربا لوجود البحر ولا شرقا لوجود الدولة العباسية ، لذلك آثر التوسع جنوبا لأسباب عديدة :

١ ـ هي أقرب للحمدانيين منها للأخشيد •

٢ ـ إنها مناطق مطامع من الناحية الاقتصادية •

واجتاحت قوات سيف الدولة سهول حماة وحوضة سلمية ، ووصلت الى حمص وتحركت بعض القبائل البدوية ، فخرج سيف الدولة يطاردها في أرض سلمية وقال في ذلك شاعره أبو الطيب المتنبي :

فأقبلها المروج مسومات ضوامر لا هزل ولا شيار
تثير على سلمية مسبطرا تناكر تحته دون الشيار

وما يستدل أن سلطة الأخشيد على المناطق التي دخلها الحمدانيون ، لم تكن قوية إذ استفحل فيها أمر البدو الذين قاومهم سيف الدولة وهزمهم •

وهكذا غدت سلمية بعد دخولها في سلطة الحمدانيين تابعة لحمص ، والتي غدت لاهتمام الحمدانيين ركيزة للحمدانيين بعد حلب •

وقد تقدمت الأحوال في دولة الحمدانيين ، فتمكنت مرارا من إحراز النصر على الروم ، وهذا ماساعد على استقرار الأمن ، وبذلك بدأت لسلمية فسحة من التقدم ، وأخذت تنتعش تدريجيا :

عودة الأخشيديين الى الشام :

مات الأخشيد محمد بن طغج عام ٣٣٩هـ/٩٥٠م بعد أن عين كافورا وصيا على ابنه أبي القاسم أنجور ، فاستغل سيف الدولة الحمداني هذا الحدث ، فأمد سلطانه جنوبي حمص ، فاحتل بعض الاجزاء من لبنان ، وطوق مدينة دمشق ، فما كان لكافور أن ينظر بعين الضعيف وهو القوي ، فقاد جيشا عبر به صحراء سيناء ، ودخل أرض فلسطين ، حتى اذا التقى الجيشان في سهل جنوبي دمشق ، تراجع الحمدانيون مدحورين بما يشبه الهزيمة ، بينما أخذ كافور يطاردهم ، فتحصن الحمدانيون في حمص ، حيث دارت معركة ثانية قربها، وكانت نتيجتها الهزيمة أيضا، فعبر الحمدانيون سهل سلمية فرقا في طريقهم القصير نحو حلب ، ولم تمض سوى سبعة عشر يوما حتى كانت جحافل كافور تدق أبواب حلب ، وقد تحصنت حلب خلف أسوارها ، وأخذت هواجس كافور تزداد ، فيما لو تحرك أعداؤه في مصر مستغلين غيابه وطول حصاره لحلب ، وبالأخص أن وصية فتى تتقاذفه الكلمات وتتلاعب به الأهواء ، فما كان من كافور إلا أن يصالح الحمدانيين حسب الاتفاقية القديمة التي وقعها سيده الراحل وسيف الدولة[1] .

وهكذا عادت المنطقة الوسطى من بلاد الشام مسرحا لعمليات حربية، ثم استقرت بعدها للحمدانيين بعد أن عاد كافور الى مصر ، ولعبت هذه المنطقة دورا في حياة الحمدانيين العسكرية ، إذ كانت تمدهم بالمؤن غداة انشغالهم في الحرب مع الروم البيزنطيين ، مما دعاهم للاهتمام بها ورعايتها

---

(١) تاريخ ابن الاثير - ج١ ص ١٥٩ - ١٦٠ .

وأمنها ، وأولوا حمص اهتماما لترد خسارة الحرب التي غدت حربا سجالا دون نتائج واضحة ، فكانت حمص وما حولها من وادي العاصي وسلمية محط اعتماد الحمدانيين لدرء الأحوال الاقتصادية من التدهور إبان الفشل العسكري ، وبقيت تلعب هذه المنطقة نفس الدور طيلة ثلاث عشر سنة ، أعقبت هذه الفترة هزات أدت الى انهيار الحكم الحمداني •

موت سيف الدولة واثره على البلاد والدولة :

توفي سيف الدولة في شهر محرم سنة ٣٥٦ هـ/٩٦٦ م تاركا أمور الدولة الى ابنه أبي المعالي سعد الدولة وقائده قرعويه ، ولكن التفجر والخصومات ما فتئت تظهر في جسم الدولة وسبب ذلك ، أن أبا فراس الحمداني الشاعر وابن عم سيف الدولة ، كان يمقت أن يرى قرعويه على سدة الجيش ، لذلك انسحب مع من يواليه من قوات واتجه نحو حمص ليجعلها مركزا له ، بعد أن كان أميرا على منبج ، وأعلن من حمص عدم اعترافه بإمارة أبي المعالي سعد الدولة لمساندة قرعويه له ، وهكذا تبدت دولة بني حمدان ، وقد انقسمت الى قسمين متخاصمين •

أثر هذا الانقسام على جسم الدولة ، وصدع وحدتها ، وجعلها على شفا الحرب ، بل أوصلها في الحقيقة الى الحرب عندما سير أبو المعالي سعد الدولة قائد جنده باتجاه حمص لاستعادتها من أبي فراس المعتصم فيها(١) ، مما أجبر أبا فراس أن يتوجه هو الآخر لملاقاة قرعويه ، وتفويت فرصة المبادرة عليه ، ويصبح في مركز المهاجم لا المدافع •

المعركة :

أرسل أبو فراس عيونه لاستكشاف الطريق التي يسلكها قرعويه

---

(١) تاريخ العرب والاسلام ـ الدكتور حسن ابراهيم حسن ـ ج٣ص٢٢.

وجيشه ، فأنبأت العيون أبا فراس عن مسيرة الجيش القادم عن طريق سفيرة ـ سلمية أو حماة عن طريق معرة النعمان ، لذلك عمد أبو فراس لإرسال عسكره على محورين محور سلمية ومحور حماة ، وعمد أن تكون المفاجأة بيده فتحصن في أكناف جبال العلا ، كما أن قرعويه علم هو الآخر بخطة أبي فراس عن طريق جواسيسه ، فركن الى الحيلة ، ليوقع بأبي فراس الدوائر ، فأوهمه بأنه يريد طريق سلمية بإرساله ثلة من الجند باتجاهها ، وسار قرعويه سرا بعكس ما أوهم أبا فراس واستطاع أبو فراس أن يسحق القوة القادمة عن طريق سلمية ، ولكن الأخبار جاءته ، بأن حملة قرعويه تمر بمدينة حماة بجموعها الكبيرة ، فاضطر أبو فراس ، أن ينقل عسكره باتجاه الرستن بسرعة كبرى ، مما أجهد هذه القوات ، إذ وصلت سهل الرستن مجهدة ، لذلك كانت خسارتها محتمة بعد الصدام الأول ، وكان قرعويه وقواته منتصرين حتما ، فأسرع أبو فراس الى حمص ليتحصن فيها ، ولكن قوته المجهدة صعب عليها التحرك السريع بانتظام ، مما سبب لها الفوضى كأنها الهزيمة ، فاغتنم قرعويه هذه الظاهرة ، فانقض على قوات أبي فراس المضطربة ، فأوقع فيها الهزيمة الحقيقية ، وعندئذ انفردت قوات قرعويه بأبي فراس وقلة ممن تبقى معه ، ورغم ثبات أبي فراس ، فإن النهاية كانت قتله ، وانفضاض الناس عنه[1] ، وهكذا سقط أبو فراس في ساحة المعركة ، وتلاشت أمانيه وأحلامه بموته ميتة المقاتل الشهم ، وطوى الزمن أبا فراس المقاتل ليبقى رمزا للشاعر العربي فيخلد كشاعر ويطوى من عالم البطولة والشجاعة كمقاتل .

لاقت سلمية من خلال هذه المعارك التي جرت على بطاحها ، بكل ما في هذه المعركة من عنف،ولم تكن سلمية لتحتمل مثل هذه المصادمات الحربية، وهي العاجزة ، بعدما لاقت من صعوبات الحياة ونكباتها .

---

(١) ابن قلانس ـ ذيل تاريخ الشام ـ ص ٢٧ .

نكبـات الحمـدانيــين :

توالت نكبات الحمدانيين بعد مقتل أبي فراس الحمداني ، فقد آلم أبا المعالي سعد الدولة ، أن يرى ويسمع بمصرع أبي فراس ، الشيء الذي جعل قرعويه قوة لا تضارع ، وكأن أبا المعالـي لمس شعوره ، أن قرعويه طامع في الحكم والانفراد به ولما لم يستطع التخلص منه لقوته في الجنـد ، فقد فشل أبو المعالي في إزاحة قرعويه عن الحكم[1] ، والسبب الذي جعل قرعويه يرفـض الاعتـراف بأبي المعالي الذي هرب من وجه قائد جنده لا يحميه حام ، ولا يدافع عنه مدافع وقطع نهر الفرات شرقا ، ثم عـاد الى حمص يستجمع ما يمكن من قوة ، ويستنصر بالخليفة الفاطمي المعز لدين الله جاعلا نفسه تابعا له[2] .

وهكذا بدت نصف إمارة الحمدانيين تابعة للفاطميين ، ورغم ما وقـع بين الأطراف الحمدانية من صلح فقد بقي أبو المعالي على تبعيته للفاطميين، ولم يغادر حمص ، ولما مات قرعويه عين مكانه بكجور الذي سار على خطة قرعويه سيده ، في الاستمرار باغتصاب الحكم الحمداني ، وبذل المساعي الحثيثة للتضييق على أبي المعالي الذي استنجد بالمعز لدين الله الفاطمي ، وخلفه العزيز بالله ، بعد أن اضطر الى الهرب الى مصر ، فأنجده الفاطميون بجيش أعاد أبا المعالي سيدا للدولة الى حمص منتصرا[3] ، كما نجحـت مساعي الخليفة الفاطمي العزيز بالله بالمصالحة بين الأقطاب المتخاصمة ، ولما رفض سعد الدولة تلك المصالحة تخلى عنه الفاطميون ، فلم يستطع مجابهة بكجور ، والتجأ الى بني بويه ، وبعدها الى الروم يؤلبهم على غزو حلب ،

---

(١) ابن الاثير – ج٣ ص ٢١٥ .

(٢) تاريخ العرب والاسلام – الدكتور حسن ابراهيم حسن – ج٣ – وابن الاثير – ج٨ ص ١١٩ – ١٢٠ .

(٣) ذيل تاريخ الشام – لابن قلانس – وتـاريـخ العرب والاسلام – د. حسن ابراهيم حسن – ج٣ ص ١٢٤ .

ولما زحف الروم يريدون حلب ، ومعهم سعد الدولة ، أعلن بكجور ولاءه للفاطميين ، ولم تنته الأزمة إلا بوفاة سعد الدولة ، ومناداة بكجور بإمارة سعيد الدولة بن سعد على الحمدانيين ، ولما قوي شأن سعيد الدولة ،ناصب الفاطميين العداوة ، ولما مات بكجور خلفه في قيادة الجند لؤلؤ الذي مسك الامور بقوة ، حتى أنه أقدم على قتل سعيد الدولة الحمداني ، وأعلن وصايته على ولديه الحسن علي وأبي المعالي شريف ، وأعاد التبعية للفاطميين ليضمن نصرتهم له على الروم،وبموت لؤلؤ زالت السلطة الحمدانية بأكملها ، وغدت بلاد الشام تابعة للفاطميين[1] ، وامتدت الخلافة الفاطمية الى كل أنحاء بلاد الشام والحجاز ، كما خطب للخليفة الفاطمي في ٣٨٢هـ/٩٨٢م على منابر مساجد الموصل واليمن في نفس الفترة .

سلمية من خلال الاحداث :

من هذا العرض المجمل لأحداث الحمدانيين مع مماليكهم وعلاقتهم مع الفاطميين ، تبين أن سلمية كانت تتأرجح بتبعيتها حسب الأحداث بين الأمراء الحمدانيين في حمص وبين المستلطين على الحكم في حلب ، ومن ثم غدت في آخر القرن الرابع للهجرة تابعة للفاطميين ، ورغم ظهور القرامطة في بلاد الشام كعدو للفاطميين ، ومطاردة الخليفة الفاطمي لهم ، فإن سلمية بقيت على تبعيتها للفاطميين الذين كان حكمهم على بلاد الشام بين مد وجزر حسب الأحداث المتعاقبة .

لقد عظم أمر القرامطة ، عندما تعاونوا مع أفتكين ، أحد موالي البويهيين ، واستطاعوا مع مساعدة أفتكين ، وضعف الحمدانيين

---

(١) تاريخ المسلمين ـ لابن العميد ـ وتاريخ العرب والاسلام ـ د. حسن ابراهيم حتي ـ ج ٣ ص ١٢٥ .

واشتغال الفاطميين بحروبهم مع بيزنطة في صقلية وجنوب ايطالية أن يوطدوا سلطانهم جنوب بلاد الشام ، ولما استفحل أمرهم ، قاد الخليفة الفاطمي العزيز بالله جيشا لملاقاتهم في معركة فاصلة ، كان الخذلان فيها للقرامطة الذين انشطروا الى شطرين ، سعى أحدهما لدى الخليفة يعلن عودته لطاعته والإئتمار بأمره[1] ، وهكذا عادت بلاد الشام ثانية للفاطميين .

يظهر من خلال الاحداث أن سلمية قد عاد لها بعض انتعاشها وحيويتها في ظل الدولة الفاطمية ، فغدت معالمها تبرز ، بعد أن أمر الخليفة العزيز بالله الفاطمي بتشييد مدفن جديه تقي محمد ورضي الدين عبد الله وهو نفس المدفن الموجود حاليا في سلمية والمعروف لدى العامة بمدفن (الإمام اسماعيل) ، وقد زين المدفن بقبة عالية،كانت تناطح المآذن في سلمية لعلوها وسموها ، ثم وسع المسجد الذي يقع شرقي المدفن ، وقد جعل له أكثر من محراب ، وأطلق عليه المؤرخون اسم المسجد ذا سبعة المحاريب[2] ، وقد أعاد الفاطميون لسلمية اهتمامهم ، مما أضفى عليها تقدما ملحوظا وحسبها أنها بلدة الاجداد ، ومنطلق الفاطميين الى المغرب .

ولما توفي الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ، وأعقبه ابنه الخليفة الظاهر سنة ٤١١هـ/١٠٢٠ م ، ظهر في أعقاب ذلك تصدع في أتباع الأئمة في الشام إذ أعلن الحمزة بن علي وجماعته عدم اعترافهم بخلافة الظاهر وإمامته عليهم[3] ، وكانوا قد راسلوا أباه الحاكم عندما ولاه في حياته وليا لعهده سنة ٤٠٨هـ/١٠١٧م ، ورغم هذا التصدع ، فقد بقي الجزء الأكبر من بلاد الشام على ولائه للفاطميين ، واستغل بعض الأمراء المحليين الأحداث فأعلنوا استقلالهم على ما بأيديهم من أراض ، فقد أعلن خلف بن ملاعب إمارته

---

(١) تاريخ العبر - ابن خلدون - ج٢ ص ٩١ .

(٢) رسالة استتار الائمة او سيرة جعفر الحاجب - ص ٥٦ - تحقيق ايفانوف ورحلة اثرية - لوصفي زكريا - ص ٢٨٩ .

(٣) تاريخ العرب والاسلام - دكتور حسن ابراهيم حسن - ج٣ ص٢٠٥ .

على حمص وتوابعها ، وهكذا غدت سلمية تحت إمرته ، ثم ضم حماة بعد توسعه ، وكذلك شيزر، وعظم أمر خلف بن ملاعب ، حينما بدا في الأفق أخطار قدوم السلاجقة من الشمال الشرقي من بلاد الأناضول وكردستان ، ويوافق هذه الأحداث امتداد السلطة البويهية الى العراق وتحكمهم بالدولة العباسية •

وقد استفاد السلاجقة من الانشقاقات في بلاد الشام ، التي سبب خطورة كبيرة على الدولة الفاطمية ، واستيقظت همة الفاطميين على أجراس الخطر القادم من الشمال ، فأسرعوا يدعمون سلطانهم على الشام كله بحملة تأديبية للعناصر المنشقة ، فضموا حمص وحماه ، واستعادوا حلب حين هرب الخصوم الى الموصل والعراق ، فقد هرب خلف الى العراق ، كما هرب شبل الدولة نصر بن مرداس الى الموصل[1] ، وذلك عام ٤٢٩هـ/١٠٣٧م ، وهكذا أصبحت بلاد الشام تدين للفاطميين من جديد ، بالرغم أن هذه الفترة لم تصل ، لوقوع الدولة من جديد في خلافات أدت بها الى الوهن والضعف والانشغال بالمشاكل والخصومات الداخلية ، والتي تفاقم أمرها الى حد الحرب الأهلية،عندما حرض أحمد المستعلي على أخيه الخليفة الإمام نزار ابني الخليفة المستنصر بالله ، في حرب كانت نهايتها نهاية حكم الإمام نزار ، وانتقال السلطة الى أحمد المستعلي ، هذه الحرب كانت من الخطورة بشكل أنها أدت الى نتيجتين هامتين :

الاولى : انشطار الدعوة الى شطرين هما النزاريون والمستعليون ، فالنزاريون هم اسماعيليو بلاد الشام والمشرق ، والذين خرجوا عن جسم الدولة الفاطمية ، وكونوا دولتي القلاع في كل من شمالي ايران وسورية •

الثانية : غدت الدولة الفاطمية في منتهى الضعف ، فظهرت أطماع السلاجقة الذين تقدموا فاحتلوا بلاد الشام كما سنرى •

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ج١٢ ص ٤٣ •

فقد أعقب هذا الانقسام عودة نصر بن مرداس الى حلب عام ٤٦٩هـ/١٠٧٦م ، كما أعلن الاقسيس أتزين الخوارزمي استقلاله في دمشق ، وذلك بطرده ممثلي الدولة الفاطمية منها ، وقد اتخذ من قلعة دمشق حصنا له ضد أعـدائـه[1] .

ثم أعقب هذه الأحداث اجتياح السلاجقة لبلاد الشام عام ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م وولي تاج الدولة إلب ارسلان الشام ، فاستخلص دمشـق مـن الأقسيس بعد قتله عام ٤٧١هـ/١٠٧٨م ، وكان قد أخذ حلب عنوة من ابن مرداس عام ٤٧٠هـ ، وظهر لتاج الدولة السلجوقي عدو جديد في الشمال ، هو قتلمش الذي استطاع استخلاص حلب وأنطاكية من السلاجقة ،وأعقبت ذلك حرب بين تاج الدولة وقتلمش استمرت خمس سنوات،كان الفوز لتاج الدولة نهائيا عام ٤٧٩هـ/١٠٨٦م [2] .

هذا النصر لم يطل ، فقد ظهر ملكشاه قوة كبيرة قادمة الـى بـلاد الشام،فدخل حلب وعين عليها حاكما جديدا هو آق سنقر وهو أبو الأتابكة وجد نور الدين زنكي ..

ولكن تاج الدولة الذي خسر حلب ، دعم مركزه في حمص ، وهكذا غدت سلمية تابعة له ، وامتد سلطانه الى حماة وأفامية وقلعة عرفة ، وتتابعت الأحداث على مدى عشرين سنة ، حاول خلالها الفاطميون أن يستعيدوا بلاد الشـام مستفيدين من الخلافـات والخصومات الناشبة ، فلـم يستطيعوا الوصول إلا لمدينة صور على الساحل السوري عام ٤٨٦هـ/١٠٩٣م ،وظهرت القوة الفاطمية ضعيفة إذ تهاوت دون مقاومة ، وليس لديها القدرة ، حتى

---

(١) البداية والنهاية ــ ابن كثير ــ ج١٢ ص ١١٢ ــ ١١٣ .
(٢) البداية والنهاية ــ ابن كثير ــ ج ١٢ ص ١٣٠ ..

على التقدم شمالي مدينة صور ، مع أن الأحوال في بلاد الشام كانت أضعف صورة لحكام متخاصمين متحاربين ، وقد اعتبرت الحملة الفاطمية على الشام آخر سهم طائش ولم يؤت نتيجة ، وطاشت مع هذا السهم آمال الفاطميين في بلاد الشام .

توالت الأحداث بعد ذلك ، فيقتل تاج الدولة ، وتعود الانقسامات الى بلاد الشام ، ويملك حلب عبد الله بن تتش الب ارسلان أخو تاج الدولة ويملك حماة أخوه رضوان ، واستطاع رضوان أن يضم حلب اليه بمساعدة الاسماعيليين في حلب ، بعد أن انهزم عبد الله في معركة غير متكافئة مع أخيه ، فهرب الى الصليبيين يستحثهم على غزو حلب ولكنهم لم يأتوا حلب بل أتوا أنطاكية فملكوها سنة ٤٩١هـ/١٠٩٧م ، وكانت هذه مقدمة الغزو الصليبي الى بلاد الشام[١] .

احوال سلمية خلال الاحداث حتى نور الدين زنكي :

ساءت الأحوال قبل مجيء نور الدين زنكي اضطرابات وانقسامات وظهور إمارات متبدلة بحكامها وبأشكالها ، فقد دخلت الحملة الصليبية ، واستطاعت أن تتركز في عدة مناطق من ساحل بلاد الشام ، فقد شكل الصليبيون إمارة انطاكية بعد معركة دامية ، وكانت قبل لياغي سيانغ ، كما احتل الصليبيون إمارة طرابلس الشام ، وكانت قبل لآل عمار ، وتمركزت الحملة في القدس ، ثم امتدت الى عكا ثم صور ثم صيدا ، أما في الداخل فقد كثر أمراء السلاجقة ، ففي حلب كان الامير رضوان على حرب دائمة مع صليبيي انطاكية ، وفي دمشق كان دقاق الاخ الثاني لرضوان ، ولما توفي حل محله الأتابك طغتكين ، وهو وصي ابن دقاق ، أما حمص فقد كانت لجناح الدولة ثم لتاج الدولة الذي قتله رضوان غيلة ، وضم حمص لإمارته في حلب وأصبحت سلمية تابعة لحلب وأمرائها .

---

(١) ابن الاثير - ج٨ ص ١٧٥ ، والبداية والنهاية ابن كثير ج١٢ ص١٤٩ .

ولما تفاقمت الاحداث ، وعظم أمر الصليبيين في الشام ، تداعى الأمراء الى حربهم،وكان على رأس السائرين لقتالهم مودود الزنكي الذي آزره آل منقذ أصحاب شيزر وعماد الدين صاحب ماردين حيث شكلوا قوة ساروا بها عبر الرصافة فأسرة مارين بسلمية، ولكن هذه الحملة فشلت لأن الأمراء السلجوقيين في الشام وقفوا ضدها لخوفهم من سلطة الزنكي القادمة من الموصل •

كان موت أي أمير مبعثا على إثارة فتن ومؤامرات يستفيد منها على الغالب الصليبيون ، فيزدادون توسعا ، فقد أعقب وفاة رضوان في حلب مجيء عدد من الأمراء الضعاف ، فاستغل الصليبيون ضعف الأمراء ، وغزوا حلب نفسها ، وفرضوا عليها الأتاوات ، حتى مجيء ايلغازي بن أرتق ،فدفع الصليبيين عنها ، وفي حمص قام فرحان بن قراجه ، فاستخلصها من أبناء رضوان ، ولكنه لم يستطع حمايتهامماشجع الصليبيين أن يتقدموا باتجاهها محتلين قلعة الأكراد (الحصن) ، وامتدوا عبر السهول ، حتى غدت حمص أمام أخطارهم ، وبامتداد الصليبيين الى وادي النصارى، ثم الى بعرين (الرفينه) غدت حماه مهددة مروعة • من خلال الأحداث ، وفي هذه الفترة الزاخرة بالأخطار ، ظهرت بارقة أمل من أمراء الموصل الزنكيين ، فقد تقدم عماد الدين الزنكي باتجاه الغرب ، فاجتاح أرض الجزيرة الشامية ، ووصل الى حدود حلب ، واستطاع فتحها إلا أن عماد الدين زنكي قتل غيلة في قلعة جعبر بظروف غامضة ، فأقسم ابنه نور الدين زنكي ، أن يتم أهداف والده ، في مقاومة الصليبيين ، فاتخذ من حلب مركزا له ، وتقدم فاحتل معرة النعمان ، ثم حماة فحمص ، وهكذا غدت سلمية تابعة للزنكي ، وشعر الصليبيون بخطر الزنكي عليهم كقوة ناشئة ، فسارعوا لحربه ، وهاجموا حلب من الشمال ، فاحتلوا بزاعة وتقدموا باتجاه حلب ، فصرفهم الزنكي بالمال ريثما يوطد سلطانه على بلاد الشام عام ٥٣٢هـ/١١٣٧م ، وهاجم دمشق ولولا أمير بعلبك لاحتلها إذ سارع لنجدة أمير دمشق ، مما دفع نور الدين زنكي أن يغزو بعلبك نفسها ، واحتلها ومنحها لنجم الدين بن أيوب

سنة ٥٣٤هـ/١١٣٩م ، وعاد لمطاردة الصليبيين بدءا بهم من أفامية ، ولكن أمر الصليبيين عظم في وسط بلاد الشـام ، مما جعـل مدينتي حمص وحماه يهددهما خطر داهم ، لذلك عمد نور الدين زنكـي لوضـع خطة يقارع الصليبيين بحكمة :

خطـة نـور الديـن زنكـي لمحاربـة الفرنجـة :

أصبح الصليبيون بعد تمركزهم على الشكل الذي سبق أن بيناه خطرا على داخل بلاد الشام على محورين رئيسين :

المحور الأول :

أ ـ محور أنطاكية ممر بيلان ـ عفرين ـ الباب ـ حلب •
ب ـ محور انطاكية ـ اللاذقية ـ جسر الشغور ـ الداخل •

المحور الثاني :

أ ـ محور طرابلس الشام ـ قلعة الأكراد ـ حمص •
ب ـ محور طرابلس الشام ـ قلعة الأكراد ـ الرفينة ـ حماه •

وقد استطاعوا في المحـور الأول احتـلال مدينة حارم في الشمال ، وحصن بارين في جبل الزاوية وأفامية ، وأما في المحور الثاني ، فقد احتلوا وادي النصارى وقلعة الحصن ، وقطعة بعرين •

أصبحت هذه المواقع كلها نقاط استناد للصليبيين يقفزون منها دائما على مدن حلب وحمص وحماة ، لذلك كان أمام نور الدين زنكي أن يضـع خطة محكمة الدقه ، وإلا فإنه لن يستفيد شيئا ويتفاقم الخطر الصليبي •

فكر نور الدين أنه دون الوحدة الداخلية لا يمكن قهر الصليبيـين أو وضعهم خارج المناطق الخطرة ، والوحدة في الداخل تقتضي منه أن يذيب الإمارات العديدة ، ومن هنا بدأ مساعيه فاحتل دمشق سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م

وخلصها من معين الدين ، كما ملك بعلبك في ٥٥٠هـ/١١٥٥م ، ثم سعى الى الشمال فملك حارم ، كذلك أنهى إمارة شيزر من بني منقذ لأنهم أضعف من أن يقاوموا الصليبيين في جوارهم ، كما هادن الاسماعيليين وشيخهم الداعي أبا محمد في الجبال الغربية[1] ، وبهذا النجاح أصبح نور الدين على أهبة أن يحقق خطته ، فقد أنهى النصف الأول منها ، وما كان عليه إلا أن يقابل الصليبيين بمحاور على غرار محاورهم،ليكون لديه خطوط دفاعية وتموينية قريبة من خطوط الحرب ، ومن هنا لعبت سلمية دورا كبيرا في هذه الرحلة، مستفيدا بما لسلمية من ميزات الموقع والقرب من مدينتي حمص وحماه ، وبعدها عن خطوط الحرب ، كل ذلك مهد لسلمية أن تنال عند نور الدين زنكي أهمية ورعاية تدعم خطته في مقارعة الصليبيين •

سلمية تزدهر في عهد الزنكيين :

اعتبر نور الدين زنكي سلمية خطا دفاعيا ثانيا ، ومن هنا بدأ يجعلها مركزا لتموينه العسكري لقواته في حمص وحماة ، وهذا ما جعله يولي هذه المدينة اهتماما كبيرا ، فأقام فيها عدة مشاريع عمرانية •

١ ــ تحصين سلمية : رمم نور الدين زنكي سور سلمية القديم ،وعمق الخنادق المائية التي تحيط بهذا السور ، ثم أقام أبراجا دفاعية على امتداد السور ، ومع أن هذا السور كان قائما ، ولكنه ليس من القوة ما يمكن المدينة من الدفاع عن المواد التي يريد أن يودعها نور الدين فيها •

وهكذا غدا السور على ارتفاع ما يقرب من عشرة أذرع وعرض لا يتجاوز ثلاثة أذرع ، ويقوم هذا البناء على نفس الأسس التي وضعها اليونان قبل الميلاد ، فكان دور نور الدين هو ترميم السور وجعله أكثر متانة على مستوى ما هيأه لسلمية من عمل مستقبلي لخططه ذات المدى البعيد •

---

(١) البداية والنهاية ــ ابن كثير ــ ج ١٢ ص ٢١٩، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٤١ •

٢ ـ قلعة سلمية (١) :

الزائر لسلمية اليوم يشاهد الجدار المنتصب وسط السوق ، ولقد سمعنا من العديد من المواطنين عن تشاؤمهم من هذا الجدار الخرب ، وهذا التشاؤم عائد لعدم معرفتهم بتاريخ هذا الجدار ، وهو الجزء المتبقي من سور قلعة مدينة سلمية ، وكان يلاصق السجن الذي بناه العثمانيون داخل القلعة إبان حكمهم ، فلما هدم الأهلون القلعة للاستفادة من حجارتها لم تنل أيديهم هذا الجزء ، كونه جدارا للسجن،وهكذا بقي الجدار كمثال حي على ماقام به نور الدين زنكي في بناء قلعة سلمية •

تعود قلعة سلمية الى العهد اليوناني وامتداده الروماني ، إذ كانت مركزا للجند ، وللقلعة شكل رباعي ذو ثمانية أبراج ، في كل زاوية من زوايا القلعة الأربع برج ، وكذلك في منتصف الجدار بين الزاويتين برج آخر ، كما يعتبر باب القلعة البرج الثامن •

جدار القلعة : ينتصب الجدار على ارتفاع ٨ ـ ٩ م ، أما القاعدة، فهي يونانية أو على الطراز اليوناني وأما أعلاه فهو مملوكي يبلغ عرضه ١ ـ ٢ م تقوم المدرجات الدفاعية ، بشكل جدار وراءه ممشى شأن جدران القلاع عادة ، وهكذا يستطيع المدافعون أن يسيروا بين الأبراج العليا،وعلى ممشى الجدران من الداخل حول القلعة كلها ، مما يجعلهم قادرين على الدفاع من جميع الجهات •

بقي هذا الجدار حتى ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م ، حيث هدم الجزء الأكبر من الجدران لبناء قصر الأمير اسماعيل الشهابي القائم بأعمال إدارة المدينة •

الأبراج : يبلغ عدد الابراج سبعة يضاف اليها برج الباب ، فيصبح عددها ثمانية أبراج وتشكل هذه الأبراج مراكز دفاعية عن القلعة المنتصبة وسط المدينة ••

---

(١) رحلة اثرية ـ للمهندس وصفي زكريا ـ ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ •

شكل البرج : يتألف البرج من طابقين سفلي وعلوي ، ومن الأسفل بني على شكل دائرة ، أما في الأعلى فيصبح البرج على شكل سداسي أو ثماني ، وهو بارز خارج سور القلعة ، مما يؤهله للمراقبة والدفاع من عدة جهات بمزاغل علوية وسفلية وله بابان علويان يتصلان بممشى جدار السور من الجهتين ، ويصعد الى البرج العلوي بدرج معلق دوائري،ويشكل الجزء العلوي طابقا بسعة غرفة نصف قطرها حوالي ٣ م ، ويكون البرج عادة أعلى من جدران القلعة •

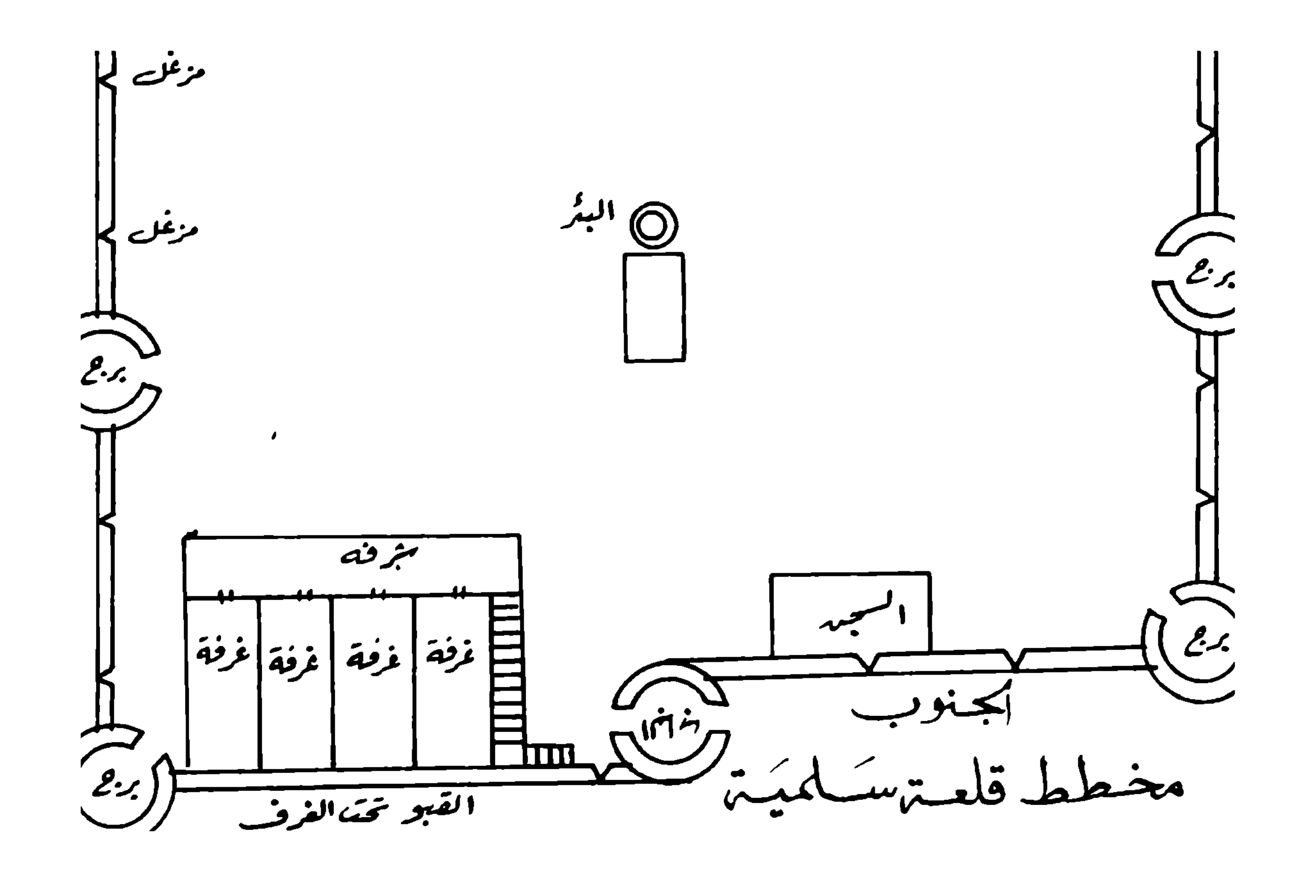
برج الباب : يقوم هذا البرج في الجدار الجنوبي ، فهو من الأسفل عبارة عن باب ضمن البرج متسع بعرض حوالي مترين ونصف وارتفاع حوالي ثلاثة أمتار ، ويشكل الباب غرفة مفتوحة بباب نحو القسم الخارجي والباحة الداخلية ، وهو محمٍ من الأعلى بالبرج العلوي على غرار أبراج القلاع الأخرى •

قصر القلعة :

يقع هذا القصر ملاصقا للجدار الجنوبي بطول قدره المعمرون[1] ٢٠ ـ ٢٥ م وعرض ٨ م ، ويتألف هو الآخر من طابقين علوي وسفلي ، أما السفلي وله بابان يؤديان الى داخل القلعة،وهو مبني على شكل عقود رباعية، لذا كان له ركائز تقوم عليها القناطر وهو متسع يستطيع أن يستوعب أكثر من / ٥٠٠ / جندي ، ويحتوي من التموين قدرا كبيرا ، هذا القبو حول في مطلع القرن العشرين الى مسجد بعد إخراج ساكنيه من السلميين المعاصرين •

---

(١) شارك في معلومات القلعة عدد من معمري سلمية وهم السادة:الاستاذ مصطفى الجندي واسماعيل الحايك وخضر امين وحمدو حمود وشريف الحايك وعلي زهره وعلي عيدو ومحمد ملحم واحمد المسلخ،كما وصف المهندس وصفي زكريا في كتابه رحلة اثرية هذه القلعة بما طابق ماتحدث عنه المعمرون .


مزغل
مزغل
البئر
برج
برج
برج
برج
برج
شرفة
غرفة
غرفة
غرفة
غرفة
القبو تحت الغرف
الباب
السجد
الجنوب
مخطط قلعة سلمية



(جدار قلعة سلمية)

أما القسم العلوي : فيتألف من خمس غرف أبوابها متجهة الى الشمال ، ولها نوافذ ومزاغل دفاعية في الجهة الجنوبية ، ويصعد الى الطابق العلوي بدرج يقوم قبالة باب برج القلعة ، مبني بشكل (معلق دك) ، وأمام غرف القلعة الخمس (شرفه) ذات خمسة أعمدة تستند عليها أعمدة حجرية طويلة تشكل سقف الغرف والشرفة معا ، بحيث يكون سقف الشرفة والغرف من الأعمدة الحجرية البازلتية ، والتي سحبها سكان سلمية ، وجعلوا أكثرها عتبات لبيوتهم ، أما الأعمدة فبعضها باق[1] والآخر كسر وبني به .

ساحة القلعة : ساحة متسعة على امتداد جدران القلعة الأربع حيث يبلغ طول الجدار الواحد حوالي ١٣٠ م ، ويتوسط هذه القلعة بئر ماء يعرفه سكان سلمية ، لأنه بقي الى عهد متأخر أمام دار الحكومة القديم ، ومن هذا البئر يشرب ساكنوا القلعة ، أما أرضية الساحة فهي مغطاة بحجارة مربعة مرصوفة ، يتخللها العشب النامي على غرار رصفها رصفت شوارع سلمية قبل تغطيتها بالإسفلت . ومن المعتقد أن هذه القلعة كانت مركزا عسكريا لحماية سلمية التي أصبحت مدينة تموين لجند الزنكي .

الأقبيـــة :

بعد استقصاءات مع عدد من معمري سلمية ، تبين أن الحي الشرقي من سلمية القديمة يحتوي أكثر من / ٢٦ /قبوا ، وهذه الأقبية مبنية من حجارة بازلتية على شكل عقود وقناطر ، وبانيها هو نور الدين زنكي فهي على النمط المعاصر لعهده ، إذ كان يستعملها لحفظ التموين لجنده في وسط بلاد الشام ، حتى أنه ذكر لنا من خلال الإستقصاء الأثري عنها ، أن ساكني سلمية الأوائل اكتشفوا هذه الأقبية وسكنوها ، وكانت تنشب الخصومات عند تنظيف هذه الأقبية من الحجارة يقذفها خارج القبو فتسقط على القبو المجاور ، فتكون سببا للشجار بعضهم مع بعض .

---

(١) في دار الاستاذ انور الجندي عمود من اعمدة القلعة وهو بطول حوالي / ٥ / م من حجر البازلت .

كانت كل اهتمامات نور الدين زنكي تتركز الى تحقيق خطة ناجحة ، وبهذه الخطة الحكيمة استطاع الزنكي أن يوقع بالصليبيين الهزيمة تلو الهزيمة ، ويلحق بهم خسائر كبيرة ولكن الحرب بين الزنكي والصليبيين توقفت عام ٥٥٣هـ ، بسبب وقوع زلزال مدمر جعل الزنكي والصليبيين كلا منهم يرمم ما انهدم من حصونه وقلاعه •

فقد انهدم حصن الأكراد ، وكذلك قلاع الجبال ، وسور سلمية وجزء من قلعتها ، وكذلك تهاوت أبراج قلعة أفامية ، ونال هذا الزلزال المدن تدميرا وهلاكا بالسكان[1] مما صرف القوات المحاربة على اختلافها الى صيانة ما انهدم ، وقد أورد اسماعيل أبو الفداء صاحب حماه صورة عن هذه الزلازل المدمرة بما سمعه عن أخباره فيقول[2] :

« إن معلما للصبيان خرج من داره المليئة بالأطفال ، يريد حاجة خارج البلد (حماه) ووقع الزلزال ، فهدمت الدار ، وجاءت على الأطفال كلهم ، فلم ينج منهم أحد ، ولم يأت من أهلهم أحد يسأل عن ولده •• » •

من هذه الحادثة نستدل أن نتائج هذا الزلزال ، كانت مفجعة في بلاد الشام ، حتى أن قلعة شيزر قد تهاوت على بني منقذ ، فلم يسلم منهم إلا من كان مسافرا ، لذلك ألحقها نور الدين زنكي الى ممتلكاته حتى لا تقع بيد غيره بعد أن زال أصحابها بنو منقذ منها •

ما أصاب سلمية بهذا الزلزال هو تهدم مآذن مسجدها ذي سبعة المحاريب ، كما تداعت أبراج سور البلدة الخارجية ، وبعض أبراج وبناء القلعة ، لذلك عمد نور الدين الى ترميم ما انهدم في سائر البلاد ، وتال هذا الترميم ما انهدم من سلمية •

---

(١) البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ج ١٢ ص ٢٣٦ •

(٢) تاريخ ابي الفداء ـ اسماعيل ابو الفداء ـ ج ٣ ص ٣١ •

واستغرقت أعمال الترميم حوالي عشـر سنوات ، كانت بلاد الشـام تعيش في هدوء مشوب بالحذر كالهدوء الذي يسبق العاصفة عادة ، وإبان هذه الفترة مات نورالدين زنكي في دمشق ، وبدأ نجم أحد قواده في التألق، وكان هذا القائد هو صلاح الدين بن يوسـف الأيوبي ، نائب الزنكي في مصـر •

صـلاح الديـن الأيوبـي في مصـر :

كان الفاطميون حكما ، قد كتبوا نهاية الدولة المحتومة ، بعد الخصام بين ولدي الخليفة المستنصر بالله أحمد المستعلي وأخيه نزار، ولئن استطالت هذه النهاية حوالي سبعين عاما ، فتعود للهيبة التي خلفها الخلفاء الفاطميون الأول من أمثال المعز لدين الله والعزيز والمستنصر بالله ، حتى إذا أطل حكم العاضد كان كل شيء قد تكشف عن نهاية الحكم الفاطمي •

فبلاد الشام خرجت من سلطة الفاطميـين ، سـواء كان هذا الخروج سياسيا أم دينيا ، فمن حيث السياسة ، وقعت بلاد الشام بيد الأمراء من آل سلجوق ومن جاء بعدهم ، وأما دينيا ، فقد أعلن الاسماعيليون الشـاميون تمسكهم بإمامة نزار وأولاده في (آلموت) شمالي إيران •

أما اليمن ، فقد استقل الصليحيون فيها استقلالا تاما إلا مـن بعض العلاقات الدينية الروتينية ، وهكذا انحسر الحكـم الفاطمي عن الحجاز ، وتقلص عن المغرب ، ويظهر أن مصر وحدها هي الفاطمية ، والحقيقة أن مصر نفسها لم تكن بيد أي خليفة فاطمي بعد المستنصر بالله ، لقد أخذ المماليك يحكمون فيها باسم الخلفاء المستعليين الضعاف،لذلك كانت الخاتمة متوقعة، واستطاع صلاح الدين أن يسدل الستار على الحكم الفاطمي دونما وجل أو خوف من نقمة الناس وثورتهم ، وتبدى انقلاب صلاح الدين الأيوبي إلغاء

المذهب الشيعي الإسماعيلي من مصر واعلان المذهب الشافعي[1]،فلم يجابه عمله هذا بصوت واحد أو ردة فعل واحدة في مصر كلها ، واقتضى الزمن على الدولة الفاطمية ، ليبدأ نجم الأيوبيين في الصعود بعدما عاشت هذه الدولة على مدى مائتين وإحدى وسبعين سنة .

وظهرت إدارة صلاح الدين الأيوبي العسكرية الناجحة في استتباب الأمن في مصر ، مما دفعه ليتطلع الى أبعد من مصر ، الى الشام .

صلاح الدين في الشام :

بدا الخلاف واضحا بعد وفاة نور الدين زنكي الذي ترك فراغا لايمكن لأحد من الامراء المتبقين ملؤه ، لذا كانت الشام مسرحا لأزمات داخلية متعددة زيادة عما عليه من خطر خارجي يهددها باستمرار .

أما الأزمة الداخلية فتتجلى في الصراع بين خلفاء نور الدين زنكي على السلطة ، بعد أن ترك ولدا صغيرا قاصرا لا حول له ولا طول ، تجلت الأزمة الخارجية في وصول الصليبيين الغزاة الى مناطق حساسة داخل بلاد الشام ، وهم يتحينون الفرص للوثوب الى أبعد من ذلك ولمطامع لا حدود لها ، وغدت حماة وحلب وحمص ودمشق وجميع حواضر بلاد الشام مدنا مهددة بالخطر الصليبي،ومما زاد في الخطر هو مساعي بعض الأمراء المحليين الذين يساومون الفرنجة ويهادنونهم كموقف شمس الدين بن المقدم صاحب بانياس الشام ، عندما راسل الفرنجة في القدس يستعطفهم لإبقائه في منصبه[2] .

وبهذا الشكل كان حال الشام يستصرخ شخصية قوية محبوبة ، يتجمع

---

(١) تاريخ ابي الفداء ـ ج٣ ص ٥٢ .
(٢) خطط الشام ـ محمد كرد علي ـ ج٢ ص ٤٦ .

الناس حولها لرد اعتبار العرب وكرامتهم المهدورة ، وكان صلاح الدين الأيوبي هو بارقة الأمل ، يلوح في نجاحاته في مصر وله صداه في بلاد الشام، ورغم أن صلاح الدين نفسه في مصر كان يعتبر نفسه طوع ابن نور الدين زنكي ، وتتبين صدق مشاعره من خلال مراسلته إياه، فقد كتب له ما يلي[1]

« إن الوفاء إنما يكون بعد الوفاة ، والمحبة انما تظهر آثارها عند تكاثر أطماع العداة » .

ولكن أمراء الشام قابلوا صلاح الدين بتهجمهم عليه ، ووصموه بالعديد من الصفات السيئة كالطمع في الحكم ، وعلى رأس هؤلاء الأمراء كان شمس الدين بن الداية الذي كان في حماة ، فقد راسل الصالح بن نور الدين زنكي ليكون عنده فيحماة بكتاب طويل حمله سعد الدين كمشتكين، يهدف من ذلك وضع الصالح الزنكي الفتي تحت رعايته مستأثرا بحكم الشام باسمه ، وهذا وحده يظهر الحالة السيئة في خلفاء الزنكي الذين كاتب بعضهم صلاح الدين ليخلصهم من تسلط ابن الداية واستئثاره بالشام، وذلك عام ٥٧٠هـ/١١٧٤م .

مسيرة صلاح الدين الى الشام :

جهز صلاح الدين حملة قطع بها صحراء سيناء،ووصل الكرك ،وكانت سابقا لوالده ، ثم وصل الى بصرى الشام ، فاستقبله صاحبها الذي كان ممن استنصر به ، وسار بركابه ، وعندما وصل دمشق خرج عسكرها لاستقباله وتقديم مراسيم الولاء له ، إلا قلعتها ، فقد عصا فيها خادم الملك الصالح

(١) خطط الشام ـ محمد كرد علي ـ ج٢ ص ٤٦ ـ ٤٧ .

زنكي واسمه ريحان ، فراسله صلاح الدين ، فأخلى له القلعة وسلمه إياها ، ثم أرسل صلاح الدين كتابا الى الملك الصالح يخاطبه بسيدي ومولاي ، ويقول[1] فيه « ... إنما جئت من مصر خدمة لك ، لأؤدي ما يجب من حقوق المرحوم ، فلا تسمع ممن حولك ، فتفسد أحوالك وتختل أمورك ، وما قصدي إلا جمع كلمة الإسلام على الفرنجة .. » .

فشاور الملك الصالح من حوله ، فأشاروا عليه أن يستنكر خطوات صلاح الدين ، وأن يخشن له بالكلام ، مما أثار صلاح الدين ، وإن كان قد أبدى تسامحا بكظم غيظه ، ورأى أن الخطر كله في وقوفه عند حدود دمشق ، لذلك آثر أن يتابع مسيرته شمالا ، فاستخلف في دمشق سيف الاسلام طغتكين بن أيوب ، وسار الى حمص ، والتي كانت مع سلمية وبارين والرها من قطاع فخر الدين مسعود بن الزعفران[2] الذي اتسم حكمه بالقسوة والظلم فيما ملك من مدن ، بينما بقيت القلاع لنور الدين زنكي وجنده ، ومن هنا تتابعت المدن في تأييدها لصلاح الدين ، بينما تعصو القلاع والحصون ،مما يستدعيه لاستعمال القوة لإخضاعها ، ففي حمص ملك صلاح الدين المدينة وعصت قلعتها ، فترك حامية تدك أسوارها ، ورحل الى حماة ، فملك المدينة وعصت قلعتها ، وكان فيها عز الدين جرديك أحد مماليك النورية ، فاستملكها صلاح الدين عنوة ، وسلمت له سلمية بعدها ، وتابع صلاح الدين مسيرته نحو حلب التي خرج منها الملك الصالح وقد جمع الناس حوله ، وقاوموا صلاح الدين مقاومة لم يستطع بها صلاح الدين استملاك حلب ، حتى أنه صد عنها ، واضطر للنزوح عنها بسبب تقدم الفرنجة نحو حمص وحماة ، فعاد ليحاربهم ويهزمهم وتستقر حمص من جملة ممتلكاته .

---

(١) خطط الشام ــ محمد كرد علي ــ ج ٢ ص ٤٧ .

(٢) تاريخ ابي الفداء ــ ج ٣ ص ٥٦ ــ وابن الاثير ج ٩ ص ١٣١ .

ولكن الملك الصالح كاتب ابن عمه سيف الدين غازي صاحب الموصل يستنجده على صلاح الدين ، فلبى سيف الدين طلب ابن عمـه ، واستحث الخطا مع أخيه الأكبر عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار ، وهكذا تجمع للملك الصالح جمع كبير من العساكر الزنكية بحلب،وسارت الجموع باتجاه حمص ، فكاتب صلاح الملك الصالح يبذل له حمص وحماة على أن تبقى له دمشق ، فرفضها الملك الصالح ، والتقى الجيشان في أطراف حماة من الشرق بالقرب من سلمية ، ودارت حرب طاحنة انهزم خلالها الجيـش الزنكي واقتصر صلاح الدين ، وقطع خطبة الملك الصالح ، وأزال اسـمه عن السكة وسمى نفسه سلطانا ، وراسله الزنكيون للصلح على أن يكـون ما بيده له ، وما بيدهم لهم ، وعلى هذا تم الصلح ،ولكن صلاح الدين فتح حصن بارين وضمها لممتلكاته ، كما صالح بني رزيك على أن يكون الحـد بينهم هو معرة النعمان ، ولكن الزنكيين نقضوا الصلح ، وجهزوا جيشـا من عشرين ألف مقاتل بين فارس وراجل ، واستطاع صلاح الدين بقواتـه البالغ عددها ستة آلاف أن ينتصر عليهم للمرة الثانية ، وذلك في عام ٥٧١ هـ /١١٧٥م ، مما شجع صلاح الدين للقيام بعمليـة فتح جديدة في أمـلاك الزنكيين ، فحاصر بزاعة وملكها ، وقصد منبج ففتحها عنوة ، وسـار بعد الى اعزاز فتسلمها ،وهكذا جرد صلاح الدين حلب من توابعها الاكثرأهمية، ورأى الملك الصالح أنه أصبح تحت رحمة صلاح الدين ، فكاتبه وناشده الصلح فصالحه ، وأعطاه قلعة اعزاز ورحل صلاح الدين بعدها قـاصـدا مصياف[1] ليؤدب شيخ جبل سنان راشد الدين •

وبعد أن خرج من مصياف ، اتجه لمجابهة الصليبيين بعد أن وقع مـع سنان راشد الدين صلحا واتفاقية حرب دامت طيلة العهد الايوبي ، وفـي عسقلان في عام ٥٧٣هـ/١١٧٧م وقعت معركة طاحنة مع الصليبيين ، كانـت الهزيمة لجيش صلاح الدين ، حيث اتجه الى مصر •

---

(١) خطط الشام ـ محمد كرد علي ـ ج ٢ ص ٥٠ ، وأبو الفداء ـ ج ٢ ص ١١٦ •

أناب صلاح الدين على حماة خاله شهاب الدين الحارمي ، وأناب على حمص ابن عمه محمد بن شيركوه الايوبي ، وعلى بعلبك أحد أقربائه توران شاه ، وهكذا أصبحت سلمية من قطاع شهاب الدين الحارمي ، وقد تبعت سلمية بما فيها من جند وتموين صلاح الدين غداة وصوله الى حماة فأفاد منها فائدة كبيرة لأنها كانت ملأى بالحبوب وأنواع التموين العسكري •

الصليبيون يهاجمون حماة :

كان لرحيل صلاح الدين بعد هزيمته الى مصر على النحو المذري ، إثارة للصليبين أن يحققوا شيئا من مطامعهم في بلاد الشام ، ففي أواخر عام ٥٧٣هـ/١١٧٧م ، تقدم الصليبيون باتجاه حماة بعد أن تخطوا بعرين (الرفنية) وشيزر ، وضربوا حصارا شديدا حول مدينة حماة المتحصنة ، فأرسل شهاب الدين الحارمي رسله يستحث قوات سلمية وبعضا من فصائل صلاح الدين فيها لمساعدته في فك الحصار عن المدينة ، فهب إليه جمع غفير شارك فيه الأهلون وبعض شيوخ البدو ، حيث أثارت هذه النجدة همة شهاب الدين ومن معه ، فخرجوا من وراء سور حماة ، وأخذوا يحاربون الصليبين حرب استماتة ، فتم لهم النصر وتراجع الصليبيون بهزيمة نكراء الى بعرين ، وكان خروج قوات الحارمي من الجبهة الجنوبية بينما اندفعت قوات الايوبيين من الجهة الغربية مما اضطر الجيش الصليبي أن ينقسم الى فرقتين ، وبينما انهزمت الجبهة الجنوبية وحوصرت العديد من قوات الجبهة الغربية ، فكانت هذه المعركة مثالا للوحدة إبان الشدة في مقاومة العدو الأجنبي ، ولكن شهاب انتابته نوبة قلبية أضعفته وتوفي بعد ذلك بأشهر ، ويخسر صلاح الدين الرجل القوي والسند الأكبر[1] ، فحزن صلاح على فقده لخاله ، وعين مكانه تقي الدين عمر الأيوبي يساعده في الأمن ابن عمه محمد بن شيركوه صاحب حمص • •

---

(١) ابن الأثير – ج ٩ ص ١٤٣ •

عودة صلاح الدين الى الشام :

في أواخر عام ٥٧٤هـ/١١٧٩م عمد صلاح الدين للمسير الى الشام لتأديب شمس الدين بن المقدم في بعلبك ، لأنه رفض تسليم البلد لمن عينه صلاح من قبل وهو توران شاه ، واستطاع صلاح الدين فتح بعلبك بعد حصار لم يطل ، وعندئذ سلمها لمبعوثه الأول ، وتابع تقدمه محاربا جموع الفرنجة بين طبرية وصفد ، وحتى ولاية ليون الأرمني ، فما أن أطل عام ٥٧٦هـ/١١٨٠م حتى عاد صلاح الدين الى مصر ليسوي بعضا من أحوالها، ومكث فيها حتى عام ٥٧٨هـ/١١٨٢م ، حيث عاد الى الشام ثانية ليصول مع الفرنجة حربا وصل بها الى سنجار وآمد ، ثم عاد الى أرض حلب ، فملك تل خالد من توابع حلب ، واجتاح عنتاب وصالح زنكي بن مودود بإعطائه سنجار ،وقد مدحه القاضي الدمشقي محي الدين بن الزكي بقصيدة مطلعها:

•فتحكم حلب بالسيف في صفر　　　مبشر بفتوح القدس في رجب

وصادف أن تحقق فتوح القدس بنفس الشهر الذي ذكره الشاعر ، بعد أن خاض غمار حرب حطين ، وحطم أسوار القدس عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م في شهر رجب ، ثم اتجه الى الحرب على الساحل في انطرطوس والمرقب وجبلة واللاذقية ، ثم حاصر قلعة صهيون ، فتسلمها بعد حصار مرهق وتسلم بعدها قلعة برزية والشغور ودخل منطقة حلب طاردا الفرنجة منها نهائيا(١) ، وعاد بعدها الى دمشق ليتابع حربه مع الفرنجة في الجنوب ،كمافي عكا عام ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م وبعدها بعام تم صلحه مع الفرنجة ، والذي تضمن نصا صريحا برحيلهم من ديار فلسطين •

عاد صلاح بعدها الى دمشق وبقي طيلة ذلك العام بين أهله وذويه ينتابه المرض تباعا حتى اشتد عليه وأخمد الروح الوثابة فيه عام ٥٨٨هـ/١١٩٢م

---

(١)　تاريخ الحروب الصليبية ـ ستيفان ـ رانسيمان ـ ج٢ ص ٧٦١ •

بين الأهل والأقرباء ، بعد طول التجوال ومقارعة الاعداء ، ودفن في محفل مهيب في دمشق التي أحبها فاحتضنته الى الأبد •

ورثة صلاح الدين في دولته :

ورث دولة صلاح الدين سبعة عشر ولدا ذكرا ، وقد نجح بعضهم في استلام إمارات ، وبقي بعضهم فارغا من الإمارة ، وتوزعت الأقاليم الموروثة على الشكل التالي ، كان أخو صلاح الدين الملك العادل أبو بكر في مصر فملكها ، وملك الملك الأفضل نور الدين الأكبر لصلاح الدين دمشق ، كما ملك في بعض من أجزاء مصر الملك العزيز عماد الدين عثمان،وملك حلب الملك غياث الدين غازي ، وفي الكرك والشوبك والاقاليم الشرقية من البلاد الشامية ، ملك الملك العادل منصور الناصر للدين بن المظفر ، وفي بعلبك ملك الملك الأمجد مجد الدين بهرام ، وفي حمص والرحبه وتدمر ملك شيركوه ابن محمد ، وفي بصرى الشام الملك المظفر خضر بن صلاح الدين ، وهكذا توزعت الدولة في الأسرة الأيوبية ، وهناك بعض من القواد والمقربين من صلاح الدين نالهم أيضا من الدولة إمارات فقد ملك حصن شيزر وما يتبعه سابق الدين عثمان بن الداية ، وأتمر على قلعة صهيون وبرزية والشغور ناصر الدين بن منكورس ، وأخذ دلدرم بن بهاء الدين تل باشر وما يتبعها واتمر على كوكب وعجلون أسامة الحلبي ، وانفرد ابراهيم بن شمس الدين ابن المقدم ببعرين وكفر طاب وأفامية (١) ، وكان حريا أن يجري بين الورثة بسبب كثرتهم العديد من المنافسات والمؤامرات ، حتى كادت أن تصل الى حد الحرب والأقتتال •

صور من التنافس بين الاسره الايوبية :

الملك العادل يفوز بالقسم الأكبر من دولة الأيوبيين :

بعد منافسات وحروب ، كان السبب الأول فيها مطامع كل ملك بما

---

(١) خطط الشام ــ محمد كرد علي ــ ج ٢ ص ٧٠ •

لدى غيره ،فلما توفي الملك العادل العزيز عثمان في مصر عام ٥٩٥هـ/١١٩٨م وله من العمر عشرون عاما ، قام مكانه ابنه الملك المنصور محمد ، ولما كان صغير السن ، فقد اتفق على استدعاء أحد الأمراء الأيوبيين ، ليكون أتابكيا له ، ووقع الاختيار على الملك الأفضل ، وكان في صلخد ، وما أن حضر الى مصر حتى انقسم العسكر الأيوبي الى قسمين : قسم كاتب الملك العادل أخا صلاح الدين ، والقسم الآخر أقر بأتابكية الملك الافضل على ابن أخيه المنصور محمد .

كان الملك العادل يحاصر ماردين عندما وافته أحداث مصر ،فتوجه من توه الى دمشق ، مما اضطر الملك الافضل أن يتجه لاحتلالها ، ولما عجز عن ذلك وحده استنجد بأخيه الملك الظاهر ، وحاصر الملكان دمشق ، وكانت خطة الملك العادل الايقاع بين الأخوين،بأن وعد الملك الظاهر أن يسلمه دمشق دون أخيه ، ونجح في بث الفرقة بين الأخوين ، لمن تكون دمشق ؟ وبخلاف الأخوين فشل عسكريهما ، فعاد الأفضل الى مصر ، بعد أن فشل في مقارعة أخيه الظاهر في معركة دارت بين الأخوين في مرج الأصفر في ضواحي مدينة دمشق[١] ، وعاد الظاهر الى حلب ، واستغل الملك العادل فشل الأفضل ، فلحقه حتى أدركه ، وأوقع فيه هزيمة نكراء ، فالتجأ الأفضل الى القاهرة ليحاصر فيها ، ولكن الحصار لم يطل،فقد تم فتحها بعد ثمانية أيام ، وعندئذ أعلن الملك العادل أنه هو الأتابك للملك المنصور محمد ، ومع أن هذه الأتابكية لم يطل أمدها لإعلان الملك العادل أنه سلطان مصر ، وضرب السكة،وأقام الخطبة باسمه ، وصالح العادل ابن أخيه الملك الظاهر في حلب، فأعلن الثاني مقرا بتبعيته لعمه ، عندما أقام الخطبة للعادل في حلب وتوابعها، وحاول الملك الظاهر التحرر من هذه التبعية بتوسيع سلطته فاتحا منبج وكفر طاب ومعرة النعمان وأفامية ، ولكن حماة استعصت عليه ، وعاد أخوه الأفضل المخلوع من مصر لينضم اليه ، واجتمع الاخوان ثم انضم

---

(١) خطط الشام ـ محمد كرد علي ـ ج ٢ ص ٧٣ ، وابو الفداء ـ ج ٣ ص ٢١٦ .

اليهما ميمون القصري صاحب نابلس متفقين على فتح دمشق واستخلاصها من الملك العادل ، ثم متابعة الحرب في مصر لإنهاء سلطنة الملك العادل .

ولكن العادل فك أزر هذا التحالف بالحيلة ، وتمت لـه السلطة على مصر وبلاد الشام ، وسادت الطمأنينة والسلام فترة من الزمن ، وأصاب سلمية في هذه الفترة ازدهار ملحوظ، لأنها كانت بعيدة عن مسرح الأحداث، ولأن الملك المنصور شجع على تقدمها الزراعي حتى تمد حماة اقتصاديا .

ولما تم للعادل الاستيلاء على ماملكه الأمراء الصلاحيون من أبناء أخيه، اتجه بكل قواه لمحاربة الصليبيين في الساحل ، ففي عام ٥٩٣هـ/١١٩٦م ، نازلهم في بيروت فكسرهم ، ولحقهم الى يافا ففتحها وأتبعها بصيدا ، ولما شعر الصليبيون بعجزهم عن مقارعة الملك العادل ، أجزلوا له العطاء مالا وهبات ، فهدأت ثورة العادل لثلاث سنوات .

ولكن الصليبيين في وسط بلاد الشام هاجموا حماة ، فخرج اليهم الملك المنصور ، وهزمهم حتى بعرين فحررها منهم ، وتحصن الصليبيون في قلعة الأكراد (الحصن) التي تستمد قوتها من إمارة طرابلس الصليبية .

لقد فشلت كل محاولات الأمراء في إضعاف الملك العادل ، وكان يقهر كل مؤامرة تظهر من أبناء أخيه ، حتى أوصلهم الى اليأس ، فساد السلام فترة ليست طويلة ، ففي عام ٦١٥هـ/١٢١٨م مرض العادل وتوفي على اثر مرضه ، وتجزأت الدولة العادلية بين أولاده دون منافسات أو خصومات بينهم[1] بل سادت البلاد صور من التعاون بين الأخوة ، وخاصة ضد الصليبيين فقد سعى كل أبناء العادل لمساعدة أخيهم الملك العادل ضد الصليبيين الذين حاصروا دمياط في مصر،وهزموا الصليبيين نهائيا من مصر، مما عكس صورة من الفرح طيلة عام ٦١٨/١٢٢١م .

خلافات الاخوة وموقف سلمية من ذلك :

قصد المعظم عيسى حماة لأن الناصر أخاه صاحبها كان قد وعده بأن

---

(١) خطط الشام ـ محمد كرد علي ـ ج ٢ ص ٨١ ، ٨٢ ، ٩٠ .

يؤديه مالا اذا ملكها ، ولم يف بوعده ، ونزل المعظم في بعرين ، ولما تحصنت حماة في وجهه ، اتخذ المعظم سلمية منطلقا له ، مستفيدا من خيراتها ومحاصيلها طيلة أيام حربه مع أخيه ، ولما لم يفد من حصاره شيئا ، ولى على سلمية ممثلا عنه ، وارتحل الى معرة النعمان ، وقد أثار هجوم المعظم على أخيه الناصر ثائرة إخوته الأشرف والكامل،وكتبا الرسائل لأخيهما يستنكران عمله ، وحمل هذه الرسائل ناصح الدين الفارسي الذي وافى المعظم في سلمية ، ونقل اليه ما في الرسائل ، وطلب إخوته بالرحيل ، فامتثل للطلب ، وتسلم سلمية بعده المظفر ، بعد أن وهبها إياه أخوه الناصر ، وهكذا ظهر أبناء الملك العادل بشكل تكتلات الواحدة ضد الأخرى ، ولكن الكامل كان على ما بيده أقوى الإخوة جميعا ، لذلك كانت أطماعه تظهر في حبه لامتلاك الشام،ولكن الإخوة استرضوه واعترفوا بحق دخوله دمشق لمحاربة الفرنجة، مع أنها للملك الأشرف ولكن بعض هذه الشروط قد أخل بها ، فرحل الملك الكامل ونزل مجمع المروج قرب سلمية ، ثم دخلها لتكون مقرا يهاجم منها حماة ، وكبر جمع الكامل بانضمام شيركوه صاحب حمص له،ولم يكن أمام الناصر إلا أن يستسلم لأخيه ، وعصا جنده وأمراؤه ذلك ، ونصبوا عليهم المعز بن الملك الناصر ، ولم يستطع جمع الملك الكامل مهاجمة حماة ، إنما سلخوا سلمية عنها ، وأسندت إدارتها الى شيركوه صاحب حمص عام ٦٢٥هـ/١٢٢١م[١]، منذ ذلك العهد غدت سلمية وتوابعها تابعة لأمير حمص دون حماة ، وقد احتفظ فيها شيركوه ، وعزز مكانته بإقامة التحصينات فيها، فقوى أسوارها ،وحكّم أبراجها ،لتقف في وجه غزو البدو من جهة والاعداء الكامنين في حماة من جهة ثانية ، ودعم هذه التعزيزات بتجديد بناء قلعة شميميس التي كانت ركاما .

تجديد بناء قلعة شميميس[٢] :

تقع قلعة شميميس في الشمال الغربي من مدينة سلمية على بعد حوالي

(١) خطط الشام ــ محمد كرد علي ــ ج٢ ص ٨٤ .

(٢) رحلة اثرية ــ المهندس وصفي زكريا ــ ص ٢٩٠ .

/ ٥ / كم ، وتجثم على قمة جبل مخروطي هو امتداد لجبال العلا ، ويقع شرقي هذا الجبل دير المارجورجيوس (الخضر) حاليا •

بناة القلعة الأول : القلعة في بنائها اليوم لها مظهر العصر الأيوبي ،ولكن بناتها الأول هم أمراء حمص من آل شميسغرام في أواخر العهد الهلنستي وبداية العهد الروماني ، وذلك كما ورد في الحولية التاريخية،ولكن الفرس بقيادة كسرى أبرويز جاؤوا على هذه القلعة هدما وإحراقا ، شأن كل التحصينات التي واجهوها إبان غزوهم لبلاد الشام ، وبقيت ركاما على قمة ذلك الجبل ، حتى سعى شيركوه الأيوبي الى تجديد بنائها مستفيدا من بقايا البناء فيها ، وتشمل هذه البقايا العمرانية :

١ ـ أساس القلعة وقواعد الأبراج المكونة من حجارة ضخمة قوية •
٢ ـ البئر المائي فيها ••
٣ ـ الخندق الكبير المحيط بها •

وقبل أن نأتي على تفصيل هذه القلعة ،لابد أن تتبين أهميتها من حيث الموقع ، والذي جعل الأيوبيين يسعون الى تجديد بنائها •

الواقف على أبراج هذه القلعة يشعر بقيمتها ومكانتها من حيث اطلالاتها على فسحات أربع ولمسافات بعيدة :

١ ـ تطل القلعة على مساحة وأبعاد باتجاه الغرب حتى تصل الى حدود مجرى نهر العاصي ، مما يمكنها من رصد أية حملة عسكرية من هذا الاتجاه•

٢ ـ كما تطل على مساحات واسعة باتجاه الجنوب ، ورغم وجود جبل عين الزرقا إلا أنها تطل من فوق هذا الجبل باتجاه مدينة حمص ولمسافة تقدر بـ / ٣٠ / كم ، والقادم المسافر من حمص الى سلمية اليوم يستطيع أن يرى القلعة وأبراجها أعلى من قمة جبل عين الزرقا ، ومن مسافة بعيدة •

٣ ـ كما تطل القلعة باتجاه شرقي سلمية ، حتى لتظهر سهول قرية برى وما بعدها ولأبعاد تزيد على / ٢٥ /كم •

٤ ـ وتطل القلعة على سهول تتجه الى الشمال الشرقي ، وهي تبدو بارزة حتى قرية صبورة وما بعدها على بعد يصل الى حوالي / ٤٠ / كم •

هذه الإطلالة جعلت القلعة ذات أهمية كبرى في استطلاع أي خطر قادم من أربع جهات ، وقد أكسبها في العهد الروماني اتصالها بتلال الإعلام أهمية كبرى ، مما جعل الرومان يولونها أهمية زائدة ، وأما الأيوبيون ، فقد اهتموا بها لا للاستطلاع فحسب بل للدفاع ، بواسطة الجند الذين يرابطون فيها •

زمن بناء القلعة :

حدد أبو الفداء في تاريخه البدء في بناء القلعة عام ٦٢٦/١٢٢٨م[١]، بينما يذكر محمد كرد علي في خطط الشام بدء البناء في ٦٢٧هـ/١٢٢٩م[٢]، وقد أجمع كلاهما على أن مجدد بناء القلعة هو الملك شيركوه صاحب حمص، وقد تم بناء القلعة على مرحلتين مرحلة العهد الروماني مرحلة العهد الأيوبي•

وقد تم البناء على الشكل التالي :

استفاد الرومان من الغطاء البازلتي فوق الجبل ، فجعلوه قاعدة وأساسا للبناء ، كما استفادوا من الحجارة ، فبنوا الأبراج ، حتى اذا اكتمل البناء ، عمدوا الى حفر البئر في قمة الجبل داخل القلعة ، وهذه البئر عريضة وواسعة في الأسفل حتى يكون دخول الهواء فيها سهلا ، وعندما اكتفت القلعة من الماء بواسطة البئر ، أغلقت فوهة البئر على شكل قبة ، وجعل له فوهة دائرية لإخراج الماء بالملفاف ، ويبلغ عمق البئر أكثر من ١٥٠ م ، وبعد ذلك سعى بناة القلعة الى حفر الخندق حول القلعة بعمق ١٠ ــ ١٥ م بشكل يكون طرفه من جهة القلعة منتصبا عاموديا ، أما الطرف الثاني ، فله حافة الجبل الدائرية ، وكان يرمى بالتراب على سفوح الجبل مما أكسبها نعومة ، يصعب

---

(١) تاريخ أبي الفداء ــ ج٣ ص ١٤٥ •
(٢) خطط الشام ــ محمد كرد علي ــ ج ٢ ص ٩٠ •

على المرء تسلقها ، وللقلعة طريق واحدة من جهة الشـرق ، وتصل الى حافة الجبل ، حيث كان ينتصب جسر متحرك خشبي ، وهذا الجسر يتكون من حافتين خارجية وداخلية ، فالخارجية ثابتة ، والداخلية مزودة بملفاف يرفع الباب الخشبي عند الحصار وينزله في أيام السلم ، وفي الخندق العديد من المغاور التي استعملها القدماء كإسطبلات للخيول ، كل هذه الأبنية هدمها كسرى أبرويز ، وعادت القلعة بعدها شبه ركام بناء على قمة جبل .

المرحلة الثانية : ما بناه الأيوبيون

استفاد الأيوبيون من وجود قواعد للقلعة ، فقد نزحوا الماء من البئر ، وبنوا بالحجارة المتهاوية الأبراج المتداعية على طريقتهم الأيوبية المعروفة في شرقنا العربي ، فاتخذت القلعة الشكل التالي :

شكل القلعة :

تتألف القلعة من قسمين منفصلين بجدار بينهما : القسم الشرقي وفيه البوابة المتحركة والبئر المائية وبئر أخرى للتموين مطلية بالقصرمل ، وفيه بقايا أبراج مراقبة ودفاعية ، ولا يزال منها برج للدفاع عن الباب ، وفي هذا القسم تقوم الأبراج الدفاعية على الحافة الشرقية من الأعلى أما من الاسفل فأقبية ردم بعضها ولا يزال البعض الآخر ظاهرا كمساكن للجند وخدم القلعة وحراسها .

أما القسم الغربي : ففي زاويته الجنوبية الغربية تنتصب بقايا من دار الإمارة ، حيث يظهر من أرضه المنضضة بالحجارة الملونة والجدران والنوافذ التي لم يبق منها إلا بقايا قليلة ، ومن الجهة الغربية والشمالية تقوم أبراج عالية ترتكز الى قواعد وأقبية بنيت على شكل عقود رباعية أو قناطر ، ورغم تداعي أكثر الأبراج بيد الانسان الذي كان يزور هذه القلعة،فيهدم الجدران ليلقي الحجارة في البئر المائية لاستطلاع عمقها ، فقد بلع البئر أكثر حجارة القلعة حتى غدا قعره اليوم مرئيا .

قلعة شميميس - مخطط تقريبي

مصور شكلي واسقاطي لقلعة (شميميس)



منظر عام لقلعة (شميميس)





اهميــة هذه القلعــة في العهــد الايوبــي :

مما تقدم من شرح حول هذه القلعة ، تتبين أهميتها في السيطرة على طرق المواصلات ، بما دفع ملوك الأيوبيــين في حلب وحمــاة وحمص الى التنافس على امتلاكها ، بدلالة أن من يملك قلعة شميميس،يكون بيده مفتاح بادية الشام ، ويربط المواصلات التجارية بيده ، لذلك كان مالكها يلاقــي المتاعب الكبيرة ليحتفظ بها •

متــاعــب اصحــاب قلعــة شميميــس :

عارض المظفر صاحب حماة شيركوه ملك حمص لبنائه قلعة شميميس، وحاول منعه ، ولكنه لاذ بالصمت عندما علم أن بناءها كان بأمر من الملــك الكامل صاحب مصر ، ولقد لاقى المظفر متاعب كبيرة عندما هاجم الفرنجة منطلقين من حصن الأكراد (الحصن) حماة وسارع الملك الناصر صاحب بعرين لنجدة أخيه ، فانسحب الفرنجة هاربين،وهنا ظهرت مطامع الملك المظفر في احتلال بعرين من أخيه ، زاعما أنه يريد أن تكون ثكنة عسكرية في وجه الفرنجة ، وطلب من أخيه أن ينتقل الى حماة ، ولكن الناصر رفض الطلب، فاحتل المظفر بعرين ، وسافر الناصر الى أخيه الكامل في مصر[١] •

عــودة الخلافــات والحــروب في البيــت الايوبــي :

مات الأشرف صاحب دمشق ، وقام مكانه أخوه الصالح اسماعيل ، وذلك عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م ، وقد اســتاء الملك الكامل من اســتلام الملك الصالح اسماعيل دمشق ، فسعى اليه يريد استخلاصه دمشق ، ولمــا كــان ذا قوة كبرى ، فقد تحصن الملك الصــالح اسماعيل داخل أسوار المدينة ، واستنجد بشيركوه في حمص ، فأرسل له قوة محاربة ، ولكن الملك الكامل

---

(١) خطط الشام ــ محمد كرد علي ــ ج ٢ ص ٩٠ ــ ٩٣ •

لاقى هذه القوة في غوطة دمشق وسحقها ، وعاقب الكامل شيركوه ، بأن ماكك المظفر صاحب حماة مدينة سلمية وما حولها ، وهكذا خرجت سلمية من ملكية شيركوه .

وقام المظفر بالاهتمام بسلمية لترفد حماة فأمد لها قناة[1] مائية تسقي بساتين حماة والسهول الشرقية منها ، وانتعشت حماة بمياه سلمية العذبة ، وبعد خمس سنوات توفي الكامل في مصر ، وأعقبت وفاته تمزقا هائلا في ورثته ، فانتهز شيركوه هذه الفوضى ، وهاجم سلمية ، فاستعادها ، وأخذ يطبق على المظفر عقوبات كبيرة تضعف الملك المظفر ومدينة حماة اقتصاديا ، وكان أول عمل قام به ، هو قطع القناة المائية ، وجعل مصبها في نهر العاصي، ثم سعى بعد ذلك الى بناء سد على بحيرة قطينة حابسا في أيام الصيف مياه النهر ، ولذلك توقفت النواعير في حماة وأصاب البساتين الجفاف ، فزوت خضرة الأشجار ، وعانى المظفر صعوبات كثيرة من السكان بسبب الوضع الاقتصادي المتدهور .

وكذلك زادت مطامع الأمراء الحلبيين ، فهجموا على معرة النعمان ، واستخلصوها من الملك المظفر فضمرت سلطة المظفر حتى أنها اقتصرت على حماة وحدها ، وكان عام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م وما بعده عام تفكك وانقسامات في الشام ومصر ، وفي غمرة هذه الأحداث يموت ملوك البيت الأيوبي الكبار ،فقد مات في عام واحد الأشرف صاحب دمشق والكامل صاحب مصر وشيركوه صاحب حمص مما شجع وزاد من تفاقم الخلافات ، وظهرت قوة جديدة على مسرح الأحداث ، كانت هذه الأحداث هي :

المماليك الخوارزمية :

كان الصراع على أشده بين أبناء الأسرة الأيوبية ، عندما أخذ الصليبيون

---

(١) هذه القناة هي جزء من قناة العاشق التي سبق ذكرها حسبما ورد فيما كتبه الاستاذ كامل شحادة عن السيل في مدينة حماة ــ في الحولية التاريخية ــ المجلد السابع ــ الاقنية والسيل في مدينة حماة .

للسكون في أعقاب مهادنة صاحب مصر لهم ، وفي هذا الجو المضطرب على امتداد الدولة الأيوبية ، ظهرت الخوارزمية ، تنشر الرعب في بلاد الشام ، تقتل الناس وتبث الخوف في النفوس ، وتهدم القرى والمدن التي تجتاحها فما هي الخوارزمية :

الخوارزمية واصولهم :

هم في الأصل عسكر جلال الدين منكبرتي أحد ملوك أواسط آسيا استولى على ايران والعراق وأذربيجان ، واتخذ من تبريز مركزا له ثم استخدمهم الملك الصالح أيوب عندما مات ملكهم في حوالي ٦٣٤هـ/١٢٣٦م[1]، ولما مات الصالح أيوب ، انضموا الى الروم ، وخضعوا لأمرائهم الناصرين الملك كيقباذ ، ولكنهم انسلخوا عن الخدمة في الدولة البيزنطية ، عندما مات كيقباذ وخلفه ابنه كيخسرو الذي عاداهم ، وقتل بعضهم ، فخرجوا يعيثون في الأرض فسادا وخرابا ، حتى استمالهم الملك نجم الدين أيوب لتحقيق بعض مصالحه في الصراع الأيوبي الداخلي ، ولما ترك نجم الدين أيوب المناطق الشرقية من بلاد الشام ، ظهرت أخطار الخوارزمية في البلاد الشامية ، إذ وصلوا حلب في ٦٣٨هـ/١٢٤٠م ، ونازلهم تورنشاه بن صلاح الدين ،فانهزم العسكر الحلبي ،وغنم الخوارزميون غنائم عديدة ، وخربوا العديد من القرى حول حلب ، ومنها منبج ، ثم عادوا الى حران ، وبعدها قصدوا الجبول واعزاز ، وحاصروا سرمين ، وجاؤوا معرة النعمان ونازلهم ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص ومعه عساكر الصالح اسماعيل صاحب دمشق ، وانهزم الخوارزميون ولاحقتهم القوة الأيوبية المهاجمة من شيزر، ثم من حماة ، وذهبوا الى سلمية فخربوا جزءا من سورها ونهبوها،ويمحوا شطر أسرية والرصافة قاصدين الرقة ، وطاردتهم جموع البدو بين سلمية

---

(١) خطط الشام ـ محمد كرد علي ـ ج٢ ص ٩٥ ـ وابو الفداء ج ٣ ، ص ٨٦ .

والرصافة ، فخاف الخوارزميون من وقوعهم بين قوتين : البدو والحلبيين، فتخلوا عن الغنائم،وأطلقوا سراح الأسرى،وعلى ضفاف نهر الفرات لحقهم الحلبيون ، فأوقعوا بهم هزيمة نكراء اتجهوا بعدها الى حران ثم الى الرها .

ولما تخاصم الملك الصالح أيوب وعمه الملك الصالح اسماعيل . استنجد الصالح أيوب بالخوارزمية الذين وافوه عند غزة ، وحاربوا معه في الروج وأطراف دمشق ، مما اضطر الملك الصالح اسماعيل أن يدافع عن دمشق بالاستنجاد بالفرنجة ، وفي المعركة انهزم الملك الصالح ومعه الفرنجة ، ولاحقه المصريون والخوارزمية ، وحاصروا دمشق ، وتم لهم فتحها،ولكنهم لم يستفيدوا منهذا الفتح فنقموا على الملكالصالح أيوب، وعادوا المصريين ، ثم حاصروا دمشق ، وأعلنوا أنهم مع الملك الصالح اسماعيل المهزوم وابراهيم بن شيركوه ، ولكن الملك ابراهيم خرج من المعركة خاسرا ، فاستفاد من هذه الفرصة الملك المنصور صاحب حماة ، باحتلاله سلمية ، وهكذا خرجت سلمية للمرة الثانية من ملك حمص الى ملك حماة، وفي عام ٦٤٤هـ/١٢٤٦م سار صاحب حلب وعسكره والمنصور من حماة لنجدة الصالح أيوب المحاصر في دمشق من الخوارزمية ، فانهزم الخوارزميون شرقا حتى انضموا الى جموع التتار ، أما قلعة شميميس فقد تسلمها الملك الصالح أيوب من الأشرف صاحب حماه ، مما أساء الى الحلبيين ، فسير ملكهم الناصر حملة بقيادة شمس الدين لولو الأرمني ، حاصرت الأشرف في حمص ، فسلمهم قلعة شميميس ، وصعب ذلك على الملك الصالح أيوب ، وكان في مصر ، فسار الى دمشق ، وتابع سيره الى حمص ، ولكنه تراجع الى مصر بسبب مهاجمة الصليبيين لمدينة دمياط .

ابتداء دولة المماليك :

توفي الملك الصالح أيوب في مصر عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩م ، وكان قد رتب جيشه من جماعة من الترك ، اتخذوا ثكناتهم فيجزيرة الروضة على

البحر ، لذلك سموا بالمماليك البحرية ، ولدى وفاة الملك الصالح استدعت زوجته شجرة الدر أشهر قواده من المماليك البحرية ، وأعلمته بموت الملك الصالح ، وأوعزت اليه أن يعلن مع جماعته الولاء لولده المعظم تورنشاه • الذي جاء فعلا من حصن كيفا ، ولم يطل به الأمر إذ قتله المماليك بعد شهرين[1] ، وكان قاتله ركن الدين بيبرس ، والذي أعلن نفسه ملكا باسم الملك الظاهر ، وكان قد دعا للكية شجرة الدر ، وأقيمت لها الخطبة على المنابر ، وضربت السكة باسمها ، وانتهز صاحب حلب الناصر يوسف الفرصة ، فسار الى دمشق وملكها ، بينما استعصت عليه بعلبك وعجلون وسلمية وقلعة شميميس ، ولكن هذه المواقع سقطت بيده بعد ذلك تباعا ، وكان لمقتل تورنشاه بيد المماليك هزة عنيفة ألمت بالبيت الأيوبي ، فارتفعت المناداة لاستخلاص مصر من يد المماليك ، واستعادتها الى الأسرة الأيوبية، فتشكل تحالف قوامه صلاح الدين يوسف بن العزيز والصالح اسماعيل والأشرف موسى بن تورنشاه وأخوه نصرة الدين الأمجد حسن والظاهر الشاذي أبناء الناصر بن المعظم وتقي الدين عباس بن العادل، وساروا جميعا على رأس قواتهم الى مصر ، وخرج المصريون لملاقاتهم ، ووقعت معركة عظيمة بين الطرفين ، أسفرت عن هزيمة العسكر المصري ، إلا أن الجناح الأيمن من القوات المصرية ثبت بقيادة المعز التركماني الذي حمل بمن معه على الملك الناصر حيث ولى منهزما الى دمشق ، وسعى الفريقان الى الصلح على أن يتولى عرش مصر مرشح من بيت أيوب ، فلم يتقدم أحد على ذلك خوفا من تحكم المماليك بأسيادهم ، ومن هنا أخذت سطوة المماليك تشتد وتقوى في مصر •

هولاكو التتري :

كان ملوك بني أيوب يتخاصمون في الشام ، وقد انسلخت مصر عن

---

(1) ابو الفداء ــ اسماعيل ابو الفداء ــ ج ٣ ص ٤٨ ، وخطط الشام محمد كرد علي ــ ج ٢ ص ١١ •

أسرتهم ، عندما لاح في الأفق شبح هولاكــو التتري ، وهو يدمر بغداد عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ، ويقضي على الخليفة العباسي المستعصم بالله ، وتابع التتار مسيرتهم الى الجزيرة الشامية ، فسارع الملك الناصر يوسف صاحب دمشق يتقرب من هولاكو بإرسال ولده العزيز محمد مع وفد كبير محملا بالهدايا النفيسة والتحف الثمينة لاسترضائه وتحاشي أخطار تدميره ،وكان مسعى الناصر دليل ضعفه ، وبالأخص أنه أوقع نفسه بين نارين ، نار التتار من الشرق ، ونار المماليك من حوله الذين حاولوا بدورهم قتله خارجين عن طاعته ، مما اضطره الى الهرب الى دمشق يحتمي خلف أسوارها .

لكن هولاكو ، مكث أمام حران ، وأرسل ابنه سموط الى دمشق مارا بحلب ، وخــرج الحلبيــون وعلى رأســهم الملك المعظم توران شاه لاستقبالهم في معركة غير متكافئة ، انهزم فيها الجند الحلبــي ، وتحصنوا خلف أسوار حلب، فسار جند التتار الى اعزاز فتسلموها بالامان، وعندئذ استنفر الملوك الايوبيون ، عندما علموا بخطر التتار على حلب وبلاد الشام بعدها ، فتجمعوا في برزة في ضواحي دمشق بقوات يقودها الناصر يوسف ملك دمشق والمنصور ملك حماة ، وكان مع الناصــر وبين قواده المملوك بيبرس البندقداري ، ولكن هذا الجمع انفض بسبب خلاف بــين المماليك وملك دمشق ، وفي الوقت نفسه سقطت حلب بيد التتار بعد مذبحةرهيبة، وتبعت المدينة سقوط قلعتها بتاريخ ٦٥٧هـ [1] ، بعد أن امتلأت أزقتهــا بالضحايا من الحلبيين بأعداد لا تحصى من البشر ، وسار الملك الاشــرف صاحب حمص الى هولاكو وهو في حلب للتقرب منه ، ولكن هولاكو عن قصد عامل سكان حارم بقسوة قتلا وسبيا ، وكــان اللقــاء بين الاشرف وهولاكو في حارم على مرأى من الفواجع التي وقعت في المدينة ، وكــان شرط الأمان للملك الأشرف هو تخريب قلعة حمص وأسوارها وقلعة حماة

---

(١) ابو الفداء ــ اسماعيل ابو الفداء ــ ج ٣ ص ٥٦ ، وخطط الشــام محمد كرد علي ــ ج ٢ ص ١٠٥ .

دون أسوارها خوفا من الفرنجة ، فنفذ الأشرف هذه الشروط،كما عوملت سلمية نفس معاملة حمص بتخريب السورين سور المدينة وسور القلعة[1] ، وسار هولاكو الى دمشق ، فسلمت المدينة ثم تبعتها القلعة ، وتابع التتار سيرهم نحو الارض المحتلة من الصليبيين ، فاحتلوا صيدا وبيت جبريل وحوران والخليل حتى وصلوا الى غزة ، والتي سلمت لهم كآخر حلقة في فتحهم وامتدادهم غربا .

عندها بدأت الحشود في مصر ، فقد تجمع في مصر الملك الناصر صاحب دمشق والمنصور صاحب حماه اللذان أصبحا دخيلين في مصر عند السلطان المظفر قطز ، وأزمع الجمع على الخروج الى الشام لمواجهة التتار بعيدا عن أرض مصر ، وكان لقاء القوات المتحاربة قرب عين جالوت .

كانت معركة عين جالوت قاسية على المسلمين في بدئها ، ولكنهم تجلدوا واستبسلوا، بعد أن أزالوا من صفوفهم الفرقة والانقسام، وارتفعت بين صفوف المسلمين صيحات الحماس عندما بدأت جموع التتار بالتراجع، ثم بالهزيمة المروعة ، بعد أن قتل أحد قادتهم ، وأسر ابنه ، وأرسل السلطان قطز في أثرهم ركن الدين بيبرس ، فشتتهم في البلاد ، وقتل منهم أعدادا كبيرة ، عندئذ أعلن الملك الاشرف ميله الى جانب المسلمين ، بعد ممالأته للتتار ، وقدم للسلطان قطز طلبا يطلب فيه السماح له عن موقفه السابق ، فأقره على حمص ، كما أعيد الملك المنصور الى حماة ، وضمت اليه بارين ومعرة النعمان ، بينما سحبت منه سلمية التي وضعت كإمارة مستقلة لأمير العرب (البدو) مهنا، وهكذا تم إجلاء التتار عن سائر بلاد الشام، وأعيدت الإمارات الشامية لأصحابها من ملوك بني أيوب ، كما عين شمس الدين أقوش البرلي أميرا على سواحل الشام حتى غزة،وعين في دمشق علم الدين

---

(1) ابو الفداء ـ اسماعيل ابو الفداء ـ ج ٣ ص ٢٠٣ و خطط الشام محمد كرد علي ـ ج ٢ ص ١٠٩ .

سنجر الحلبي ، ومنحت حلب الى الملك السعيد بن بدر الدين لولو الذي أساء التصرف مع الحلبيين[1] .

وهكذا ولأول مرة تقوم في سلمية إمارة مستقلة طيلة العهد الاسلامي، بانسلاخها عن حمص وحماة،وغدت مطمع أمراء العرب (البدو) يتنافسون على حكمها ، ويقتتلون من أجلها ، مما خلق فيها جوا من عدم الإستقرار والأمن ، لذلك هجرها أكثر سكانها خوفا على أنفسهم ومالهم ، والتي غالبا ما كان أمير العرب يسعى لوضع الأتاوات ، فإذا امتنع الانسان عن الدفع كانت حياته هي الثمن ، كل هذه الأحوال جعلت أرضها الزراعية تستحيل الى مراعي لعدم وجود من يزرعها ..

مقتل السلطان قطز وظهور بيبرس :

عندما انتهى السلطان قطز من طرد التتار عبر بلاد الشام ، قفل راجعا الى مصر ، وكان بيبرس البندقداري قد اتفق مع جماعته على التخلص من سلطانهم، وخلال العودة هجم بيبرس وجماعته وقتلوا السلطان المظفر قطز، وأعلنت ملكية بيبرس باسم الملك الظاهر بيبرس ، ولما علم علم الدين سنجر بمقتل المظفر قطز ، اعتبرها فرصة سانحة له فأعلن سلطنته في دمشق ،ولقب نفسه الملك المجاهد ، بينما رفض ملكا حمص وحماة الوقوف ضد بيبرس، بل أعلنا أنهما مع من يملك مصر .

عودة التتار الى الشام :

استغل التتار مقتل قطز ، فعبروا الفرات غربا، وهاجموا حلب فملكوها، وقتلوا العديد من سكانها ، وخرجوا الى اعزاز ، واستولوا على حارم ، وأشرفوا على حماة ، فتحصن صاحبها في حمص ، ودارت المعركة شمالي حمص قرب (الرستن) ، فانهزم التتار وتشتت شملهم ، وسار بعضهم الى

---

(١) خطط الشام ـ محمد كرد علي ـ ج ٢ ص ١٠٨ ـ ١٠٩ .

أفامية ، وبعضهم الآخر الى الشرق مارا بسلمية الى أسرية فالرقة ، وهكذا فشل التتار للمرة الثانية في السيطرة على بلاد الشام[1] ، وفي عام ٦٥٩ هـ/١٢٦٠ م جهز الملك الظاهر حملة لقتال علم الدين سنجر سلطان دمشق، ولما تلاقى الجيشان انهزم سنجر ، ثم تم أسره فسيق الى مصر ، وهكـذا استقرت دمشق أخيرا للظـاهر بيبرس ، كما أعلنت كل من حمص وحماة وحلب الولاء له •

كان هولاكو في بلاد العجم عندما وافته أنباء الهزائم الأخيرة التي مني جيشه بها في بلاد الشام ، فعمد الى الأسرى ، فقتلهم ومنهم الناصر بن أيوب صاحب حلب وأخوه الظاهر وابنه الصالح، ولم يسلم من هذه المجزرة سوى العزيز بن الناصر لأنه كان صغيرا ، وهكذا لاحت شمس الأيوبيين باهتة ناحلة ترنح نحو المغيب، وهي توحي بزوال سلطانهم على يد مماليكهم البحرية من جهة والتتار من جهة أخرى •

ولم يتوان التتار عن غاراتهم على أطراف بلاد الشام كلما سنحت لهم الفرص ، ولم يشبع لهم نهم ، فغـزوا في ٦٥٩هـ/١٢٦٠م حلـب وهرب سكانها من السيف المسلط دونما رحمة وشفقة ، ولكن هجمتهم هذه المرة لم تكن في القوة من شيء ، لذلك كان سهلا ردها ، فارتدوا الى ما وراء نهر الفرات دونما مكاسب[2] ، وهكذا عجز التتار للمرة الثالثة من فرض سلطانهم على الشام لذلك حولوا حب الاستئثار بالشام الى نوع من غـزو المكاسب فقط بشكل متتالي •

الملك الظاهر بيبرس بين التتار والصليبيين :

اعتلى الملك الظاهر بيبرس سلطنة مصر والشام في ظروف غـاية في

---

(١) ابو الفداء ــ اسماعيل ابو الفداء ــ ج ٣ ص ٢٠٩ ــ ١١٠ •

(٢) خطط الشام ــ محمد كرد علي ــ ج٢ ص ١١١ •

الصعوبة ، وترتبت عليه من خلال ذلك مهام جسام ، فعليه أن يقف في وجه التتار الزاحفين باستمرار من الشرق ، وأن يجابه الصليبيين المحتلين لأجزاء من سواحل الشام ، لذا بدأ الظاهر بيبرس بين نارين وعليه أن يختار بمن سيبدأ ، وآثر الابتداء بالصليبيين لعدة أسباب •

أولها : إن الصليبيين مفككوا القوى ، وبإمكانه مقارعتهم منفردين بعيدين عن التعاون فيما بينهم •

ثانيها : قرب مواقع الصليبيين منه، وبعد امدادهم سواء كان بالرجال أن التموين من أي جزء من بلادهم أوروبا •

وفعلا بدأ بهم ، بإقامة اتحاد عسكري بقيادته ، قوامه ملوك كل من حماة وحمص وسنقر الرومي وسار الجمع الى انطاكية أقوى الإمارات الصليبية ، ورغم أنه لم يتيسر لهم فتحها ، لكنهم أوقعوا فيها الأذى الكبير، وكان عام ٦٦٠هـ/١٢٦١م عام الحرب مع الفرنجة ، وبعده بعام ، خرج بيبرس الى الصليبيين ثانية فحاصر الناصرة ، وأغار على عكا ، وهدم برجها ثم أكمل عمله بعقده اتفاقا مع الاسماعيليين في الجبال ، فشاركوه في حملاته يرفد من المقاتلين الأشداء ، فقصدوا قلعة المرقب ، وقتلوا أميرها بسكين فدائي ، كما قتلوا أدوار أحد أمراء الانكليز(١) •

وفي عام ٦٦٣هـ/١٢٦٤م هجم بيبرس على قيسارية وفتحها،ثم عمد الى أرسوف وحلبا وعرفه وصفد وملكها كلها من الفرنجة •

كما أنه قلد ملك حماة أمرة جيش وجهه الى قتال الأرمن ، فحقق هذا الجيش نصرا كبيرا ، وأدب بعدها أهل مدينة قارا (بين دمشق وحمص) لميلهم الى الفرنجة ومساعدتهم اياهم ضد المسلمين، وسار بعدها الى انطاكية، فتم له فتحها وانهزم أميرها ليموند الى طرابلس الشام •

---

(١) خطط الشام ـ محمد كرد علي ـ ج ٢ ص ١١٢ •

وخلال سنة ٦٦٩ ــ ٦٧٣ هـ / ١٢٧٠ ــ ١٢٧٤ م قام بيبرس بحرب طاحنة ضد الفرنجة ، واستخلص منهم مدن جبلة واللاذقية وعرقة والقليعات وحلبا وصافيتا والمجدل وانطرطوس ، وهكذا غدا الوجود الصليبي في بلاد الشام ضامرا هزيلا ، يسير الى نهايتهم ، لذلك اتجه الى التتار الزاحفين غربي الفرات عام ٦٧٥ هـ ، فكسرهم وطاردهم نحو مدينة الأبلستين في أطراف الأناضول ، حيث نازلهم في معركة فاصلة ، قضت على ظهور التتار غربي الفرات .

وفاة الملك الظاهر بيبرس ومشكلة خلفه :

توفي بيبرس عام ٦٧٦هـ/١٢٧٧م بعد جهاد كبير ضد القوتين التتار والصليبيين،عدا عن تحليه بالصفات الفاضلة ما جعل الناس يحبونه ويأسفون لفقده ، وكان قد عين خلفا له ابنه بركه الذي لقب بالملك السعيد ، ولكن بعض قواد الجند لم يكونوا راضين عن هذا التعيين ، واستغل هؤلاء القواد انشغال الملك السعيد بحربه في سيس شمال بلاد الشام عام ٦٧٧هـ/١٢٧٨م، وبعده عن القاهرة ، فخلعوه وعينوا مكانه أخاه بدر الدين سلامش[١] ، ولقب بالملك العادل ، وله من العمر سبع سنوات فقط ، مما يدل على أن يدا خفية كانت تكمن وراء هذه الأحداث ، وقد عرف فيما بعد بأنه الأمير قلاوون الذي سمى نفسه سلطانا ، ولكن منافسه الأمير سنقر الأشقر أعلن وقوفه بجانب بركه الملك السعيد ، وسمى نفسه الملك الكامل شمس الدين سنقر ، وهكذا انقسمت دولة بيبرس الى قسمين متحاربين في الشام ومصر ، إذ سار السلطان قلاوون الى الشام بجيش كبير ، ولاقاه خارج دمشق سنقر الأشقر ، ولكن عسكر الشام تخلى ن سنقر ، فولى هاربا مع بعض من جماعته الى الرحبه ، وكان يرافقه أمير العرب (البدو) وأمير سلمية آنذاك عيسى بن مهنا ، فحماه طيلة مسيره حتى سلمية ، ولما علم أن قلاوون في إثره،

---

(١) ابو الفداء ــ اسماعيل ابو الفداء ــ ج ٢ ص ٢ .

يمم سنقر ومن معه الى الجبـال ، فاحتمى في قلعـة صهيون ، حيث تدخل مقدمو القلاع في مصياف والعليقة والكهف للتوسط بين الأميرين ، وأحلوا الصلح باعتراف سنقر بسـلطنة قلاوون ، ويكـون سنقر نائبه في الشام ، والذي عجل في وقوع هذا الصلح ، هو ظهور التتار فجأة قرب الرقة بعد أن عبروا نهر الفرات[1] على حين غرة فاغتنم التتار فرصة الفوضى بين القوات المتصارعة في مصر والشام ، فعبروا نهر الفرات ، وهاجموا الرقـة ووصلوا الى حلب ، حيث نالها من إيذائهم الشيء الكثير ، ولما سمعوا بمقدم السلطان قلاوون اليهم ، تسللوا هاربين الى الأناضول ، ولما عاد السلطان قلاوون الى مصر ، أعادوا هجومهم على الرصافة ، ووصلوا أسريه ودخلوا سلمية فعاثوا فيها فسادا ، ثم وصلوا الى الرحبه وضواحي دمشق،وكان ذلك عام الويلات عام ٦٨٣هـ/١٢٨٤م ، ولما لم يستطيعوا فتح دمشق اتجهوا الى وادي التيم فملكوه ٠

وبعد عام سار السـلطان قلاوون الى الشـام ، وهاجم قلعـة المرقب واستخلصها من الصليبيين الاسبارتيين ، ثم توجه بعدها الى طرابلس الشام، فتم له فتحها بعد حصار طويل ، وأعقب هذا الفتح مرض السلطان قلاوون بالحمى التي أتت عليه فتوفي ، واعتلى السلطنة بعده ابنه الأشرف صـلاح الدين خليل ، فتابع خطة والده في مقارعة الفرنجة ، ففتح عكا عنوة ، وأوقع الرعب في قلوب الفرنجة ففتحوا له أبواب صيدا وصور وبيروت ، وسلمت له أنطرطوس بالأمان ، ولم يبق للصليبيين في الشرق أية ركيزة سوى إمارة سيس الأرمنية ، وهكذا لوحت في عام ٦٩٠هـ/١٢٩١م أعلام النصر علـى الصليبيين الذين لم يبق لهم أي شأوة في بلاد الشام ، بينما ساد الاغتيال بين أعضاء أسرة القلاوونيين ، فقتل في عام واحد سـتة أمـراء وملوك ، وكان أحدهم الملك الأشرف ، ووصل الى الحكم الملك الناصر ٠

---

(١) خطط الشام ــ محمد كرد علي ــ ج ٢ ص ١١٩ ٠

التتـار يهـدون الشـام :

كانت جموع الصليبيين تغادر بلاد الشام حين تبدى في الأفق الشرقي شبح التتار المريع ، فقد سار غازان بن أرغون خان بن هولاكو حفيد جنكيز خان سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م ، واتجه التتار بجموعهم الحاشدة نحو بلاد الشام، فعبروا نهر الفرات ، ووصلوا حلب ، فاستلموها فاتحـين ، ثم توجهوا الى حماة بأقرب طريق مارين بسلمية ، فنزلوا في مجمع المـروج ، فهرب أهـل سلمية عن آخرهم متجهين الى حماة وحمص للاحتماء بالأسوار العاليـة ، ووقف الملك الناصر قلاوون ، يعمل جاهدا لصدهم ومعه سلاو والجاشنكير، وقد داخلهما الطمع في الحكم ، وخلال المعركة انفض عسكرهما ، مما سبب هزيمة المسلمين أمام التتار ، فتحصن السلطان الناصر في حمص ، بعـد أن تخلى عن حماة ، ولكن أكثر عسكره هرب الى دمشق ومصر ، فاضطر أن يتحصن في بعلبك ، ولكن التتـار سـاروا الى دمشق ، ودخلوها ولاحقوا المنهزمين الى غزة والقدس والكرك ، ولما كانت قلعة دمشق محصنة ، فقـد استعصت على التتار ، فنال دمشق من غضبهم حرقا وتهديما وسلبا وسبيا ، ولاحت لغازان مخاوف على الحكم في تبريز ، فعاد اليها بعد أن وافته أنباء تمرد ضده ، واغتنم الأرمن فرصة الفوضى والضعف في البلاد العـربيـة ، فهاجموا الشام ، ولكنهم توقفوا عند نهر جيحان ، ولكن التتار عادوا ثانية الى غزوهم بلاد الشام ، فوصلوا حلب وحمـاه وجبـال أنطاكيـة وقلاع الاسماعيلية ، وتداعى أمراء الشام ومصر ، فتجمع جيش بقيادة اسـتدمر الكرجي نائب السلطان ، وواقع التتار في معركة شرقي حمص ، فانهزم التتار شر هزيمة ، وتشتتوا في بادية الشام بين تدمر والرصافة وسلمية ، ولكنهم تجمعوا ثانية بقيادة قطلوشاه نائب غـازان[1] ، وعـاد الى حماة ، فاحتلها

---

(١) خطط الشام ـ محمد كرد علي ـ ج ٢ ، ورحلة أثرية ـ وصفي زكريا ـ ص ٢٦٧ وما بعد .

والمصري مع التتار في سهل الصفئار ، وكانت المعركـة رهيبـة ، انهزم فيها واتجه الى دمشق بعد أن فتحت حمص أبوابها ليلا ، وتلاقى الجند الشامي التتار وطاردتهم القوات العربيـة حتى القريتـين ، فاتجهوا باتجاه تدمر ، ووصلوا الى الفرات ، وكان فائضا بالماء ، ولما حاولوا عبوره غرق أكثرهـم فيه ، وتابع بعضهم السير على شاطئه فدخلوا أرض العراق .

وبغياب التتار عن الساحة تشجيع للسلطان الناصر على مهاجمة الأرمن فأوقع فيهم هزيمة منكرة واستعاد كل الأجزاء التي احتلوها بعد أن طردهم خارج البلاد الشامية ، وحتى لا يعودوا ثانية ، شكل السلطان الناصر جيشا في الشام ، وعين على قيادته اسماعيل بن علي الملقب بأبي الفداء أمـير حماة عام ٧١٠هـ/٢٣١٠م وهو المعروف بالكاتب المؤرخ أبي الفداء .

سلمية في عهد إمارة العرب.(البدو) :

الأمير مهنا بن عيسى :

منذ أن منح السلطان المظفر قطز سلمية أمير العرب مهنا بن عيسـى ، غدت ضامرة ولاسيما بعد أن غدت أكثر من مرة مسرحا لحروب وغزوات ، بدا من خلالها بروز أمير العرب كسلطة كبرى بين القبائل البدوية ، ولكـن السلطة اتجهت بعد عام ٧١١هـ/١٣١١م الى أن تكون خطرا علـى المـدن الحواضر كحماة وحمص ومعرة النعمان ، ثم امتد الخطر على جميع المـدن الواقعة بين دمشق وحلب ، مما شجع أمير العرب ، أن يهاجم حلب بقـوات بلغ تعدادها أكثر من عشرين ألف مقاتل ، واستطاعوا دخول مدينة حلب ، وحاصروا قلعتها ، ولم يتراجعوا الا بعد أن دفعت لهم أموال طائلة من قرا سنقر ، ولما حاول أمراء المدن التعاون ، سعى سليمان بن مهنا بن عيسى الى التتار يتعاون معهم ، وفي عـام ٧٢٠هـ اتجهت القوات صـوب مصدر قوة البدو في إمـارة آل عيسـى ، فانهزمت جموع البدو الى سلمية ، فلاحقهم السلطان الناصر بقواتـه ، ولما لم تكن سلمية قادرة على حمايتهم ، خرجوا

منها ، وانهزموا باتجاه الكبيسات ، فعين السلطان الناصر مكان آل مهنا محمد ابن أبي بكر ، وهكذا عاد آل عيسى الى مراكزهم في مدينة سلمية •

وفي عام ٧٤٨ هـ ، قامت فتنة بين العرب من آل عيسى وأعدائهم ، إذ قام سيف الدين بن الفضل أمير العرب ، بغزو أحمد الفياض من أمراء العرب الشماليين (شرقي حلب) ، ولكن الغزو كان فاشلا ، فلاحق أحمد الفياض قوات آل عيسى ، ودارت بين القوتين معركة حامية الوطيس قرب سلمية، دارت خلالها الدوائر على سيف الدين بن الفضل ، فتشتت قواته ، ونهبت أمواله ، ووصل النهب الى سلمية بأكملها ، وتابعت قوات أحمد الفياض غزوها الى المعرة وحماة وتوابعهما ،مما جعل الأمن غير مستتب ، والطرق غير آمنة ، فهرب الفلاحون من الريف ، ودرست العديد من القرى ، وأقفرت الحقول ، وزالت معالم الزراعة لانتشار البدو الغزاة ينهبون ويسلبون كل ما تلاقيه أيديهم وحيث امتدت سلطتهم •

وحين تولى السلطان صلاح الدين صالح ، وهو العشرون من ملوك الترك وثامن أولاد محمد بن قلاوون ، عصا عليه بيدمر الخوارزمي في حلب، وتشجع ليهاجم دمشق ، فجاءه السلطان صلاح الدين بقوات هزمه شر هزيمة ، وعين بديلا عنه طشقمر المنصوري ، وكان هذا على خصومة مع الأمير جبار بن آل الفضل ، فسعى طشقمر لقتال جبار ، ولكن جبارا أوقع الهزيمة بطشقمر ثم قتله ، وهكذا قويت شكيمة البدو ، حتى أن ولاة الشام ، أخذوا يسعون اليهم يسترضونهم ، كما سعى آقبغا الى نعير أمير العرب من آل الفضل في ٧٨١هـ/١٣٧٩م ، ولم تضعف قوة البدو إلا بظهور مناوئين فيما بينهم ، كما وقع بين نعير بن مهنا أمير العرب وابن عمه عثمان بن قارا في سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م ، وساعد نائب السلطان عثمان ، فانكسر نعير ،

ونهبت أمواله التي اختزنها في سلمية ، ونهبت معها سلمية نفسها ، فأقفرت حتى من البدو والحضر معا[1] •

المماليك الشراكسة :

اعترى الهرم جسم الدولة المملوكية التركية في مصر ، حتى أن نواب السلطنة في الشام ، لم ينفكوا عن التمرد ضد سلاطين مصر ، وزاد الفساد فسادا مطامع البدو في المدن الشامية ، فلم ينقطعوا عن الغزو مدينة إثر مدينة ، حتى غدت بلاد الشام غير آمنة ، وهكذا خرجت البلاد من سلطة حكامها ، فكيف بسلطة مصر عليها ، وسبب ذلك هو ضعف الملك الصالح في إدارة سدة الحكم لسببين هامين : ١ ـ صغر سنه ، ٢ ـ تحكم المماليك في أمره ، وكان الأتابك برقوق قد جعل الأمر بيده ، فأراد أن يضع حدا لمهزلة الحكم ، بأن يتخذ شرعية لنفسه ، فدعا القضاة في مصر والخليفة العباسي[2] فيها ، ونقل إليهم رغبته ووجهة نظره ، فكان حكمهم خلع الملك الصالح وإعلان سلطنة الأتابكي برقوق عام ٧٨٤هـ/١٣٨٢ م ، وهكذا تهاوى نجم دولة المماليك البحرية ليشرق من جديد نجم المماليك الشراكسة •

نتيجة لهذا التغيير ، أصبحت الدولة خليطا ومزيجا من شراكسة وأتراك وعرب ، وهذا أبعث على خلق التناقضات باعتبار أن كل متنفذ له جماعته الذين يأتمرون بأمره ، فأصبحت الدولة دولا وإمارات ، وإقطاعات داخل اقطاعات اقتصادية متصارعة حينا متحدة ضد بعضها أحيانا ، فما تنفك عن الخصومات تمتد من منطقة الى أخرى ، الأمر الذي أوقع مصر والشام في فوضى لا نهاية لها ، حتى لم يعد الانسان يأمن على نفسه ، فكيف على ماله وأملاكه ، هذه الحالة مهدت لنجاح التتار المغول نجاحا لا مثيل له عندما

---

(١) خطط الشام ـ محمد كرد علي ـ ج ٢ ص ١٥٢ .

(٢) لقد عمل الملك الظاهر بيبرس الى نقل الخلافة العباسية الى القاهرة بعد أن تهاوى كيانها على يد هولاكو في بغداد .

سفي تيمورلنك يجتاح البلاد طولا وعرضا ، ينشر الرعب والهلع والمآسي على امتداد مسيرته مع جنده •

تيمورلنك :

الأمور في بلاد الشام ومصر لا تستقر على حال من الفوضى الضاربة أطنابها في كل صقع من أصقاعها ، بين صاعد للحكم وآخر متهاو عنه ،وثالث بعد الدسائس،ويبيت الأمور لصالحه ، في مثل هذه الأحوال ظهر تيمورلنك يقود الجيوش الجرارة ، ويجتاح الأرض ، وقد أحالها الى خرب بعد ازدهار ودمار بعد حضارة فمن هو تيمورلنك ؟ هو من أسرة عريقة ذات أصل ، فهو ابن ترغاي بن أبقاي مؤسس مملكة المغول الثانية ، ولاسمه معنى فكلمة (تيمور) تعني الحديد ، وكلمة (لنك) تعني الأعرج ، فقد أصيب وهو حدث بسهم أحد الرماة ، وترك فيه عرجا أبديا ، ويمت بالصلة لبيت ملوك التتار آل جنكيز خان من جهة أمه •

استطاع تيمورلنك بحكمته تارة وبقوته وبطشه ودسائسه تارة أخرى أن يكون حاكما لبلاد كشغر واستولى بعدها على بلخ فأصبح ملكا على بلاد الجقتاي[1]، ولما تزوج من بنات الملوك زاد شأنه عند شعبه، ولكن الذي غلب عليه صفاته التي اشتهر بها ، وهي حبه لسفك الدماء بلا مبرر ، فهو يقرب العلماء والسمار والشجعان طالما أذعنوا له وانصاعوا لأمرته ، فإذا خالفوه استباح دماءهم • وقد بدأ في اجتياحه من خراسان فهرات وطوريس وقارص وتفليس وشيراز وأصفهان وكشغر ومازندان ، حتى وصل الى العراق فاحتله بأكمله ، ودخل بعدها أرض الهند ، فتهاوت دولة المسلمين فيها ، وفتح بلاد أفغانستان ، وحارب السلطان العثماني بايزيد سنة٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م ، وأدى امبراطور القسطنطينية له الجزية ، ولم يأت الى بلاد الشام

---

(١) البداية والنهاية ــ لابن كثير ــ ج ١٠ ص ١٥٢ ، وخطط الشام ـ محمد كرد علي ــ ج ٢ ص ١٥٥ .

إلا لأسباب أوردها محمد كرد علي في كتابه خطط الشام عن لسان ابن حجر في حوادث ٧٩٨هـ/١٣٩٥م[1] قوله :« ٠٠ كان أطلمش قريبا من تيمورلنك،قبض عليه قرا يوسف التركماني صاحب تبريز وأرسله الى الظاهر فاعتقله ، فكانت هذه الحادثة سببا لسعي تيمورلنك لإبقاء قريبه ، فقدم الى الشام ، ولم تجد كتب أطلمش وتودده ، وتحسين معاملته لأهل مصر ، بينما كاتب السلطان في مصر تيمورلنك يعرض عليه إخلاء الأسرى مقابل إخلائه المعتقلين عنده ، وتوجه تيمورلنك غربا ، ليواجه المسلمين في معركة سيواس ، حيث انكسر تيمور ، ولكنه استفاد من الخصومات داخل العسكر الاسلامي ، وبخاصة أمراء الشام الذين تفشت فيهم الانقسامات ، فأعاد تيمور الكرة مستفيدا من اقتتال يلبغا الناصري مع سودون المظفري في حلب ، والحرب الدائرة بين التنوخيين والكسرواتيين ، ومما زاد تفاقم الانقسامات ظهور القيسية واليمانية من جديد[2] ، وعندما حاول السلطان برقوق اخضاع الشام وانهاء الخلافات ، انكسر جيشه على أبواب دمشق، رلم يستفد الملك الصالح من عودته الى مصر ، لتمكن برقوق منها ، ومن هنا غدا السلطان برقوق قوة حسب تيمورلنك لها حسابا دقيقا ، ولكن وفاة برقوق المفاجئة عام ٨٠١ هـ ، هيجت كوامن تيمور في غزوة للشام ، غير هياب من ابنه الصغير السلطان الناصر ٠

تيمورلنك على ابواب الشام :

ذكر ابن حجر مسيرة تيمورلنك للشام ، وحدده في عام ٨٠٢ هـ بعد أن هرب أحمد بن أويس صاحب بغداد الى الموصل ثم الى حلب ، وخشي الدمرداش من أن يكون ابن أويس مثيرا لمطامع تيمورلنك ، فأراد صده مع

---

(١) خطط الشام ــ محمد كرد علي ــ ج ٢ ص ١٥٦ ٠

(٢) القيسية واليمانية(هوانقسام في)صفوف العرب منذ عهد الدولة الأموية ومعنى ذالك عرب اليمن وعرب الحجاز ٠

صاحب الموصل ، فاستعان ابن أويس بصاحب حماة ، ومني الدمرداش بهزيمة منكرة من قوات صاحب الموصل ، فاستنجد ابن أويس بأمير العرب نعير في سلمية ، وهرع لنجدته بقوات هزمت ابن أويس ورفاقه ، وكان تيمورلنك إذاك في عنتاب ، وكانت بلاد الشام خالية ، فسار الى الباب وبزاعة من أعمال حلب ففتحهما ، ثم كاتب الحلبيين ، يدعوهم لتسليم المدينة ، فأثار ذلك غضب نائب حلب ، فضرب أعناق رسل تيمورلنك ، مما أجج مشاعره بحقد لاهب ، وسار على أثره الى حلب ،وضرب على المدينة حصارا رهيبا . ولم يترك قرية حولها إلا ونهبها وسباها ، ولم تفد مقاومة الحلبيين ، فقد تخطى عسكر تيمور أسوار المدينة ، وأفحش فيها سفكا للدماء وسبيا للنساء وتهديما لمعالمها ، حتى غدا عدد الاسرى حوالي ثلاثين ألفا من حلب وحدها ، وكان أمام الدمرداش أن يطلب الأمان وهو المتحصن في القلعة ، فأمنه على أصحابه ، وبعدها أمر بتخريب القلعة ، ولاحق تيمور الهاربين من الحلبيين الى حماة ، ورغم أن حماة سلمت دون مقاومة، إلا أن صاحبها هرب ليتوارى عند أمير العرب في سلمية ، وهكذا انتقلت نقمة تيمورلنك الى سلمية .

تيمورلنك في سلمية (١) :

لم يكن بقدرة سلمية حماية الملتجئين اليها ، فهرب أمير العرب وأصحابه من جحافل تيمور الى الغابات الشرقية (في جبال البلعاس) ، ودخلت قوات تيمور سلمية بدون مقاومة ، وأعملوا فيها هدما وإحراقا ، في الوقت الذي هجرها سكانها الى الجبال أو الى حمص ، فقد هدم المغول سور المدينة وأحرقوا قلعتها ، ولم يبقوا على مبانيها سوى على مزار الامام رضي الدين عبد الله ، نال سلمية كل هذه المآسي رغم أن سكانها القلائل قد هربوا ، وقد قدر المؤرخون عدد سكانها يومئذ بما لايتجاوز ألفي نسمة نتيجة لسياسة أمير العرب والخصومات والغزوات المتكررة التي ألمت بها وحوضتها .

---

(١) خطط الشام ـ محمد كرد علي ـ ج ٢ ص ١٦٨ .

خرج تيمورلنك من سلمية بعد أن أحالها الى دمار وغدت ركاما ، فقد هجرتها روح الحياة اعتبارا من عام ٨٠٣هـ/١٤٠٠م العام الذي يعتبر عام تهديم وترويع للشرق العربي •

ولم يعد لسلمية بعد ذلك من يسكنها أو يعمرها ، وهكذا صوحت عرصاتها ، وتعطلت الحياة في أسواقها المدمرة ، ولم تعد الأيدي الماهرة تصون قنواتها وسواقيها ، فنمت فيها الحشائش المائية ، وبدت سلمية تغوص في عالم النسيان تعبرها القوافل البدوية في تغاريبها وتشاريقها ، واستحالت سهولها المعطاءة مرتعا لمواشي البدو الذين لا ينكفئون عن الغزو على بطاحها الخاوية •

تهديم قلعة شميميس :

لم تكن سلمية وحدها التي نالها الهدم ، بل إن جند تيمور قصدوا قلعة شميميس ، والتي لم يكن فيها سوى حامية عسكرية صغيرة ، ورغم أن الحامية حاولت التحصن وراء أسوار القلعة الحصينة إلا أن أمواج المغول المتدافعة وصلت الى الخندق الكبير ، ووضعوا في سور القلعة من الشمال أكياسا من البارود ، انهار على أثرها السور،فدخلت القوات القلعة ، فقتلوا من كان فيها ، ورموهم أحياء وأمواتا في بئرها ، وهدموا الأبراج والمعبر المؤدي لداخلها وأحرقوها ، وغادروها بعد ذلك ركاما على قمة الجبل يشكو القدر القاسي ماآلت اليه حالها •

وهكذا غدت نجمة البادية سلمية غارقة بين ركام صروحها التي كانت الى حين تحمل في حناياها أنشودة التاريخ الحية ، منذ حوالي ألفي سنة تتالت ليسود السكون والصمت الرهيب تلك الساحات المرعة ، وهكذا نامت سلمية على دمارها شأن كل البلاد التي اجتاحها الطوفان المغولي

المخرب وليبقى عام ٨٠٣هـ/١٤٠٠م تاريخ تهديم سلمية كما هو تاريخ تهديم سلمية كما هو تاريخ تهديم أكثر المدن الشامية والعديد من مدن الشـرق، وعادت كل المدن تجدد حياتهـا وتلملـم جراحها الإسلمية فقد طالت إغفاءة الموت فيها ولا من حياة •

الفصل الرابع

سلمية الحديثة وتجديد بنائها

مرحلة فاشلة في بناء سلمية الحديثة(١) :

منذ أكثر من مائة وخمسين سنة ، كان السيد صالح الطلاع يعمل في تسيير قوافل الحج بين حماة والحجاز ، ويعود أصل صالح الى بني غنيم من قرية السخنة ، والتي تقع شمال شرقي تدمر في بادية الشام .

وكان صالح الطلاع يسكن مدينة حماة، وله نفوذ كبير لدى متصرفها، وفي إحدى سفراته بين السخنة وحماة مر بحوضة سلمية ، ورأى الخصب والماء الوفير ، فدفعته حميته الى أن ينقل أقرباءه من عشيرته من وسط البادية القاحلة الى هذه المنطقة ذات المناخ والماء والتربة الخصبة ، فأرسل يستدعي أقرباءه بهذه الكلمات ، ما رأيكم لو توفرت الأرض الخصيبة والماء الوفير والمناخ الملائم في أرض أشجارها وافرة وخيرها كثير ؟ وحسب هذه الكلمات أن تكون في رأي ساكن البادية القاحلة ، أكبر إغراء يمكن أن يمنى بها بدوي .

لبى نداء صالح خمس أسر ، جاءت بما تملكه من مواش ، وسكنت

---

(١) روى هذه الحادثة السيد محمد فارس عليوي ، وهو من السخنه ، على أن اسرته هي احدى الاسر التي جاءت سلمية إذاك ، وقد نقلها عنه السيدان مصطفى شريا اللواء المتقاعد في الجيش والاستاذ مدحت كنعان من قرية تل درة .

سلمية،واستفادت من خربها فابتنت الأسر بيوتا بسيطة ، ولكنهم لم يستطيعوا الاستمرار في سكناهم لأسباب عدة منها :

١ ـ إنهم قلة لا يستطيعون أن يقفوا ضد القبائل الضاربة في حوضة سلمية •

٢ ـ إن الدولة لم تمد لهم يد المساعدة في ذلك العهد •

٣ ـ إنهم يجهلون العمل الزراعي كونهم يعملون إما في الرعي أو التجارة البسيطة •

لذلك لم يستطيعوا أن يقهروا الظروف الصعبة التي لاقوها من عدم استتباب للأمن ثم طبيعة الأرض الصالحة للزراعة ، وليست صالحة للرعي وبالأخص للمواشي •

لذلك آثروا العودة الى أهلهم وقبيلتهم ، بعد أن قضوا في سلمية حوالي خمس سنوات وتكون هذه المرحلة في تجديد بناء سلمية مرحلة باءت بالفشل ••

فعادت سلمية الى سابق عهدها خرب خاوية إلا من البدو الراحلين هنا وهناك •

اثر احتلال المصريين لبلاد الشام بين ١٨٣١ ـ ١٨٤١ م :

عندما جاءت حملة محمد علي باشا والي مصر ، واجتاحت بلاد الشام في ١٤ تشرين ١٨٣١ ، خرج العثمانيون من الديار الشامية ولمدة عشر سنوات ، كانت كل الضرائب تؤدى الى الحاكم الجديد المصري دون العثمانيين •

كان أمراء القلاع في الجبال الغربية يؤدون الأموال المترتبة على إماراتهم لولاة الدولة العثمانية ، وخلال فترة الاحتلال المصري ، كان الأمراء يؤدون أموال إماراتهم الى عمال ابراهيم باشا في المدن الشامية •

وهكذا كان أمراء قلاع الكهف والمرقب والقدموس ومصياف والخوابي يؤدون أموال الضرائب لوالي طرابلس الشام المصري خلال عشر السنوات من ١٨٣١ ــ ١٨٤١ التي قضاها المصريون في بلاد الشام ولما خرجت القوات المصرية ، عادت قوات السلطان عبد المجيد، وعاد ولاته كعادتهم لجباية المزيد من أموال الضرائب ، وكان والي طرابلس الشام ، ككل الولاة يريد جمع المزيد من الثروة،فما كان أمامه إلا أن يطلب من المواطنين في المدن والارياف، وكذلك أمراء القلاع أن يؤدوا الضرائب المترتبة عليهم خلال عشر السنوات، معتبرا أن الدولة خلال هذه الفترة قائمة ، حتى لو لم تكن موجودة .

ومن هنا ترتب على الامراء ، دفع أموال طائلة ، فاستجاب بعضهم ضاغطين على مواطنيهم ، والبعض الآخر الذين كان مواطنوهم قد انتشروا في أرياف متعددة تنيجة لتهديم قلاعهم كالكهف ، أو خلوها من الساكنين كالمرقب أن يرفضوا دفع مثل هذه الضرائب غير الشرعية ، وكان لأمراء آل يوسف أمراء قلعة الكهف وآل ميرزا أمراء قلعة المرقب موقف الرفض ، مما أدى لوقوع أحداث ومشاكل في مدينة القدموس .

احوال القدموس ومشاكلها :

تجمع عدد كبير من مواطني القلاع مع أمرائهم تنيجة للتهديم ، أو لعدم استتباب الأمن ، فقد رحل الأمير محمد بن سليمان مقدم قلعه الكهف ، وسكن قرية تعنيتي قرب القدموس ، وكان الأمراء من آل ميرزا قد جاءوا الى القدموس بعد تهديم قلعتهم ..ديه ، أما إمارة القدموس فهي بيد آل هابيل ، ولا بد لهذا التجمع من نتائج من جراء مناظرة الأمراء لبعضهم ، ولما كان كل الأمراء ومواطنيهم قد استوطنوا فيالقدموس أو ريفها،فإن مسؤولية جبايه المال العائد للدولة مطلوبة من أمير القدموس ، لذلك جرت العاده أن يقدم كل أمير ضرائب مواطنيه لأمير القدموس الذي يؤديها بدوره الى والي الدولة أو جباته ، ولذلك كان على آل يوسف الممثلين بأميرهم الأمير محمد وآل ميرزا الممثلين بأميرهم الأمير أحمد،أن يقدموا أموال الدولة الى

الحاج مصطفى هابيل أبي ملحم أمير القدموس ، وكانت الأموال تسدد كاملة طيلة وجود هؤلاء الأمراء على سدة إماراتهم قبل مجيء المصريين ، ولكن الزمن دار دورته ، وفك هذا العقد المتلائم من الأمراء ، فقد اختطفت يد المنون الأمير أحمد ميرزا ، وتولى مكانه ابنه تامر،كما لحق به بعد أشهر الأمير الحاج مصطفى هابيل ، وحل محله ابنه ملحم ، ولم تمض السنة حتى توفي الأمير محمد بن سليمان ، وحل محله ابنه اسماعيل ، وتبعا للعادة المتبعة قديما ، يجب أن تستمر العلاقات الطيبة بين الأمراء ، لولا أن هؤلاء الشباب الأمراء تداعب كلا منهم غيرة الطموح ، وحب الإستئثار بإمارات واسعة ، وهذا وحده رتب نتائج كبيرة .

فقد رفض الأمير تامر ميرزا دفع مال الضرائب الى الأمير ملحم ، وشد الأمير اسماعيل أزر قريبه الأمير تامر ، عندما بدأت الدولة العثمانية تلح على جباية الأموال المترتبة عن عشر سنوات سلفت من حكم المصريين ، وحتى يرفع الأمير ملحم عن نفسه مغبة المسؤولية ، رفع الى والي طرابلس الشام عريضة عن طريق متصرف اللاذقية ، بأنه غير مسؤول عن سداد مال الأميرين تامر ميرزا واسماعيل سليمان .. وكان جواب الوالي لوضع حل جذري للمشكلة ، هو تولي الدولة نفسها جباية الأموال،بأن رفعت إمارة القدموس شبه المستقلة الى مأمورية عثمانية (ناحية) ، وعينت مأمورا عليها السيد أحمد بيك هرون ، وهو من وجهاء مدينة اللاذقية ، وكلف ضمنا بحل الأمور المالية التي تأجلت لسنوات دون تأدية ، وبقائها على كاهل الأميرين تامر واسماعيل .

أخذ أحمد هرون يشدد الطلب على المال ، وكان الأمير اسماعيل جادا للوصول الى تسوية ، بينما رفض الامير تامر دفع المال بحجة أنه أدى ماعليه للسلطة القائمة في حينها ، وبدأ مدير الادارة أحمد هرون يحاول بادئا بالحسنى ، ولكنه اضطر الى استعمال القوة ، فهرب الاميران من القدموس الى قلعة المرقب واعتصما بها ، ومن هناك بدأا يفاوضان أحمد هرون .

وكثرت مبادلة الرسائل والمساعي بين الطرفين ، حتى تبدت الحلول واضحة فأحمد هرون يريد المال طبقا لأوامر المتصرفية في اللاذقية ، بينما جنح الامير اسماعيل لفكرة تأدية المال على دفعات ولكن موقف الأمير تامر كان متصلبا وسلبيا ٠

ومن هنا وقف مدير الادارة أحمد هرون موقف المتصلب ملوحا باستعمال القوة مع الامير تامر ميرزا،عندما عرض الامير اسماعيل فكرة الحوار لوضع اتفاقية ، وعرف الامير تامر ، أن وراء هذا القبول مع الأمير اسماعيل مؤامرة يراد بها استدراج الأمير ، ومن ثم إلقاء القبض عليه ، ووضع الأمير تامر في موقف حرج ،فكان رد الأمير تامر للأمير اسماعيل قائلا : « ٠٠٠ إني لأرى من وراء هذا الحوار سجنك والله لئن حبسك ابن هرون لأقتلنه بيدي » ٠

سجن الامير اسماعيل ومقتل احمد هرون سنة ١٨٤٢ م(١) :

حمّل مدير الادارة في القدموس أحمد بيك هرون الأمير اسماعيل مسؤولية تأخير دفع المال المترتب عليه وعلى الأمير تامر ، فلما رفض الأمير اسماعيل تحمل هذه المسؤولية ، عمد أحمد هرون الى ايداع الأمير اسماعيل رهن الاعتقال ووضعه في قبو القلعة ٠

تجاوبت أصداء هذا الاعتقال جموع الناس بشكل روّع الأمير تامر، والذي اعتبر هو الآخر أن سجن الأمير اسماعيل كان بسببه ، لذا صمم مع بعض من رجاله على إطلاق سراح المعتقل ، ولكن ذلك لا يمكن إلا بإزالة مدير الادارة ، لذلك صعد تامر ورفاقه المسلحون وعددهم أربعة رجال سور القلعة من الجهة الغربية ، ومن ثم تسللوا الى داخلها ، بينما سعى الأمير تامر

---

(١) لقد شارك في معلومات هذا النص السادة ـ رفعت الأمير محمود ومحمد حسن الخطيب (القدموس) والشيخ ابراهيم الشيخ (عقر زيتي) وحسن ابو الجدايل مصياف) ومحمد خضر قاسم (تل درة) والامير محمد ملحم والشيخ علي عيدو ومحمد طنجور (سلمية) ٠

وعلي رزق (من أقرباء الأمير اسماعيل) الى قصر القلعة في حين مكث الرجلان الباقيان يرقبان الأمور ، فلما وصلا الى قاعة القصر بعد أن صعدا اليها بواسطة سلم وجدا أحمد هرون نائما على سريره ، ولما لم يستطيعا دخول القاعة ، سدد الأمير تامر بندقيته من نافذة القاعة وأطلق النار ، فأردى أحمد هرون قتيلا[1] •

عندئذ هجم الجمع على السجن وأخرجوا الأمير اسماعيل الذي أبى الخروج في البدء ، ولكنهم بتهديده بالقتل أذعن وهرب الجمع سالمين ليتحصنوا في قلعة المرقب •

كان لمقتل مدير الإدارة أحمد هرون بالشكل السابق صدى كبير ليس في القدموس فحسب ولا في الجبال بل في اللاذقية بين أهل القتيل الذين طالبوا الدولة بدم ابنهم المهدور بيد أمراء القدموس ، ولاح الحل بيد الأمير ملحم ، فقد تعهد الأمير بتسليم الأميرين الهاربين تامر واسماعيل الى مسؤولي الدولة خلال مدة وإلا فإن الدولة العثمانية ستضطر لشن حملة على القدموس والمرقب ، وربما على سائر المناطق التي توالي الأمراء ، وهنا بدأت مساعي الأمير ملحم لإبعاد شبح أي عمل حربي عن القدموس ، ولا يكون ذلك إلا بالتخطيط لإلقاء القبض على الأميرين ، وتسليمهما الى السلطة •

مساعي الأمير ملحم :

راسل الأمير ملحم الأميرين اسماعيل وتامر في قلعة المرقب ، أن جميع مواطني القلاع معهما ، ولا يمكن أن ينرطوا في حقيهما ، ثم بادر برسائله المتتابعة ، ينوه فيها بضرورة تدارس الموضوع للخروج بحل موحد يقف إزاءه كل أهالي القدموس والقلاع ، ثم إرضاء آل هرون والدولة العثمانية ،

---

(١) لقد شاهدنا خلال زيارتنا للقدموس القاعة التي قتل فيها السيد أحمد هرون ، وهي جزء من قصر الامير رفعت الامير محمود الذي شرح لنا بدوره أحداث القتل على الطبيعة . . « المؤلف »

لذلك اقترح الأمير ملحم عقد اجتماع للأعيان في القدموس ومصياف ووادي العيون والخوابي لتدارس إمكان جمع أموال (الدية) من كل المناطق ، وطرق حل المشكلة بمسؤولية جماعية •

وافق الأميران الهاربان على عقد هذا الاجتماع ، على أن يسبق باجتماع أضيق لوضع جدول أعمال للاجتماع الأوسع،وحدد موعد الاجتماع الأول في القدموس ليلا بدار الأمير ملحم •

الاجتماع التمهيدي :

في اليوم المحدد حضر الى القدموس مع غروب الشمس أو بعدها بقليل الأميران تامر واسماعيل ومعهما مساعد الأمير اسماعيل السيد قاسم القعدة ، ودخل الثلاثة دار الأمير ملحم ، فرحب بهم أجمل ترحيب ، وطلب منهم أن يدخلوا الى الغرفة الداخلية ، حتى يكون الاجتماع بعيدا عن أنظار الناس ، وفوجيء الأمير تامر بوجود السيدين حسن زريق وأبي حيدر محمد حيدر ، وكان بين الأمير تامر وحسن زريق عداوة قديمة ، فطلب الأمير تامر من حسن زريق أن يخرج من الغرفة فورا ، لأن الاجتماع لا يخصه ، ولكن حسن رفض وأجابه أنه مدعو للاجتماع مثله ، وغضب الأمير تامر وأشهر عليه (طبنجته) / مسدس يملأ بالدك / ، ولكن حسن زريق أصر على البقاء ، ولم تفد محاولة الأمير اسماعيل وأبي حيدر في التوسط إذ كان الأمير ملحم خارج الدار ، ووقع عراك بين المتخاصمين ، وأشهر حسن زريق خنجرا طعن به الأمير تامر فسقط على الأرض جثة هامدة •

وعلا الضجيج ، فدخل رجال الأمير ملحم بأمر من سيدهم مستغلا الموقف ، فألقي القبض على الأمير اسماعيل ومساعده ، وواتت الفرصة الأمير ملحم ، لماذا لا يسلم الدولة للأمير اسماعيل وتنتهي الرواية ، وكان الأمير تامر قد لفظ أنفاسه الأخيرة ، وخيم على الدار سكون ووحشة ، إذ قطع رأس الأمير تامر ميرزا وأوثق الأمير اسماعيل ومساعده قاسم القعدة ، وجعل الرأس المقطوع في مخلاة،وسير الجمع بواسطة الحرس من القدموس

الى اللاذقية •

وهكذا كان الاجتماع التمهيدي ، مقتل الأمير تامر ميرزا ، واعتقال الامير اسماعيل ومساعده،وأصبح الأمير ملحم منذ ذلك الوقت دون منافس وخاصة بأنه أشاع بين الناس أن (الجندرما) قتلوا الأمير تامر واعتقلوا الأمير اسماعيل متنصلا من الحادث ، لتزول كل القوى المناوئة له دفعة واحدة •

ماذا بعد اللاذقية ؟ :

في اللاذقية تسلم المتصرف العثماني الأمير اسماعيل ومساعده قاسم القعدة ورأس تامر ميرزا المقطوع وخشي المتصرف من هجوم آل هرون على السجن أو مجيء أنصار الأمير اسماعيل وتامر ميرزا الى اللاذقية ، فأسرع في تسيير الجمع الى طرابلس الشام مركز الولاية لمحاكمة الجناة،بذلك يزيح عن كاهله العديد من المخاوف •

تسربت أخبار اعتقال الأمير اسماعيل ومقتل الأمير ميرزا في كل أنحاء الجبل ، ووصلت الى اللاذقية ، مما دفع المتصرف الى الاسراع في تسيير المعتقلين بحرا الى طرابلس خوفا من أي طاريء يأتي فيما لو سيروا على الطريق الساحلية برا وسار الركب مبكرا باتجاه طرابلس،ولكن الأنواء بدأت تسوء فيما بعد الظهر،مما اضطر المراكبي أن يبتعد عن الشاطيء قدر الامكان، ولكن سوء الأحوال البحرية ازداد ، الأمر الذي أجبر المسؤول العسكري المرافق أن يقرر التوقف في جزيرة أرواد ريثما يتحسن الطقس •

في ارواد :

أودع الأمير اسماعيل ومرافقه في غرفة بدار مختار أرواد ، وكلف أحد العسكريين بالحراسة ، ولكن الاطمئنان ساد الجميع ، إذ أن أرواد مأمن ، والأمير المقيد لا يستطيع ركوب البحر وبخاصة في تلك الأحوال السيئة،وفي دار المختار عرف ملحم الأروادي قصة الأمير المعتقل ، ودفعه الحماس

والغربة على هذا الأمير ، وبشكل خاص عندما علم أنه من القدموس وازداد حماسا عندما سمع من أهله أن هذا الأمير يمت لهم بصلة الانتماء ، إذ أن أباه هو في الأصل قدموسي أيضا ••

جاء ملحم الى الأمير اسماعيل بعد استئذان الحارس ، وعرض عليه خدماته من مطعم وأية حاجة أخرى فوافق الامير على الطعام ، وبأمر من قائد الارسالية ، بدأ ملحم يعد منقلا من نار وعددا من الاسماك ، كانت النار تتأجج ورائحة الاسماك تملىء جانبا من دار المختار عندما آوى الحارس المطمئن ورفاقه الى النوم مبكرين على أمل المسير مع الفجر الأول •

جلس ملحم الأروادي يحضر الطعام للأمير ومرافقيه ، وفجأة قال ملحم للأمير : « ما رأي الأمير لو تقلتكما الى البر ليلا » فنظر الأمير الى مرافقه قاسم بنظرة استفسار وموافقة ، كان جواب الأمير : « ما الذي يدفعك لمثل هذا العرض » ، فقال له ملحم : « أنا قدموسي مثلكما ولابد من أن أؤدي واجبي » وافق الامير بعد الطعام على العرض ، حيث نامت الجزيرة في هدأة من الظلام ، إلا من اصطخاب الموج المتكسر على الشواطيء •

عمد ملحم فورا الى النار بحرق قيدي المتقلين الخشبيين ، حتى إذا تحطم القيدان سار ملحم في طرق الجزيرة الملتوية المَوحشة ، وعند وصولهم الى الشاطيء ، صعد الثلاثة قاربا صغيرا ، راح ملحم يحث القارب بالمجاديف باتجاه الشرق ، كان القارب يعلو تارة ويهبط مع تماوج البحر ، فلم تمض إلا ساعة حتى حط الرجال الثلاثة على البر في مكان يعرف اليوم باسم (الغمقة) جنوب مدينة طرطوس ، ودع ملحم رفيقيه ، وتمنى لهم مسعى موفقا الى الجبل ، وعاد بعد أن أخذ الطقس بالتحسن بعد منتصف الليل ، وعندما وصل ملحم الى ساحل الجزيرة ،أعاد القارب الى مربطه ، وآوى الى فراشه ، وقد ارتاح ضميره من هواجس الواجب المترتب عليه ، وكأن شيئا لم يكن •

سار الأمير وصاحبه بين الأحراش باتجاه أكتاف الجبل ، وهو أعرف الناس بتلك المنطقة ، فهما قريبان من قرية (العليقية) المجاورة لقرية (عورو) ، ولطالما زارهما عند أقربائه من آل عسلية ، ولما وصل الأمير وصاحبه الى مشارف القرية ، لاحت خيوط الفجر الأولى ، فسعى الهاربان الى كهف قريب يتواريان فيه طيلة نهارهما ، وينتظران حلول الليل القادم ، ولم يمض من الوقت الا القليل حتى سمعا أصوات مواش تقترب ، حتى غدا قضمها للأعشاب واضحا ، وعندما اقترب بعضها من بوابة الكهف ، أجفلت هاربة ومبتعدة عنه ، فجاء الراعي يستطلع السبب ، ولاح له وهو ينظر داخل الكهف شبح رجلين يجلسان في الداخل ، فصاح بصوت مسموع من الجالس هنا ومن أنتما ، فأجابه الأمير ألست أنت أحمد ؟ راعي محمد عسلية فأجابه : نعم ، عندئذ قال له الأمير : « إذهب الى سيدك وبالسر قل له : ان في الكهف رجلين يريدانك » .

ذهب الراعي من توه الى القرية ، وهمس في أذن سيده ، فما كان من السيد محمد عسلية إلا أن يسارع الى الكهف ، حتى إذا أصبح على مشارفه ، لاحت له ملامح الأمير اسماعيل ، فصاح والعجب يتملكه : هذا أنت؟ ألم يحروك ؟ قم وصاحبك الى البيت ، فأجابه الأمير هكذا وعلى مرأى من الناس ، نحن هاربان من السلطة ، عندئذ وقف محمد عسلية وفكر بالطريقة ،وقال من توه لأحمد الراعي : لا أوصيك إلا بكتمان ما رأيت ، إنه من أقربائي وممن يهمني أمره ، فعاد محمد عسلية الى القرية ليأتي بأثواب (مكارية) تجار زيت ولبس الأمير ورفيقه الأثواب ، وجاءا مع صاحبهما الى البيت على أنهما (مكارية) وأدخلهما داره وأفرد لهما غرفة خاصة ، جلسا فيها طيلة ذلك اليوم .

الأمير اسماعيل في دار الشيخ احمد الحاج :

بادر محمد عسيلة أبو علي الى جمع عدد من رجاله الأمناء من أقربائه وأصدقائه ، وأخبرهم بأن الأمير اسماعيل المتقل هو عنده ، وشاورهم في

أمره ، فاتفق الجميع على إخبار الشيخ أحمد الحاج المسؤول الأكبر لمنطقة الخوابي ، فأرسل رسولا الى الشيخ يخبره بذلك ، ثم نقل الامير اسماعيل ومرافقه الى مكان سري أمين خوفا من تعقب السلطة لهما ، وانقضى ذلك اليوم بسلام ، وتلاه يوم آخر ، فإذا بالشيخ أحمد قادم بمفرده ، يصحبه رسول محمد عسلية ، وكان لقاء الشيخ أحمد مع الأمير اسماعيل حارا ، وطمأنه بأن لا عليك ، إن لدينا المكان الأمين لك ، تعيش بين أهلك واخوتك، وانتقل الأمير اسماعيل الى قرية آمنة من قرى ريف الخوابي وهي (برمانة رعد) التي له فيها أملاك ، كما رحلت أسرة الامير اسماعيل من القدموس بحجة العمل في أرضهم وأملاكهم في قرية برمانة رعد. وهكذا بقي الأمير طي الكتمان ، على أن أمر هربه لم يتعد دوائر السلطة العثمانية ، وقد ساد بين الناس شعور أن الأمير المعتقل وصاحبه ، قد ركبا البحر وبحرا فيه (أي ألقيا فيه فماتا) •

الدولة العثمانية تشجع على إعمار شرقي نهر العاصي :

في سنة ١٨٤٦ م ، أعلن الباب العالي للدولة العثمانية ، عن مغريات لكل جماعة تبني قرى أو مدنا شرقي نهر العاصي ، رغبة في درء أخطار البدو الناجمة عن الغزو لأطراف البادية من الحواضر كحمص وحماة ومعرةالنعمان ومن هذه المغريات :

١ ــ الإعفاء من ضرائب الدولة •
٢ ــ الإعفاء من الجندية الإلزامية •
٣ ــ منح احتواء السلاح وتوزيعه للدفاع عن النفس •
٤ ــ تقديم المساعدات المادية والعينية من أجل البناء •

نقل أخبار هذا الإعلان رجل اسمه علي دندي ، كان يعمل في (المكاراة) التجارة ، وذلك حسبما روى على الشكل التالي : « ••• كنت عند السمسار في مدينة حماة ، ونمت في (منزوله) مضافته ، وكان ابن السمسار يعمل في ديوان متصرف حماة كموظف ، حكى هذا الابن للحاضرين في

المنزول من مواطني حماة يبشرهم بأن الدولة ستطمئن أهالي حماة ، بأنها ستبني قرى ومدنا شرقي نهر العاصي ،وذلك مايبعد شبح البدو عن المدينة» نقل علي دندي هذا الخبر للشيخ أحمد الحاج ، عندما جاء ليشتري الزيت من عنده ، وفرح الشيخ أحمد لهذاالخبر ، وبذهنه إنقاذ الأمير اسماعيل من محنته ، وتأمين بعض الأسر المشردة من الفقر ، والتي ليس لديها أملاك تعمل فيها .

وبعد هذه الفترة بحوالي شهرين ، وفد الى منطقة الخوابي ضابط شرطة الوالي في طرابلس الشام طاهرباشا،ويريد أن يسجل بعض الاحصاءات للسوق الى الجندية الالزامية ، ونزل هذا الضابط كالعادة عند الشيخ أحمد ، وخلال الحديث ، أحب الشيخ أحمد أن يستوضح طاهر باشا عن موضوع (إعلان الإعمار) الذي سمعه من السيد علي دندي ، فاستفسر منه عن موضوع هذا الاعلان،فكان جواب طاهر باشا بأن الموضوع صحيح، فإذا كان عندك من يعمر شرقي نهر العاصي،فأنا مستعد لتسيير أمره ، وحبذا لو كانوا كثرة .

فأجابه الشيخ نعم إن لدي جماعة ، وأريد أن أرى رغبتهم ، وتواعدا على أن يعود طاهر باشا بعد رحلته الريفية لأخذ جواب الشيخ بالموضوع ، وسافر طاهر باشا الى دريكيش وصافيتا .

وأرسل الشيخ أحمد من توه للأمير اسماعيل يستشيره في الموضوع ، فرحب الأمير اسماعيل به فورا وقال : أنا أذهب وأعمر بشرط العفو عني من عواقب الهرب من السلطة .

عاد طاهر باشا بعد غياب حوالي أسبوعين ، ليجد الشيخ أحمد ، قد أعد له الجواب ، فقال له يا طاهر باشا : «إن لدي رجلا (فراري) طريد الدولة ، وهو مستعد أن يعمر المنطقة التي ترونها .. » .

فأجاب طاهر باشا أن يراه ويعرفه ، فطلب له الشيخ الأمان ، ولما وافق طاهر باشا بإعطائه الأمان واستدعى الشيخ أحمد الأمير اسماعيل ، وجلس

مع طاهر باشا ، فنال إعجابه لشخصيته وصراحته في القول ، واستفسر عن طلباته وسجلها لديه ووعده بالجواب •

وبعد حوالي شهرين ونصف ، جاء عسكر الوالي الى الشيخ أحمد ، يحملون معهم (فرمان) العفو المرفق بـ (فرمان) الموافقة على العرض بإعمار منطقة ما شرقي نهر العاصي ، وكتاب الوالي في طرابلس الشام الى متصرف مدينة حماة لمساعدة الامير اسماعيل على اختيار المنطقة التي توافقه لإعمارها ضمن شروط (الفرمان) السابق • سار الامير اسماعيل مع ولده محمد ورجلين من أصحابه الى حماة ، يحملون (فرمان) السلطان عبد المجيد ، وفور وصولهم ، رحب بهم متصرف حماة ، وخصص لمرافقتهم ثلة من جند الولاية المتمركزين في متصرفية حماة ، وبدأت رحلة التفتيش في صيف عام ١٨٤٧ م •

رحلة التفتيش :

سافر الامير اسماعيل والبعثة العسكرية المرافقة من حماة الى قرية الرستن ، ومنها اتجهوا الى الجنوب الشرقي وأصبحوا بمسيرتهم هذه في القسم الجنوبي الشرقي لنهر العاصي ، وعند الغروب ، حطوا الرحال قرب تل مستدير الشكل ، صعد الأمير ومرافقوه الى أعلاه ، فإذا به مجوف الوسط ، وفيه آثار أقبية ، عرف هذا التل فيما بعد باسم (المشرفة) وهي قرية عامرة اليوم ، وهي رسوم المدينة العمورية القديمة (قطنة) التي ازدهرت في حوالي ١٧٠٠ ـ ١٢٠٠ ق م ، لم تعجب رسوم قطنة الأمير اسماعيل للأسباب التالية :

١ ـ إنها مكشوفة ، وتربتها بيضاء كلسية ، ولايوجد فيها سوى مجرى ماء وحيد ، بسبب خصام مستمر بين ساكنيها والبدو •

٢ ـ إنها بعيدة عن المعمورة •

وباعتبار أن هذه المنطقة هي أقصى ما هو شرقي نهر العاصي من

الجنوب ، فالمفروض أن يسير الركب باتجاه الشمال ، وساروا حتى ضحى اليوم الثاني متجهين شمالا ، يقطعون الوديان والهضاب المتلاحقة ، وقبيل الغروب كانوا في منطقة (السطحيات) اليوم ، حيث نزلوا ضيوفا على مضارب البدو ، وعند شيخ تلك المضارب ، قضوا ليلهم ، وتسامروا ، ومن ثم سألهم الشيخ عن رحلتهم ، فأجابه رئيس البعثة العسكرية المرافقة : « إن الأمير اسماعيل يفتش عن مكان يسكنه ويعمره » فوعدهم الشيخ خيرا وقال لهم : « إذا أردتم رسوما عامرة فدونكم خرب سلمية » وأخذ الشيخ يصف لهم تلك الخرب ، وما فيها من مزار وقلعة ، ووعدهم أن يرشدهم لموقعها في صبيحة اليوم التالي •

وفي الصباح أرشدهم قائلا ، وقد اتجه بوجهه شمالا : « انظروا الى سلسلة الجبال التي أمامكم ، انظروا تلك آثار قلعة على قمة أحد الجبال ، هذه ليست سلمية ، هذه قلعة شميميس ، في شرقها سهل فسيح يتوسط هذا السهل خرب سلمية ، وإذا أردتم سلمية ، فسيروا باتجاه القلعة الجبلية ، حتى تصلوا الى السهل الفسيح •• » •

اتخذ الركب من نهاية الجبال سمتا لهم ، وحثوا مطاياهم ، ولم تمض أكثر من ساعتين حتى أطلوا من سفوح مرتفعات السطحيات على سهل ممرع متسع المدى ، تغوص في وسطه أشباح سوداء الجدران وأبنية داكنة ، كان المنظر خلابا ، سهل يموج بالخضرة والحياة ، خاو من ساكنيه وسلمية تموج بها أنسام الضحى في رقدة التاريخ القديم ، نظر الأمير ومرافقوه الى هذا المشهد المنشور أمامهم ، فهاموا بهذا المنظر الأخاذ الساحر ، وكأنهم على متن بساط الريح يحلق بهم من علٍ فوق ربوع من الحياة الغافية تستصرخهم اليها •

هبط الركب من مرتفع السطحيات الشرقي الى عريبد ، فالمالحة فظهر المغر ، ثم أخذوا يقطعون مجاري الماء من الأقنية التائهة المنسابة في رحاب السهل الممرع ، ووصلوا الى المزار ذي القبة المهدومة ، والدار الخاوية ، ثم

اتجهوا الى القلعة ، فهالتهم عظمة بنائها العالي من أسوار شامخة وأبـراج منتصبة ، وقف الأمير اسماعيل وقد راعه هذا المنظر ، وشعر من أعماقه بنداء يجذبه الى هذه القلعة ، فقال لرئيس البعثة المرافقة : « هذا ما أريده فعلا » وكأنه رضي أن تكون هذه الأطلال نهاية المطاف ، ومكان الاستقرار ودار الأمان له ولمن يرافقه •

لقد أعجب الأمير ومن معه بسلمية الخربة ومرجها الفسيح ومياههـا المتدفقة ، وقربها من الحاضرة (حمـاة) وقلعتها التي يمكن أن تدفـع عن ساكنيها غوائل البدو •

بات الركب ليلته في كنف جبل عين الزرقا ، وحلم الأمير اسماعيل أن تصبح هذه الأطلال مدينة زاخرة بالسكان وعامرة بالحياة •

وفي اليوم التالي ، اتجه الركب الى مدينة حماة ، وعند متصرفها سجل الأمير استعداده لإعمار خرب سلمية مقابل مطاليبه التالية :

١ ــ اعفاء ساكنيها من ضرائب الدولة •

٢ ــ اعفاء ساكنيها من الخدمة العسكرية الالزامية •

٣ ــ اعطاء الدولة السلاح لساكنيها للدفاع عن أنفسهم،على أن يكون اقتناء السلاح بدون ترخيص •

رفعت هذه المطاليب بكتاب سجله متصرف حماة ، وأرسله الى والي دمشق لارسالها الى الأستانة ، فالباب العالي ، بينما تابع الأمير ومرافقوه مسيرهم الى مصياف فوادي العيون فالشبخ بدر ثم برمانة رعد •

وبعد ثلاثة أشهر من مطلع آذار من عـام ١٨٤٨ م جـاء عسكر والي

طرابلس الى الامير أسماعيل يقدمون له (فرمان) الإعمار الذي ينص على إعمار سلمية [1] •

كما جاء في مخطوط الشيخ شهاب الحموي من سلمية ونصه كالتالي :

من حضرة السدة السلطانية العليا الى والي الديار الشامية :

يأتي أمرنا جواب المعروض المقدم من اسماعيل الأمير محمد بن سليمان الساكن في جبال الاسماعيلية في ولاية طرابلس الشام • بالسماح له بإسكان من يراه من عشيرته وأبناء قبيلته أراضي الجنتليك الواقعة شرقي نهر العاصي وحتى بادية الشام وجبال الشومرية وجبال العلا ، يقسمها بينهم بمعرفته طبقا لرغبتنا في إعمار شرقي نهر العاصي من الديار الشامية ، وله الحق في تجنيد أربعين عسكريا واقتناء السلاح للدفاع عن كل الأراضي التي بحوزته والسماح له من الضرائب الخاصة بالدولة بأنواعها ••

ولا يؤخذ من جماعته الى الخدمة العسكرية إلا من يريد الخدمة بالكيف والقبول •

وعلى والي الديار الشامية إبلاغ متصرف حماة تطبيق نص الفرمان السلطاني وتقديم المعونة لاسماعيل الأمير محمد •

التوقيع والخاتم
السلطان شاهنشاهي
عبد المجيد

حرر في الأستانة ١٨ شعبان سنة ١٢٦٥ هـ

---

(١) لكم حاولنا جاهدين أن نحصل على نسخة من هذا الفرمان السلطاني الصادر في ١٨ شعبان عام ١٢٦٥ هـ الموافق ١٤ شباط عام ١٨٤٨ م ورغم ان النسخة الاصلية مفقودة ، فقد حصلنا على نص من مخطوط كتبه الشيخ شهاب الحموي من سلمية نقله عن صديقه الشيخ محمد الامير احمد، ورغم ان النص ليس هو الاصل فقد صادق على محتواه وبنوده السادة الامير محمد ملحم والشيخ علي عيدو والشيخ اسماعيل الحايك والسيد اسماعيل الامير سليمان والسيد حمدو حمود ,والشيخ علي زهره وجميعهم من سلمية .

بنــاء ســلميــة الحديثــة :

الهجــرة الــى ســلميــة :

عاد الامير اسماعيل الى منطقة الخوابي والقدموس ووادي الصوراني ومصياف ، يفتش عن أسر يمكن أن ترافقه الى بناء مدينة (مجيد آباد) وهو الاسم الذي اقترحه متصرف حماه على المدينة الجديدة ، تيمنا باسم السلطان عبد المجيد صاحب فرمان الإعمار •

وبعد شهر من البحث والتنقل اســتطاع الأمير اسماعيل أن يجمــع حوله خمس عشرة أسرة من مناطق متباينة والأسر هي[1]

آل وردة وآل ياغــي وآل الجـرف وآل دنـدي وآل عبيـــدو وآل عجوب وآل الجندي برئاسة أبو علي اسماعيل الجندي وآل أبوقاسم وآل دهمان وأقرباؤهم من رستم وكردية وآل أبو اسماعيل وآل حسينو وآل القطلبي وآل شربا برئاسة حسين شربا وآل درزي وعددهم ست عشرة أسرة بما فيها أسرة الأمير اسماعيل ، ويصف الشيخ شهاب الحموي فــي مخطوطة حالة سلمية عند وصول الركب في أواخر شهر حزيران من نفــس العام أي ١٨٤٨ م فيقول : « لقد كان القش المصفر يملأ السهل والأشواك، مما تعذر عليهم دخول القلعة ، لذلك عمدوا الى احراق القش داخل القلعة وخارجها خوفا من وجود الأفاعي والحشرات بينها ، وبقي الجمع البالــغ

---

(١) لقد اجمع عشرة معمرين ممن تتجاوز اعمارهم سبعين عاما على ان الاسر المدرجة هي الدفعة الاولى التي رافقت الامير اسماعيل وهم السادة الامير محمد ملحم وخضر امين والشيخ علي عيدو ومحمــد طنجور من (سلمية) ورفعت الامير محمود ومحمد حســن الخطيب (القدموس) ومحمد السيد (برمانة رعد) ومحمــد ابراهيم تقــلا (بيت أبي خليل) والشيخ ابراهيم الشيخ (عقر زيتي) وحســن ابو الجدايل (مصيــاف) ومحمد خضر قاسم (تل درة) ومحمود سيفو وحسين حمادي سيفو (عقارب) .

عدده حوالي ـ ٩٠ ـ شخصا في العراء مدة أسبوع،وفي كل يوم ينظفون جزءا من الخرب ، ولما تم تنظيف القلعة خلال الاسبوع الأول ، دخل الركب باحتها ، وتوزعوا السكن على الشكل التالي ، فقد سكن آل أبي قاسم البرج الشرقي وآل عبيدو البرج الغربي وآل عجوب البرج القريب من الباب الرئيسي للقلعة ، وسكن الامير اسماعيل وآل الجندي وآل شربا غرف القلعة العلوية واحتوت القلعة بعد ذلك الركب بأكمله،بحيث استوطن من تبقى من الأسر القبو الكبير تحت الغرف العلوية .. » .

لم يكن فيما يبدو للقلعة أبواب ولالأبراجها كذلك ، مما دعا الامير اسماعيل الى جمع عدد من الماعز والأبقار وساقها الى حماة ، يرافقه بعض الرجال، حيث بيعت كلها، واستحضروا معهم نجارا وأخشابا وحديدا ليصنع أبوابا للقلعة ولأبراجها ، فكان باب القلعة كما وصفه المعمرون مكونا من درفتين من الخشب السميك مصفح برقاقات من الحديد المثبت على الخشب بواسطة مسامير ذات رؤوس كبيرة (طبلية) ، وله رتاج طويل من حديد ضخم ، يغلق الباب به من الداخل ، وجرت العادة أن يغلق الباب ليلا ويفتح نهارا ، وتستوعب القلعة كل مواشي أصحابها وساكنيها ، حيث تترك في باحة القلعة ، وهي تتألف من ماعز وأبقار وخيول وبقية من دواب أخرى .

بدأ ساكنو القلعة يعدون أنفسهم لشتاء قادم مجهول بالنسبة لهم جميعا ، لأنهم لا يعرفون أحوال الطقس في بيئتهم الجديدة ، وكانت عيشتهم خلال هذه الفترة تعاونية بكل معنى الكلمة ، فجمع الحطب والأعمال الزراعية ورعي الماشية،كل هذه الأعمال كانت تقوم بشكل جماعي، حتى يتم انجازها ، والسهرات وحكايات السمر ، كانت تقوم بينهم بأخوة صادقة .

كان ساكنو القلعة يطلقون على قلعتهم اسم مدينة (مجيد آباد) كما سماها متصرف حماة ولكن هذا الاسم لم يكن يتجاوز أذهان من داخل

القلعة ومتصرف حماة فقط ، فكل البدو والعابرون باستمرار حوضةسلمية كانوا يعرفونها باسم « خرب سَلَمْيَة » •

أطل الشتاء مبكرا على ساكني القلعة بأمطاره وبرده القارس ، وكانت الليالي الطويلة تقطع بالسهر والسمر ، وقد خصص الأمير اسماعيل غرفة في الطابق العلوي من بناء القلعة ، تطل من الغرب على فسحات السهل المديد حتى مرج « الكريم » كما يسمى حاليا ، خصصها لتكون مجمع القوم ، ومنزلا للأضياف وملتقى للساهرين •

كان ذلك الشتاء غزيراً بالمياه ، لقد شاهدوا في أيـام (اللزب) المطر الشديد ، حيث لا يستطيعون مغادرة مساكنهم والسيول المندفعة ، وهي تنساب من حول القلعة متجهة غربا يسمع اصطخابها وهديرهـا عن بعد ، فيخرجون في فسحات النهار لرؤية (الطوف) بلونه الأحمر سيولا جارفة ، تتجه غربا ، ولكن الشتاء بدأ ينقشع ، وبدت شمس شهر شباط تطل من بين تنف الغيوم لتعكس الدفء أحيانا ، وتبدو السهول الفسيحة من حول القلعة وقد غمرها العشب الأخضر،زيادة عن زراعاتهم التي كانت تعلو يوما بعد يوم ، والخصب يجددها بالآمال الكبيرة تعمر قلوب ساكني القلعة ، ورغم أن المساحات كانت قليلة في زراعتها ، فهي فقط تشمل الأراضي التي أمكنهم أن يطولوها من حول القلعة ، إلا أنها عمرت قلوبهم بالأمل المشرق والمتجدد مع الربيع القادم ، ومع أن لكل أسرة بقعة مخصصة زرعوها قمحا أو شعيرا ، إلا أن العمل فيها ميسور جدا ، لأن الجميع سيقومون بالعمل الجماعـي •

أطل شهر آذار وتجلى فصل الربيع لأول مرة للساكنين الجدد على مروج خضراء أينما اتجهوا وبدأت الأزاهير تتفتق مع إطلالة شهر نيسان ، لقد كان الجو عبقا يسر النفس بمظهره الرائع ،وكانت زراعة ساكني القلعة، قد تمت مبشرة بخصب كبير ، ومواسم جيدة ، وبالفعل كانت حصيلة هذا الموسم ما أسر القوم جميعا ، فقد عمرت بيوتهم بالحبوب ، وتشـجعوا

لزراعة الأرض صيفا مستفيدين من المياه الجارية من عين القصب والغندورية، مما شجع الأمير اسماعيل أن يطرح على رفاقه يستشيرهم : « ما رأيكم لو استحضرنا مزيدا من الأسر ، حتى نكون كثرة وقوة ، لأننا بهذا الحجم سوف نبقى ضعافا أمام جموع الأعداء الكثيرين من البدو المنتشرين في كل المنطقة ؟ » •

جاءت الموافقة بالإجماع على ما عرضه الأمير ، لأن في هذا العرض معالجة لشعور الجميع بالخوف والقلق ، وجلس وجهاء ساكني القلعة ليضعوا خطة للسفر الى (بلاد الغرب) أي مناطق الجبال •

وفي أواخر شهر حزيران ، سافر الأمير اسماعيل ومعه اسماعيل الجندي وحسين شربا وحسن حسينو الى (بلاد الغرب) مبتدئين بمصياف فالقدموس فوادي الصوراني فوادي العيون وآخر المطاف في الخوابي ، واستغرقت الرحلة شهرين ، فلما عاد الراحلون كانوا قد اصطحبوا معهم جمعا من أسر عديدة •

هجرة الدفعة الثانية الى سلمية :

بعد غياب شهرين أطل على سلمية ركب طويل ، يتقدمهم الأمير اسماعيل وصحبه ، كان عدد الأسر الوافدة الى سلمية بعد هذه الرحلة المضنية حوالي تسع عشرة أسرة ، تجمعت من القدموس ومصياف ووادي العيون والصوراني والخوابي ، وتعتبر هذه الأسر هي الرديفة لأسر بناء سلمية وإعمارها وهذه الأسر هي :

آل عيد وآل قطريب وآل شاهين وآل ماغوط وآل ادريس وآل حصري وآل زيتو وآل جمول وآل بصل وآل جبر وآل شيحاوي وآل محفوض وآل الحاج وآل عيسى وآل حايك وآل الضحاك وآل أمين منصور وآل خريبط ، ثم جاء منفردا بعد هذه الأسر آل سليم وقد رافقهم الأمير مصطفى بن الأمير تامر ميرزا المقتول في القدموس ، وكان الوحيد من

وصل ركب هذه الأسر الى أرض سلمية في مطلع شهر ايلول ، وأدرك آل ميرزا ، وكان حدثا لا يتجاوز عمره خمس عشرة سنة •

الجميع عيد الأضحى المبارك ، ولم تستوعب القلعة الوافدين الجدد ، وقد انقضى على إعمار سلمية عام واحد ، فاتجه آل رستم ليسكنوا الحمام بعد إصلاحه ، وبناء سقف له من الأعشاب والخشب والطين، واتجه آل القطريب ودهمان وحسينو وخربيط وحصري وبصـل ، فسكنوا الأقبية المتواجدة شرقي القلعة [1] ، بينما عمد آخرون الى بناء قبب مخروطية غربي القلعة وشمالها وجنوبها ، فقد بنى غربي القلعة آل أمين منصور وحايك وعبيدو وجمول وأبو اسماعيل ، واتجه للبناء شمالي القلعة آل عيد وقطلبي وزينو ودندي وياغي وورده ، وايتني جنوب القلعة آل الجندي وعجوب والحاج وشيحاوي الذين بنوا قببهم قرب مزار (الإمام اسماعيل) ، وكذلك آل محفوض والضحاك ، وبقيت بعض الأسر داخل القلعة •

كانت بداية الأبنية عبارة عن قبب مخروطية ذات قاعدة دائرية ، وسبب ذلك ، أن مثل هذه الأبنية القببية هو قليل التكاليف ، فبناء قبة لا يكلف خشبا للسقف ولا للنوافذ ، لذلك كان البناء بسيطا وسريع الانجاز ، فكل ما تكلفه قبة ، هو أعداد من لبنات ترابية مع قليل من التبن على شكل طين يقطع ، ومن ثم يقوم البناء في ادارة البناء ، وقد اشتهر من البنائين السيدان علي عبيدو وحسين شربا ثم أتقن العمل بعدهما السيد خضر الدرزي وجد آل أدريس المسمى مصطفى •

هكذا أخذت سلمية تحبو خارج القلعة ، وعدد أسرها خمس وثلاثون

(١) لقد سألنا عددا من معمري آل رستم وقطريب وكردية ، فأكدوا وجود مغائر في دورهم ودور آل خربيط واصلان وحصري والجرف، وأن عدد هذه الاقبية كثير ، إلا أن بعضها تهدم نتيجة البناء ، وقد سكن معمروا سلمية هذه الاقبية لمدة ثلاث سنوات ، ثم حولوها الى حظائر ومستودعات بعد تحسين أحوالهم الاقتصادية «المؤلف»

أسرة في سنتها الثانية وعدد ساكنيها حوالي / ٣٢٠ / شخصا .

توزعت هذه الأسر الاراضي حول سلمية شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ، وهكذا بدأت الحياة تدب في أوصال هذه الرسوم ، وبدأت تظهر من جديد معالم مدينة جديدة هي سلمية الحديثة .

الغـزو الاول وتسـمية السلميـين بـ (رعيان العوجة(١))

في ربيع عام ١٨٥٠ م اجتاح سلمية غزو مؤلف من عدد من فرسـان قبيلة الفدعان بقيادة ابن شيخ القبيلة صميت بن قنيفذ الملقب براعي العوجة ، وصادف هذا الغزو مواشي السلميين قرب جبل عين الزرقا غربي سلمية ،وكان رعاة المواشي قلة مؤلفين من سبعة رجال وطفلـين فقط ، واستطاع الغـزو المكون من فرسان مهرة أشداء ، أن يقودوا مواشي السلميين كلها بسهولة ، باتجاه الشمال مارين في سهل الخصيمية ، ومنطقة الصيادة ، فسهل تل عدا .

عندما عاد بعض الرعاة الى سلمية يستفزون حمية سكانها لاسترجاع مواشيهم ، فلبى دعوة الرعاة من السلميين ستة عشر فارسا ، منهم الاميران محمد وسليمان ومصطفى دندي وعلي حسين شريا وعلي الجندي ومصـطفى عبيدو وتحيرهم من فرسان سلمية ، واتجهوا خلف الغـزاة ، وأدركوهم في سهل جصين ، حيث دارت معركة كبيرة دامت ثلاث ساعات ، هرب على أثرها الغزاة ، وقد فقدوا عقيدهم ، وعاد فرسان سلمية ومعهم أسير مقيد بكوفيته حاسر الرأس حافي القدمين ، وبين الاغاني والاهازيج وأصوات النخوة مـن الجموع التي تهزج للمنتصرين وفي مقدمتهم الامير اسماعيل وضيفه آنذاك

---

(١) وردت وقائع هذا الغزو في مخطوطين احدهما كتبه الشيخ علي عيدو والثاني كتبه الشيخ شهاب الحموي نقلاعن محدثين منهم الشيخ محمد الامير أحمد والحاج تامر ميزرا بن تامر المقتول في القدموس .
وصدق على صحة هذه المعلومات السادة الامير محمد ملحم والشيخ علي زهرة والشيخ اسماعيل الحايك وخضر امين وحمدو حمودو محمد طنجور ومحمد خضر قاسم « المؤلف »

السيد مطرب السحاحير أمير بدو السبعة ، وقد لحظ الامير اسماعيل دهشة ضيفه ، عندما رأى الاسير المقيد ، ولما سأله عن سبب انقباضه ودهشته أنكر عليه في البدء ، ولكن الحاح الامير اسماعيل وصحبه ، دعت الضيف أن يقول: « أتعرف من هو أسيركم هذا » ؟ قال الامير اسماعيل : لا لانعرف ، فأجابه مطرب : « إنه صميت بن قنيفذ ابن شيخ الفدعان ، انه راعي العوجة » .

فاستدعى الامير اسماعيل أسيره على الفور الى غرفته ، وحل وثاقه ، وأجلسه بقربه ، وأعاد له لباسا محترما ، وقال له : من أنت يا ضيف الرحمن ؟ فغض الرجل الأسير بصره ، فقال له الامير ، لا تخف أنت ضيفنا وعليك الأمان ، فأجابه الأسير أنا صميت بن قنيفذ .

وبعد صمت لم يطل ، قال الامير لابن قنيفذ : « أهكذا تكون حرمة الجوار ، وعلى جيرانكم تتطاولون سامحكم الله وغفر لكم » .

كان في ضيافة الأمير بعض من عساكر المتصرفية في مهمة أمنية ، فطلب قائدهم تسليم ابن قنيفذ للسلطة بحجة أن الدولة تريد أن تقضي على عادات الغزو ، فكان رد الامير اسماعيل : « ليس هذا عدوا لنا وليس هو غازيا ، بل هو ضيف عزيز بيننا وبينه سوء تفاهم ، ونحن العرب لا نسلم أضيافنا » .

وفي اليوم الثاني أهدى الأمير اسماعيل ضيفه حلة جديدة وأعطاه زادا بعد إكرام يليق بابن شيخ قبيلة ، ثم أعطاه فرسه وودعه وصحبه عند باب القلعة أحر وداع ، واتجه الامير الاسير شمالا ، ولم يصل الى أرض الصيادة ، حتى لمح جموع فرسان ، عرفها على الفور انها فرسان القدعان ، بأعدادها الكبيرة متجهة الى سلمية ، فأخذ يلوح لهم بمنديله ، حتى رأوه ، فأتوا اليه فقال لهم صميت : « على هونكم عودوا من حيث أتيتم ، انهم أخوة وأحباء وليسوا أعداء لنا » وعاد الجمع الى مضارب الفدعان في منطقة الحمرا ، وعقد الشيخ جلسة في قبيلته ، تكلم فيها صميت قائلا : « لم أر في حياتي شهامة ولا كرما أكبر من شهامة السلميين ، فهيا بادروا اساءتنا لهم بإحسان شعارا للمحبة والأخوة ، وهذه فرسي هدية لهم » .

وبعد يومين أطلت على سلمية أعداد من الفرسان يقودون قطيعا من الإبل وثلاثة قطعان من الاغنام وسبعة عشر حصانا وفرسا ، وبينها العوجة هدية صداقة للسلميين ، وقد خصص صميت الامير اسماعيل بحلة وثياب جديدة ، ومنذ ذلك العهد أصبح كل سلمي يكنى براعي العوجة •

كان من نتائج هذه الغزوة ، أن أصبح الفدعان والخرصة وسائر البدو الذين يلوذون بديارهم أصدقاء لسكان سلمية ، وقد غدت منطقة شمالي سلمية حتى الأندرين عامرة بالأصدقاء ، وكل ذلك نتيجة لحسن المعاملة الطيبة التي أبداها سكان سلمية الأوائل وطيب أخلاقهم ، الى جانب الشجاعة والرجولة ووحدة الكلمة ، بتلك الصفات تعالت أبنية سلمية ونجح إعمارها ، واتسعت رقعتها ، وامتلأت عرصاتها بالوافدين إثر الوافدين الذين كانوا على الحب والأخوة يعمرون سلمية الحديثة •

انقضت سنتان على حادثة العوجة ، وأخذ البدو يرمون ابن قنيفذ بالعار ، بسبب أ نالسلميين القلة أسروه وأذلوه ، وشعرت أخته (فطنة) بالعار وأرادت أن تعرف آسري أخيها ، وهل هم جديرون بأسره رغم ما كان عليه صميت من بأس وشجاعة كانت ترفض أن ينتخى باسمها كقوله (أنا أخ فطنة)•

فجاءت مع بعض من فرسان الفدعان الى سلمية ، ونزلت عند الأمير اسماعيل ضيفة ، وطلبت منه أن يريها آسر أخيها ، فاستدعى الأمير على الفور الرجال الستة عشر ، ونظرت فطنة الى الحاضرين أمامها ، تنقل بصرها من واحد الى آخر ، والجميع في صمت ، حتى إذا أتت عليهم جميعا •

قالت كلمتها المشهورة : « عز الله السلميين ، فإن فيكم رجولة وبطولة ، والله ليس العار أن يؤسر أخي ، بل العار أن يوجه الينا العار أمام أمثال هؤلاء الرجال » •

حادثة الموالي وعنزة(1) :

بين قبائل الموالي وقبائل عنزة عداوة متأصلة قديمة ، وكانت كل قبيلة تتربص للأخرى ، من حين لآخر ، وتقوم بينهما الغزوات والحروب ، وقد طال أمرها ، ولم تستطع السلطة العثمانية حتى إبعاد مواطن القبيلتين عن بعضهما، ولكن الأمير اسماعيل بحكم وجوده بين القبيلتين كان غالبا ما يتوسط في النزاعات بينهما وفي عام ١٨٥٣ م جرت هذه الحادثة ، وهي كما اتفق عليها الرواة على الشكل التالي :

ذهبت جموع من بدو عنزة الى مدينة حماة للتمون بالحبوب من أجل التشاريق ، وعندما انتهت من مهمتها في المدينة ، عرجت الجموع بحمولة مايزيد عن مائتي بعير الى مطاحن نهر العاصي في منطقتي (الجرنية والرملية)، وبعد انجاز طحن الحبوب،اتجهت القوافل بحمولتها الى مواقع مضارب القوم، وكانت قرب قرية الخريجة اليوم شرقي سلمية ، ولما وصلت قوافل التموين الى مقربة قلعة شميميس ، فاجأتهم فرسان الموالي الكامنون لهم بين الجبال بغزو كثيف ، وهنا بدأ فرسان عنزة من حماة القافلة ، في خطة متزنة ، فأخذ بعضهم يجابه فرسان الموالي والبعض الآخر يحث الإبل المحملة باتجاه قلعة سلمية يستنجدون بأهلها عندما وصل فارس من عنزة الى ديار سلمية وهو يصيح (الخيل الخيل يا أهل الخيل يا رعيان العوجة) • وخرج الأمير اسماعيل وبعض من رفاقه يستفسرون،ثم ارتفع صوته يستحث من حوله لنجدة الاخوة، فهب من فرسان سلمية ستة وخمسون فارسا ، واتجهوا الى سهل ما بين

---

(1) وردت وقائع هذه الحادثة في مخطوط الشيخ شهاب الحموي ومخطوط الشيخ علي عبيدو .وقد صادق على صحتها السادة الامير محمد ملحم وخضر امين والشيخ اسماعيل الحايك ومحمد طنجور وحمدو حمود والشيخ علي زهرة (سلمية) ومحمود سيفو (عقارب) وعباس ضعون (جدوعة) ومحمد خضر قاسم (تل درة) .

الجبال ، واستطاعوا رغم قلتهم أن يردوا فرسان الموالي عن القافلة ويقودوها بكامل حمولتها الى داخل القلعة،ولكن فرسان الموالي طوقوا سلمية يتربصون من فيها بجموعهم الكبيرة •

وكان بين بدو عنزة داخل السور امرأة ذات وقار ، ولها ولد شاب يمتطي فرسا اسمها (المرمحية) وهي من الخيول المشهورة بالسبق ، خافت هذه المرأة ، أن يقع بسبب دخولهم القلعة سلمية سوء لسكانها ، فاستدعت ولدها وقالت له : « اعلم أن المرمحية فرس سباقة لا تلحق » وصعدت مع ابنها الى أحد الأبراج ، وأشارت له عن الطريق التي تريد أن ترسله فيها لإعلام قومهم بحالهم ، وبما وقع لهم مع الموالي والسلميين •

وفي الصباح الباكر كان الموالي بأعدادهم الضخمة لا يزالون حول سلمية ، إذ فتح باب القلعة على حين غرة ، وانطلق منه فارس شاب ممتط فرسا سباقة ، ولم ينتبه له فرسان الموالي ، إلا وقد قطعهم لمسافة أيقنوا بعجزهم عن اللحاق به ، وعرفوا أن وراء هذا الشاب جموع عنزة ستأتي لفك الحصار عن أبناء قبيلتهم والموت لكل الموالي ، فصاح عقيدهم : « هلموا نعود والله لئن أتى فرسان عنزة فسوف لن يبقى منا واحد » ، وهكذا بدأ فرسان الموالي ينسحبون فارين الواحد تلو الآخر ، ولم تمض سوى ساعات قليلة ، حتى امتلأ سهل سلمية بفرسان عنزة ، وكلهم يهزج بحياة (رعيان العوجة) ويثني على الصداقة (السلمية ـ العنزاوية) ، ودخل الأمير سليمان المرشد وهو شيخ عنزة على الأمير اسماعيل يشكره ويسميه (أخي) ، وكان لتلك الكلمة صدى إذ أصبح كل فرد من قبيلة عنزة أخا لكل فرد يسكن منطقة سلمية ، بشكل يدافع عنه وهو واجب الأخوة •

فبتلك الأريحية كان سكان سلمية الأوائل يعاملون من هم حولهم ، وبتلك الشهامة كان (بدو الديرة وقبائلهم) قبيلة بعد قبيلة ترتبط مع السلميين برباط الأخوة والاحترام . حتى غدا سكان سلمية ذوي مهابة واحترام مبعثها شهامتهم وقوتهم وحسن معاملتهم .

وفي مثل هذه الأعمال ابتعدت عن سلمية الناشئة أحاسيس الخوف ، فأخذت تمتد خارج القلعة وعبر السهل لتملأ بطاحها شاسعة يحدو الجميع شعور بالقوة والشجاعة واحترام الجوار لهم ، حتى أن القبائل البدوية اعتبرت أرض سلمية أرضا محرم الأقتتال فيها ، وهذا أمر متعارف عليه بين جميع البدو .

احترام ارض السلميين واعتبارها ارض حرام[1] :

أغار أحمد بيك أمير إحدى قبائل الموالي على بدو عنزة التابعين لسليمان المرشد شيخهم،واستطاع أحمد بيك أن يفوز بماشية عنزة الذين هبوا بدورهم لاستعادة مواشيهم ، وكانوا يقطنون غربي قرية عقيربات على أرض الخريجة اليوم ،' وكان على رأس عنزة شيخهم سليمان المرشد ، لحق فرسان عنزة غزاة الموالي في موقع قريب من قرية تل التوت اليوم ، حيث دارت رحى معركة ، كان الموالي يدافعون عن الغنائم وينسحبون بها ، واستطاع فرسان عنزة استعادة ما فقدوه ، من خلال المعركة ،.وأخذوا يطاردون فرسان الموالي ، حتى إذا قطعوا أرض تل الشيخ علي وأصبحوا في أراضي (بركان) أي أصبحوا في أراضي سلمية ، صاح سليمان المرشد لأحمد بيك متكلما باللهجة البدوية قائلا : « يا خوي أحمد إنك سلمت ، لا تهرب أنت في أمان لأنك دخلت أرض السلامة ،' ويجب أن تعرف أن سليمان الخنزير[2] بردان وأود الغزوة منك» .

---

(1) روى هذه الحادثة مخطوطا الشيخ شهاب الحموي والشيخ علي عيدو ، وصادق على صحة وقائعها ما رواه المعمرون السادة الامير محمد ملحم ومحمد طنجور والشيخ علي زهرة والشيخ اسماعيل الحايك من سلمية) ومحمد خضر قاسم (تل درة) وقد اسندت الرواية الى الحاج مصطفى تامر ميرزا .

(2) « الخنزير » هو لقب للشيخ سليمان المرشد دلالة القوة والبأس والتقدم المستمر خلال الحرب دون تراجع .

معنى ذلك أن كلا من المتخاصمين احترما الأرض التي دخلاها أثناء عراكهما ، حتى أن أحمد بيك أرسل (فروته) الى سليمان المرشد ليدرأ عن نفسه البرد ، وأخذا يتعاملان كأنهما ليسا في حالة حرب وخصومة ، وفعلا فض القتال ، وعاد كل قوم الى مواطنهم ، إذ تابع أحمد بيك مسيرته شمالا ، بينما عاد سليمان المرشد وفرسانه متجهين شرقا •

وهكذا غدت أرض السلميين لها طبيعة متميزة عند سائر (بدو الديرة)، وهذا يعود لمكانة سكان سلمية بما اتصفوا به من مرونة وحنكة جعلتهم يتغلبون على تحديات كثيرة كان أهمها اطلاقا تواجد البدو ، وذلك بعاملين اثنين :

أولهما : هو البأس والشجاعة التي عرف بها ساكنو سلمية الى جانب الوحدة (وحدة المصير) •

ثانيهما : المعاملة الطيبة التي عاملوا بها مجاوريهم بما اتصفوا به من مرونة وحنكة •

وهكذا أثبت بناة سلمية الحديثة عن جدارة ومقدرة في استمرار سلمية وتقدمها وإبقائها بعيدة عن مخاطر المنازعات البدوية ، وبالأحرى مكانا لصلحهم وحل مشاكلهم ، لذلك اتسمت العلاقة مع سائر البدو بالاحترام ، أما العلاقة مع سكان المدن ، وبالأخص حماة ، فكانت هي الأخرى متسمة بتقدير الحمويين الذين يعتبرو نسلمية درعهم يقيهم شر البدو في البادية ، وهكذا نفذت مشيئة السلطان العثماني عبد المجيد في حماية المدن الآهلة من غزو البدو وأطماعهم بإقامة مجتمعات فاصلة بينهما ، فكانت سلمية بحق الواقية لحماة من هذا الجانب •

صفات السلمي وشهامته (١) :

من حديث للشيخ فارس المطور من بدو الموالي ، روى هذه الحادثة في (مضافة) الأمير علي أبي سليمان في سلمية قال : « كنا حوالي ثلاثمائة فارس في جهات قرية عقيربات ، نطلب طلبه (غزو أو غنيمة) ، وإذا بجماعة من فرساننا قد تحلقوا كتلة تضطرب من حين لآخر ، فسميت اليهم بحصاني فوجدتهم قد تجمعوا على رجل حاسر الرأس ممسك بيده خنجرا يحامي به عن حمار يحمل صندوقين من العنب ، فأمرتهم أن يتعدوا عنه ، واقتربت من الرجل ، فلما رآني صاح بصوت عال : « حي الله الشيخ ، انظر هؤلاء عربك يريدون العنب ، فإذا كان بالطيب كل العنب فداء لهم ، وإن كان بالقوة كل حبة برجل » .

فقال الشيخ : « يا رجل من أي الناس أنت » فصاح الرجل بصوت جهوري « أنا سلموني على الخير والشر » فقال الشيخ : « حمى الله السلامنة أتبيع عنبك » ؟ فأجابه الرجل : « كل العنب لك هدية » . قال فارس المطور وزعت العنب على الفرسان ، ومددت يدي ، فأخرجت من جيبي خمس ليرات ذهبية كثمن للعنب ، فما رأيت الرجل إلا وقد انتفض ، وصاح بصوت عال : « خذ مالك أنت ضيفي ولا أريد ثمن الضيافة ، فنحن عرب ولنا كرامة » .

وأرسل الأمير علي وراء الرجال الذين اعتادوا أن يبيعوا العنب في الريف ، وعندما حضروا عرف الشيخ فارس أحدهم قائلا هذا مضيفنا ، وإذا به رجل من آل زهرة ، وبادره الشيخ فارس قائلا : « يارجل أكرمتنا بطيبك ونخوتك ،

---

(١) روى لنا هذه الحادثة الامير محمد ملحم إذ سمعها من خاله الامير سليمان بن الامير علي وكان يحضرها ، وقد صدق عليها الشيخ علي زهرة باعتبار الرجل بائع العنب ابن عم له ، وكتب الشيخ علي عيدو جانبا منها في مخطوطه .

ونريد أن نكرمك فما رأيك ؟ » قال الرجل « ما يراه الأمير أبو علي سليمان» •
وبعد أيام أرسل الشيخ فارس العطور اثنتي عشرة عنمة وكبشا للرجل إكراما له على سابق كرمه وشهامته •

بمثل هذه الصفات الشخصية ، ارتفع شأن الانسان السلمي بالشهامة والكبرياء ، زادت مكانة سكان سلمية مكانة حتى أن كلمة (فلح) أصبحت مبعث فخار عندما تطلق على ساكني سلمية ، لأنها رغم مايعنى بها البدوي من المعاني المزدراة والسخرية ، فلقد جعل سكان سلمية بصفاتهم المثلى لها مكانة، وغدا البدو يميزون بين « فلح » سلمية و « فلح » غيرها من المناطق ، ففلح سلمية أهل كرم وشجاعة ومروءة •

عودة اسم سلمية للمدينة بدلا من مجيد آباد :

وجد سكان سلمية أن اسم مجيد آباد لا يلائم واقعهم ، فجميع من حولهم يعرفون المنطقة قديما وحديثا باسم سَلَمْيَة ، فقد عرفها لهم القدامى باسم « خرب سلمية » أو « رسوم سلمية » ، أما المحدثون ، فكانوا يطلقون على الأبنية الحديثة نفس الاسم ، مما أزال من فكر سكان سلمية اسم مجيد آباد ، وسبب ذلك هو عدم التصاقهم بالسلطة بشكل فعلي[1] ، إذ تمتعت سلمية وسكانها بشبه استقلال ذاتي ، لذلك كان الاسم الذي أطلقه متصرف حماة العثماني قبل حوالي / ٢٠ سنة / اسما يذوي ويموت ، ليبقى الاسم القديم سائدا ومتداولا •

وهكذا استقر البناء الحديث بنفس الاسم التقليدي ، والذي بدأت تشتهر به بين سائر المجتمعات بأنها سلمية بلد الرغيف والخصب والإعفاء من الضرائب والجندية •

---

(١) من مراجعة سجلات القيود «النفوس» في حماة ، تبين انه لم يكن لسلمية احصاء قبل عام ١٨٩٧ ، ومعنى ذلك ، انها كانت لاتطولها مراقبة الدولة عملا بفرمان الاعمار السلطاني ، في عفوها من الضرائب والجندية ، لذلك لم تكن سلطة متصرف حماة تهتم حتى بوجودها والاستفادة منها في العائدات المالية والعسكرية نظرا لاعفائها .

وفـاة الأمـير اسـماعيـل :

كان عام ١٨٦٨ م عام حزن لسكان سلمية ، لأنهم فقدوا فيه قائدهـم ، فقد شيع السلميون على قلتهم بكل الإجلال والحزن فقيدهم ودفنوه في المدفن الغربي ، وكانت التعازي تقدم لابنه الأكبر الأمير محمد الذي أصبح بحكم العادة قائما مكان والده الفقيد ، ومما تتعـارف عليـه كل القبائل البدويـة المجاورة ، أنه غدا أمير السلميين ، عندما هرعت تقدم التعازي وتشد على يد الابن بالصداقة التقليدية .

كان أول عمل قام به الامير محمد بعد وفاة والده ، أن رحل مع بعض من وجهاء سلمية الى (بلاد الغرب) منطقة الجبال التي جاؤوا منها ، يدعون المزيد من الأسر لإعمار منطقة سلمية ، وكالعـادة شملت الرحلـة مصيـاف والقدموس ووادي العيون والصوراني ومنطقة الخوابي ، ودامت الـرحلـة حوالي ثلاثة أشهر ، جاء على أثرها رفد كبير من الأسر الى سلمية ومنهم : آل نصرة وآل شقرة وآل زهرة وآل ناصر وآل فاضـل وآل درويش أقربـاء آل الجندي ، وآل خبازة وآل حمودة وآل أم سعد ، وكان بعض هذه الأسر قد جاءت من منطقة عكار التي زارها بعض ممن أرسلهم الأمير محمد ، وبعد عام واحد جاءت أسر أخرى من مناطق متباينة منها آل السـيد وآل سمعول وآل الخطيب وآل الشمالي وآل الحموي الشرقيـين وآل حمـوي الغربيين وآل الشعار وآل الشعراني .

واستمر بعد ذلك إشهار مدينة سلمية على أنها مدينة الرغيف والخصب والفتح الجديد والبقاع المعفاة من الضرائب والجندية الالزامية والخالية من تحكم الإقطاع ، وأراضي الملكية الحرة ، على هذا الاسلوب من الإشـهار غدت الأسر تنساح من الجبال الغربية ، ومن منطقة عكار وبعرين وشيزر ، حيث جاءت الأسر مجموعات إثر مجموعات ، فقد جاءت الأسر التالية بشكل متقارب وهي : آل ديوب وآل سعيد وآل قصير وآل طنجور وآل حمصي وآل شدود

وآل زعير وآل حواط وآل سيفو وآل ديات وآل سعد وآل داهود على مدى خمسة أعوام بعد وفاة الأمير اسماعيل •

توسعت مدينة سلمية ، وبدت فيها حركة عمرانية ، لقد غدا سكانها يزيد على ثلاثة آلاف نسمة ، وأخذت تظهر فيها بعض المتاجر حول القلعة ، بداية لظهور السوق ، وبدت بعض القبائل البدوية تفد سلمية للاتجار ، ونمت العلاقات التجارية بين سلمية وحمص وحماة ، حيث أصبحت القوافل من إبل ودواب تروح وتغدو على الدوام •

هذا التقدم رافقه ظهور التوسع الزراعي ، فقد غدت رقعة الأرض الزراعية واسعة ، مع ظهور الأشجار المثمرة ، وبالأخص الكرمة واللوزيات والتين،فأصبحت سلمية تعمر بالحياة الخيرة المعطاءة وأخذ السلميون يبحثون بجدية عن الأقنية المائية،فيبعثون فيها الجهد لتنساح ماء مندفعا يروي السهول الخصيبة ، ومعنى مجيء الأسر المستمر دلالة على توزيع الاراضي وازدياد الزراعة ، وكانت رغبة معمري سلمية الأوائل ، هو إعطاء كل أسرة عادية (فدانا)[1] واحدا والأسرة الكبيرة (فدانين) اثنين ، وقد ورد ضمن الروايات عن رفض العديد من الأسر استلام مثل هذه المساحات الكبيرة في البدء باعتبارها تحتاج الى جهد كبير •

---

(1) الفدان : هو مقياس قديم كان سائدا فيظل الدولة العثمانية واجزاؤه انفرده ثم القيراط ، فالفدان يتالف من ٢٤ قيراطا و٤ فردات معنى ذلك كل ٦ قيراط تجمع فيما يسمى فردة .

الفصل الخامس

اعمار ريف سلمية

بناء القرى حول سلمية :

جاء بناء ريف سلمية على مرحلتين ، كانت الاولى مرحلة غير ناجحة ، بالرغم ما بذل من جهد لانجاح وتشجيع البناء خارج مدينة سلمية ، فإن الفشل كان نهايتها ، لأن سكان الريف الأوائل لم يستطيعوا مقاومة الصعوبات التي صادفتهم أو داهمتهم،سواء كانت صعوبات داخلية أو خارجية، أي صعوبات تبحث عن الانقسام والاختلاف بين بناة الريف أنفسهم.، أو مع سكان المدينة، وصعوبات خارجية تتجه لمواجهة حقيقية مع البدو ، مما سبب خصومات أدت الى فشل بناء الريف مبدئيا ، ولكن هذا الفشل لم يكن إلا خطوة مبدئية ، تلتها خطوات ناجحة .

المرحلة الاولى

بناء قرية عز الدين(١) :

جاء لبناء شرقي العاصي مجموعة أسر بقيادة الشيخ محمد بن الشيخ أحمد الحاج،بعد بناء سلمية بحوالي عشر سنوات،وبموافقة الأمير اسماعيل، منح متصرف حماة الشيخ محمد صلاحية إعمار منطقة عز الدين وأبي همامة

---

(١) روى هذه الحادثة السادة الشيخ ابراهيم الشيخ من (عقر زيتي) نقلا عن اخت الشيخ محمد (مؤمنة الشيخ) كما رواها السيد محمد خضر قاسم من (تل درة) وكتب جزءا منها الشيخ شهاب الحموي والشيخ علي عيدو في مخطوطيهما .

وغسيلة وسليم ، وعلى هذا الأساس ، اتخذ الشيخ محمد قرية عز الدين مركزا له ، ووفدت اليه تساعده في مشروع الإعمار الأسر التالية : آل خلوف وآل مني وآل عباس وآل داحول وآل لوند وآل سفر واستطاع الجمع الذي بلغ عدده أكثر من / ١٨٠ / نسمة ، أن يعمروا قرية عز الدين ، وامتد سلطانهم على المنطقة كلها ، واستمر بناؤهم يعلو ويتسع لمدة اثنتي عشرة سنة، ولماتوفي الأمير اسماعيل ، كانت عز الدين قد اكتملت بناء بمساعدة الأمير اسماعيل وحمايته ، نظرا لما قدمه والد الشيخ محمد الشيخ أحمد الحاج من مساعدات للأمير خلال فترة تشريده ، ولكن وفاة الأمير اسماعيل ، فجرت خلافا حاداً بين الشيخ محمد والأمير محمد ، لأن الشيخ لم يعترف للأمير محمد وريث الامير اسماعيل بالسلطة في حمايته له ، مما أوقع الخلاف بينهما ، وقامت بين الرجلين عدة خصومات ، وفي سنة ١٨٨٧ م ، وصلت أنباء هذه الخصومات الى بدو (الديرة) ومن ثم تسربت الى ذوي المطامع ، الذين اعتبروها فرصة سانحة إذ هاجم جماعة من البدو قرية عز الدين،محتجين أنهم يريدون (الخوة) التي يريدون فرضها على قرية عز الدين ، ولكن الشيخ ورجاله صدوا بقوة هجوم البدو الذين أعادوا هجومهم بأعداد أكبر يريدون أرزاق سكان قرية عز الدين وهي على البيادر ، ولما خرج سكان القرية ليقابلوهم سلاحا بسلاح استنجد البدو بقوات أخرى وتفاقم الوضع ، وبدأ هجوم البدو الناجح : فانبرى سكان عز الدين يقابلونهم قوة بقوة ، واستطاع الشيخ محمد أن يقتل عددا منهم وعلى رأسهم العقيد ، ليذهب البدو ويعودون مساء بهجوم أكبر ، وعندئذ أرسل سكان عز الدين الى سلمية من يستنجد لهم من اخوتهم فيها ولكن الأمير محمد منع خروج أي شخص بحجة أنه سيحل الموضوع بالحسنى ، ولما عاود البدو هجومهم بالاعداد الكبيرة . ولم يأت من سلمية أحد ، دخل الشيخ محمد على أخته وقال لها : « متى رأيت الجموع تكثر وتتقدم باتجاه القرية ، فانزلي هذه البئر واختفي فيها ، حتى لا تصبحي من السبايا » • وفعلا نزلت مؤمنة أخت الشيخ في البئر ، ولم تشهد ما جرى على مقربة منها ، ولم تفد نجدة السلميين المتأخرة ، فقد استطاعت جموع البدو

الكبيرة أن تدحر قوة المدافعين من سكان عز الدين ، وسقط بعض القتلى ، وكان منهم الشيخ محمد نفسه ومصطفى لوند وأحمد سفر وعلي خلوف ،ولما شاهد البدو قدوم بعض النجدة من سلمية هربوا عن عز الدين ، وتبين من القادمين من سلمية نخة من آل أبي قاسم وعبيدو والحاج ، ولما وصلوا كان كل شيء قد انتهى، لقد أحرقت عز الدين ، وهرب ساكنوها، فحمل السلميون، الشيخ محمد ميتا وعادوا بأخته الى سلمية ، حيث دفن الشيخ في المدفن الذي أقيم فوقه مبنى المجلس الأعلى اليوم ، وعادت أخته مع بعض الأسر الى الخوابي ، أما بقية أسر عز الدين أخذت ترحل عن القرية ، فقد جاء الى سلمية آل لوند وآل خلوف ، ولما لم يعطهم الامير محمد أرضا فقد رحلوا الى ريف سلمية ، ذهب آل لوند الى جدوعة فيما بعد وآل خلوف الى المفجر والى تل درة ، أما آل مني فقد عادوا الى عكار ، ثم رحلوا بعدها الى قرية تل درة، أما آل سفر ، فقد انقسموا شتاتا إذ كانت أسرتهم كبيرة ، فجاء سلمية أربع أسر توزعت في ريفها ، فسكن بعضهم قرية جدوعة والآخرون قرية المفجر وآخرون قرية الكافات وقرية تل درة ، أما البقية من آل سفر ، فقد رحلوا يسيرون مع مجرى نهر العاصي شمالا ، ولما وصلوا قرية (كازو) منعهم أهلها من السكنى ، فتابعوا مسيرتهم حتى وصلوا الى قرية خان شيخون فاستوطنوا فيها ، وهكذا فشل بناء قرية عز الدين ، وما يتبعها من عسيلة وأبي همامة ، حتى إذا جاءت بعض من قبائل النعيم ، قادمين من جنوب سورية ، استوطنوا عز الدين وبعضا من مناطقها ، بينما استوطن الشراكسة القادمين من القوقاز قرية أبي همامة وعسيلة ، وذلك بعد مقتل الشيخ محمد بحوالي / ٢٥ / سنة أما أسرة الشيخ محمد وأخته ، فقد رحلوا عائدين الى الخوابي ، وعن أخت الشيخ محمد أخذت هذه الأحداث نقلا •

بنـاء قريـة صـبورة(1) :

كان الأمير صبورة قريبا للأمير اسماعيل ومتزوجا من ابنته ، لذلك كان له عند الامير مكانة ، وعندما طلبت منه السماح له ببناء قرية ، قال الامير له بالحرف الواحد : « انتق أية بقعة وعمر فيها ما تشـاء » وأعجب الامير صبورة بمرج منطقة صبورة الآن ، وبالاخص أنه وجد قرب التل بقايا رسوم ومغائر ، تعود لدير مسيحي قديم ، وقد زاد تعلقه بالمنطقة ورقة المياه المتدفقة من العديد من الينابيع.كنبع الصافي والمياعيج والعديد غيرها وتربتها الخصبة، والمراعي الدائمة الخضرة ، اختار الأمير المكان المناسب ، وابتنى عدة قبـاب ، وسميت فيما بعد قرية صبورة نسبة لبانيها ، واستدعى الامير صبورة عـدة أسر لمشاركته السكنى ، فجاء آل حسنة وآل أبي حيدر ، ثم جاء آل الخطيب وآل المولي الذين وفدوا الى سلمية فلم ينالوا فيها أرضا •

كان المرج الاخضر جنوب صبـورة مجمعا للبـدو الذين ارتبطوا مع السلميين بالاخوة والصداقة ، لذلك أبدوا كل احترام للامير صبورة الـذي أوصى به حموه الامير اسماعيل كل شيوخ القبائل المجاورة على أنـه أعـز أقربائه ، وهكذا اتخذت صبورة طريقها للظهور ، ورأت النور بهمة الرجـال الأشداء الذين تكاتفوا وتعاونوا على أن يكون عام ١٨٦٢ عام بناء قرية صبورة•

تحلى الامير صبورة بصفات عالية وأخلاق سامية جعلت (بدو الديرة) يرتاحون اليه ، ويرجعون اليه لحل خلافاتهم المحلية، مما زاد من مكانته بينهم، وارتفعت منزلته حتى غدا سيد تلك المنطقة بجدارة ، وامتد نفوذه الى أرض المباعيج كما يسميها البدو ، والتـي هي اليوم قريـة المبعوجة ، وكذلك الى منطقة الصافي،وهي مكان قرية (عقارب) ، وكان الامير صبورة يأخذ عائدات

---

(1) روى احداث هذه القرية الامير محمد ملحـم والشيخ علي زهـرة والسيد محمد طنجور والسيد حمدو حمود والسيد خضر امـين ، كما اتفقت روايتهم على ما كتبه الشيخان شهاب الحموي وعلي عيدو في مخطوطيهما •

هذه المنطقة من البدو مقابل الرعي فيها ، إذ كانت تزدحم بهم خاصة في أيـام (التشاريق والتغاريب) مارين بتلك المنطقـة ، حتى اشتهر الاميـر صبورة بإكرامه للبدو بشكل رفع منزلته بينهم جميعا ، وغدا موسور الحال ، فابتنى العديد من القباب ، بالأسر الوافدة اليه ، تجد وتعمل في الزراعة والرعي معـا وجعل إحدى هذه القباب منزلا للأضياف (منزول) .

كان هذا في مدة السنوات الثمانية التي مضت على بناء قرية صبورة ، ولما توفي الامير اسماعيل شعر الامير صبورة بهزة عنيفة وفراغ كبير لفقدان عمه السند الاول له ، ولقد تبدل الوضع كاملا عندما تولى الامير محمد الذي بينه وبين الامير صبورة سوء تفاهم ، وقد ظهر ذلك من الايام الاولى للأمير محمد إذ اعتقد أن نفوذ الامير صبورة يحد من مكانته في سلمية ودوره فيها، لذلك شعر بدوافع غريبة تشده لوضع حد للأمير صبورة .

وبعد أكثر من سنة ، خرج الأمير محمد لحل بعض مشاكل البدو فـي موقع شمالي صبورة القرية بين قبائل الموالي الشماليين وبعض فصائل من قبائل عنزة أصدقائه ، وبعد انجاز الموضوع . عرج في طريقه على قريـة صبورة ، لزيارة أخته ، وهاله أنه لم يجد الامير صبورة فيها ، لأنه سافر الى جبـال البلعاس حتى يستحضر أخشاب البطم،وانتهز الأمير محمد الفرصة، فاصطحب أخته وأولادها (زوجة الامير صبورة) الى سلمية ، وترك للأمير وصـية أن يلحقهم الى سلمية لأمر هام .

وفي اليوم التالي حضر الامير صبورة من سفره ليجد داره خاوية ، لقد رحلت زوجته وأولادها من القرية ، ولما استفسر عن السبب قيل له : أن أخاها الأمير محمد اصطحبها الى سلمية وعليه أن يذهب اليهم لأمر هام .

فركب الأمير صبورة فرسه ويمم شطر سلمية ، ليرى الأمير محمد حانقا غاضبا يقول له بلغة الشدة « إن أردت زوجة وأولادا ، فعليك أن تترك القرية وتستوطن سلمية » ، لأن الامير محمد كان يخشى على أخته في هذه البريـة

الموحشة ، وحاول رجال الأمير اسماعيل اقناع الامير صبورة بالرضوخ لمشيئة الأمير محمد وكان ذلك الامر .

أما أراضي الامير صبورة ، فقد أدارتها أسرة جاءت من الجبال الغربية وعملت في الزراعة عند الأمير محمد من ثلاث سنوات وهذه الأسـرة هم آل السلموني ، أدارت هذه الاسرة أرض الامير صبورة ثم ملكتها مع الزمن .

كان لرحيل الأمير صبورة خيبة أمل بقية الاسر ، لأن بقاءها دون سند مستحيل ، بسبب مطامع البدو ، لذلك أخذت هذه الأسر ترحل هي الأخرى الواحدة تلو الأخرى ، وكلما فرغت قبة من ساكنيها ، كان آل السلموني يستقدمون بديلا عنها من الجبال ، حتى تم إفراغ صبورة من بناتها الأولين .

وهكذا انقضت هذه المرحلة دون نجاح إعمار ريف سلمية ، إذ تراجع الناس عن الريف الى سلمية أو الى المناطق التي قدموا منها .

المرحلة الثانية :

نجاح بناء قرية الكافات(١) عام ١٨٦٩ م :

تتجلى المرحلة الثانية ، بنجاح العديد من القرى ، إذ اعتمدت هذه القرى على طاقات بشرية كبيرة ، استطاعت بقوتها أن تستمر وتتسع ، وكل هذه القرى بقيت على علاقة وثيقة بسلمية المدينة ، إذ دخلت كلها ضمن اتفاقيات سلمية مع سائر القوى البدوية ، وأولى هذه القرية قرية الكافات .

كان للازدحام المتزايد في سلمية يوميا ، بسبب قدوم عشرات الأسر من

---

(١) روى أحدا ثبناء قرية الكافات السادة محمد خضر قاسم (تل درة) والامير محمد ملحم ومحمد طنجور (سلمية) والاستاذان ابراهيم ديوب واحمد حسن ديوب والسيد حسن موسى والسيد علي خضر حيدر (الكافات) .

عكار ، حصول تفجر في السكان بخروجهم خارج سلمية المدينة ، وجاءت الأسر العكارية مدفوعة بعاملين اثنين :

الأول : هو الاقطاع الذي رافق النظام العثماني ، وكان هذا الاقطاع لا ينفك عن ارهاق المزارعين بالاساليب البشعة ، مما أوقع هذه الأسر بضائقات مادية وصلت الى حد الفقر فالهجرة •

الثاني : هو الدولة العثمانية نفسها ، والتي أصبح عمالها لا ينفكون عن ارهاق المزارعين بالضرائب والسوق الى الجندية الإلزامية •

هذان السببان جعلا المزيد من الأسر تهاجر بشكل جماعي قاصدة سلمية التي هي أمل لهم جميعا •

كانت سلمية بالنسبة لسكان عكار بارقة أمل في الخلاص من الواقع المرير الذي يعانونه ، إذ لا تزال سلمية (بلدة الرغيف) والمعفاة من الضرائب والجندية ، وكأن نداء الهجرة الى سلمية أخذ دوره بشدة في جذب الأسر من كل حدب وصوب .

توضعت الأسر العكارية القادمة الى سلمية في إطار حول البناة الاوائل، من حيث السكنى والأرض ، لذلك كانت أراضيهم الزراعية بعيدة نسبيا عن سلمية ، مما جعلهم يتخوفون من سلامة انتاجها نظرا لصعوبة حمايتها من مواشي البدو ، كأرض منطقة المزيرعة والكريم والشيخ علي والسبيل والمرج وجديدة والمنطار •

كانت أسرة ديوب مؤتلفة من شقين هما ديوب وعباس ، وقد ترافقا في القدوم الى سلمية ، وسكنتا في الحي الغربي من المدينة ، بعد أن منحا أرضا بعيدة نسبيا ، عملا فيها لمدة عام كامل ، فلم يجنيا منها نتاجا وافرا ، فزهدا من مجيئهما الى سلمية ، ووافق أن وقعت مشاجرة بينهما وبين أحد الأمراء ، ورأيا أن بقاءهما في سلمية غدا صعبا بعد ذلك •

فحملا أمتعتهما على دوابهما واتجها غربا يريدان العودة الى موطنهما الأول عكار ، وكان يرافقهما ابن أختهما السيد محمد السلوم ، كان مسيرهم بعد الظهر ، فلما غابت الشمس ، كانوا قد وصلوا مكان قرية الكافات ،وكان المطر يهطل في يوم من أيام تشرين ، مما دفعهم الى أن يأووا الى مغارة شاهدوها في كنف المرتفع المقابل لهم ليدرؤوا عن أنفسهم المطر الغزير ومخاطر السير ليلا ، فاستصلحوا على عجل تلك المغارة ، وقضوا فيها ليلتهم جماعيا ، وعند الصباح ، كان المطر قد توقف ، فخرج أفراد الركب المسافر ليجدوا المنطقة التي هم فيها ، وقد زينتها أشعة الشمس المشرقة بهاء ، وزادها جمالا انسياب الماء بوفرة في الوادي ، واستطلعوا المكان ، فوجدوا عددا من المغائر والكهوف المليئة بالاعشاب ، فتدارس الجمع الى أين يعودون ؟ إإلى عكار حيث الارهاق والاضطهاد الاقطاعي ومظالم الدولة العثمانية ، فلماذا لا يبقون في هذه المنطقة ، وقد علموا أنهم في منتصف الطريق بين حماة وسلمية ، وأعجبهم خصب التربة وامكانيات ريها بالماء من النهر الدائم الجريان ، وبعد محاورة دارت بين أفراد الأسرتين ، كان القرار النهائي البقاء في الكهوف(١) ، فاستصلح آل ديوب المغارة التي سكنوها ليلتهم السابقة ، وساعدوا آل عباس ، فاستصلحوا مغارة ثانية كما استصلحوا مغارة ثالثة جعلوها اصطبلا لدوابهم ، ومن ثم بدأت الأسرتان العمل في الأرض المجاورة فلاحة وزراعة ، ثم عمد ديوب كبير الأسرتين الى دعوة أسرة ثالثة كانت قادمة لتوها من عكار الى سلمية ، وهذه الأسرة هي آل العرنجي الذين جاؤوا سلمية ولم يملكوا فيها فاستصحبهم ديوب

---

(١) لقد بحثنا نريد استقصاء عدد المغائر في الكافات فتبينا ان في دار سليم دياب مغارة ، وكذلك في دار عبدو سفر مغارة ، ومغارتان في دار شحود عباس ومغارة في دار احمد مصطفى عباس ، واخرى في دار صادق الشيخ يوسف ، ثم مغارة في دار عزو العرنجي ، وبعض هذه المغارات هدم والاخرى حولت كمصارف للمياه .

ليسكنوا مغارة رابعة ، بعد أن أعلم الأمير محمد بأنهم عمروا قرية غربي سلمية على طريق حماة ، وأنهم أعدوا له أرضا تكون عائداتها تدفع عادة للأمير محمد كاعتراف في إدارته ، وعندما أعلموا الأمير أنهم يسكنون كهوفا أطلق على هذه القرية ذات المغائر (كهفات) واشتهرت بهذا الاسم حيث خفف الى (كافات) ، وبدا أن انتاج أرض هذه القرية كان وفيرا ، مما جعل العديد من الأسر القادمة الى سلمية تأتي الى هذه القرية ، فجاءت تباعا أسر آل الشيخ يوسف ثم آل القصير وآل علوش وآل العكش ، وكل هذه الأسر أصلا من عكار ، فازداد عدد سكان قرية الكافات ، وزادت شهرتها كونها موقع استراحه الغادين والقادمين بين حماة وسلمية بشكل قوافل ، يحطون الرحال عند مائها العذب ، حيث يقضون فترة استراحة القافلة ،وأصبحت قرية الكافات معروفة إذ جاءها آل هرموش من الصوراني وآل محفوض وآل موسى ، ثم جاءتها أسرة آل سفر في أعقاب خراب قرية عز الدين ، فزاد سكان الكافات ، ولم تعد المغائر تستوعب العدد المتعاظم ، فأخذ السكان يبنون قبابا على السفح فوق المغائر ، ومن ثم جعلت هذه المغائر حظائر للدواب أو مستودعات للتبن ٠

وهكذا بدت قرية الكافات على السفح بالموقع الجميل حيث ينساب نهر تصريف مياه حوضة سلمية ، بشكل دائم ، تقوم على جانبيه الينابيع العذبة،وقد اشتهر من سكان الكافات السيد محمد السلوم الذي ذاع صيته إذ كان من الوافدين الأوائل ، والذي عمل على مطاردة قطاع الطرق الذين كثيرا ماكانوا يعطلون مسيرة القوافل بين سلمية وحماه ، فتصدى لهم ليطلق عليه اسم (حنشل) ، حتى صارت أسرته معروفة بهذا اللقب (آل حنشيل)٠

والحقيقة أن سكان الكافات رجال أشداء ومتحابون،وهاتان الصفتان جعلتهم ينجحون في بناء هذه القرية ، بالرغم مما اعترضهم من صعوبات سواء كانت من البيئة الجديدة أو من البدو،فكانوا يتخطون هذه الصعوبات بالصبر والبأس ، ولولا وحدتهم وتعاونهم لما استطاعوا أن يثبتوا في وجه

إعصار الهمجية التي كانت عادة سائدة بين قبائل البدو إبان التغارب والتشاريق.

هذا الثبات جعل قرية الكافات موئلا للأسر الوافدة ، فقد جاءها آل الحلو وآل الجاموس من شيزر ، وقد بقي آل الحلو بينما عاد آل الجاموس الى قريتهم السابقة ، وكان آخر أسر وفدت الى الكافات هما أسرتا آل التقسيسي وآل المرجاوي ، فالأولى من قرية تقسيس غربي نهر العاصي بينما الثانية من المريجة .

كان لنجاح قرية الكافات دوافع شجعت لإعمار العديد من القرى شرقي وشمالي سلمية .

التوسع في بناء ريف سلمية الشمالي

بناء قرية عقارب الصافي عام ١٨٧٣ م(١) :

لبناء قرية عقارب علاقة وثيقة بالمشاكل التي جرت في قرية شيزر في حوالي عام ١٨٧٣ م ، إذ قام آل كوجان الذين يملكون جزءا من أراضي قرية شيزر كإقطاع موهوب لهم من الدولة العثمانية أراد آل كوجان التوسع في تملك بقاع هي ملك لأسر شيزر القديمة ، وذلك بالضغط عليهم ، وكانت هذه الأسر تملك (زور شيزر) الأرض المروية ، والتي تقع غربي شيزر المدينة ، وقد أفلح آل كوجان باغتصاب الزور بمساعدة عسكر متصرف حماة ، وعندما أرسلهم المتصرف من حماة بحجة أنهم يهاجمون آل كوجان، فقام العسكر العثماني بطرد مجموعة أسر شيزرية ، لتغدو بعد ذلك بدون أرض ، وهكذا غدت أسرة علي ديب وحسن شاهين وآل قشمر وآل زيدان

---

(١) شارك في معلومات هذه القرية السادة : محمود سيفو وحسين حمادي سيفو (عقارب) ومحمد طنجور وشريف شاهين (سلمية) وعباس ضعون ومحمد ضعون (جدوعة) ومحمد خضر قاسم (تل درة) .

وآل صيوم وآل زينو وآل هيفوش دون أرض ، بعد أن انتزعت منهم ، واضطروا للرحيل عن شيزر مكرهين ، كان صوت سلمية يدوي في أرجاء بلاد الشام يستدعى المظلومين الهاربين من الجندية والضرائب والفقر •

بتلك المغريات ، وضرورات الحياة ، سعت هذه الأسر بركابها الى سلمية ، مارة بحماة ، وفي سلمية التقت جموع هذه الأسر بأسرة آل الحرك القادمة من مصياف على رأسها محمود الحرك وأخوه سليم وأسرة آل سيفو، تجمعت هذه الأسر ، وطلبت من الأمير محمد أرضا تعمل فيها ، فأشار عليهم أن يعمروا قرية صبورة بعد هجرة من كان فيها ، ولبت هذه الأسر رغبة الأمير ، واتجهت عبر هضبة المنطار بين مضارب البدو يسترشدون منهم على موقع قرية صبورة ، ولاقت هذه الأسر الزاحفة شرقا من يرشدها ويعرفها بالمنطقة كلها ، ولما وصلوا قرية صبورة شاهدوا أرضا شبه مرزغية ، وهم الذين اعتادوا الزراعة المروية (البستنة) • فلم تعجبهم قرية صبورة ، وأخذوا يفتشون عن أرض تلائمهم ، وأعجبوا بالسهل المرع الفسيح ، وأشار بعض البدو عليهم أن يقصدوا نبع الصافي وساروا اليه ليجدوا نبع قناة تنساب تائهة بمياهها الغزيرة ، وكأنهم لاقوا ضالتهم فحطوا الرحال قرب تل مرتفع اصطناعي يشرف على السهل من جوانبه ، وكان بجوار التل آثار ورسوم خربة ، فاستفادوا من حجارة هذه الخربة ، وابتنوا لهم من حول التل عدة قباب ، فابتنى آل قشمر غربي التل ، بينما ابتنى آل سيفو جنوبه أما آل ديب فابتنوا بيوتهم شمالي التل وتحومت القباب الجديدة حول التل ، وكانوا كلما رفعوا حجرا وجدوا تحته المزيد من العقارب، مما دعاهم لتسمية التل (تل عقارب الصافي) ، وقد غدت هذه التسمية مع الزمن اسم القرية الناشئة،والتي اشتهرت باسم (عقارب الصافي)،وبعد حوالي ثلاث سنوات، وفد الى عقارب آل القطلبي وآل عيد من سلمية ، وبعد عشر سنوات في حوالي ١٨٨٣ ، لحق بالأسر الشيزرية أسرة سليمان غيبور ، بعد أن طرد هو الآخر من شيزر ، وكان سليمان غيبور من وجهاء شيزر ويسكن قصر القلعة

(قصر بني منقذ) ، فلما جاء الى عقارب ، أشار عليه رفاقــه الشيزريون أن يسكن أعلى التل ، فابتنى له دارا على سفح التل الجنوبي ، وهكذا بدأت قرية عقارب تتوسع بسكانها الأقوياء الأشداء الوافدين اليها من مصــياف والقدموس وسلمية ، غدا الطلب ملحا على حجارة البناء مما اضطرهم الــى سحب حجارة قرية أثرية تقع غربي قرية عقارب بمسافة / ٢ / كم ، ولقد شاهدنا العديد من حجارة هذه القرية البيزنطية الأصل ، وآثار المنحوتــات لا تزال عليها ، ومن جملة ما رأينا حجارة كنيسة القرية الأثرية ، وحتى جرن المعمدانية الموجود بدار السيد محمود سيفو ، وكذلك العديد من العتبــات وتيجان الأعمدة وأعمدة مكسرة بما تحتويه هذه الحجارة من منحوتات دينية على شكل صلبان وآثار نباتية كأوراق العنب وسعف النخيل،كجميع الآثار المتناثرة في حوضة سلمية .

ولقد دلت الدراسات الأثرية ، أن منطقة سلمية ، وعلى الأخص منطقة عقارب الصافي بكامل الهضبة الممتدةمن المنطار غربا وحتى مشارف تل التوت والمفجر جنوبا ، وحتى قرية الشيخ هلال شرقا ،وأما امتدادها شمالا فهو من العمق وما يوصلها الى بطاح الأندرين وقصر ابن دوران ، كل هذه المنطقــة مليئة وزاخرة بالآثار الرومانية والبيزنطية،وفيها بقايا أبنية من طابق وطابقين، كما في بقايا قصــر الزبيب والحمر ، والمزيد من الآثار الحضــارية كمعاصر الزبيب والزيتون ، مما يدل على تقدم هذه المنطقة الحضــاري ، قبــل غزو كسرى أبرويز لها قبيل الفتح الاسلامي لبلاد الشام .

كان الوافدون الى قرية عقارب مزارعين مهرة تمرسوا في زراعة الأرض المروية ، فسرعان ماستفادوا من القناة الرومانية المدثورة ، فجددوا حفرهــا وأسالوا مياهها عبر السهل الفسيح الذي حولوه بجهدهم الى بستان يانــع الثمار ، وظهرت قرية عقارب ، قرية زراعية نامية متطورة في تلك المنطقة ، وجذبت اليها بشهرتها العديد من الأسر من مصياف كآل الحلو وآل عثمان وآل طهور وآل شاليش وآل قاسم وآل زريق ، ومن القدموس كآل الريشه

وآل المعمار وآل الحساس ومن الشيخ بدر كآل الخدام ومن الصوراني كآل زريقي • وبعض الأسر الأخرى من شيزر كآل حديد الذين انقرضوا ، ولم يبق منهم أحد وآل سعد الذين قدموا من حماة ، وكانوا قبل في الخوابي وآل عفوف الذين جاؤوا من شمالي القدموس ، كما جاء من عكار آل الشاطر ،ومن ثم جاء آل ملحم عروس من قرية تيرمعلة وآل وطفة من جنوب القدموس ، وازدحمت القرية بالساكنين الجدد ، واتسعت رقعتها الزراعية حتى غدت تماثل في الاتساع أرض سلمية الزراعية •

وبعد إعمار قرية عقارب بحوالي خمس عشرة سنة ، ابتنى سكان القرية جامعا نحتيت على عتبته عدة كتابا تتضمن أسم السلطان العثماني عبد الحميد وشعاره ، ولا تزال القرية آخذة في الاتساع والعمران بمزيد من التقدم والتطور •

بناء قرية جدوعة عام ١٨٨٨(١) م

نظرا لفشل بناء قرية صبورة الأول وانسحاب سكانها الأوائل منها ، فقد خافت الدولة العثمانية من امتداد الفشل الى مدينة سلمية نفسها ،وبذلك تفشل خطة الدولة في اعمار شرقي نهر العاصي ، لذا طلب متصرف حماة من الباب العالي السماح له بالمشاركة في إعمار منطقة سلمية ، وجاءته الموافقة على مساعدة الأسر المهاجرة ، ببناء مساكن لها ، وعلى هذا الأساس شرعت الدولة العثمانية اعتبارا من عام ١٨٨٨ م ببناء مجموعات من القباب على نسقين في كل من صبورة وجدوعة ، وسميت هذه المجموعات (القبب السلطانية) ، ونجحت مساعي الدولة في إسكان بعض الأسر في (رسم المجدوعة) وهذه الأسر هي أسرتان من حماة ، وهما آل نوير وآل حلوم من

(١) شارك في معلومات هذه القرية السادة محمد ضعون وعباس ضعون (جدوعة) وشريف شاهين ومحمد طنجور (سلمية) ومحمود سيفو وحسين حمادي سيفو (عقارب) ومحمد خضر قاسم (تل درة) .

عشيرة السخانة ، ثم أسرة آل الصيني القادمة من الجبل الغربي ، والتي استدعت بدورها أسرة من أقربائها هي آل مهنا ، وسكن الجميع في القبب السلطانية في جدوعة ، كما وفد الى صبورة عدد من الاسر من أقرباء آل السلموني ، وسكن الجميع القباب السلطانية في صبورة .

ووقعت مشاجرة في مدينة سلمية بين آل رستم وبعض من جيرانهم ، مما اضطر آل رستم الى الرحيل عن سلمية ورافقهم عدة أسر من آل مقداد وآل وردة وآل رزوق ، فسكنت هذه المجموعة في النسق الثاني من القبب السلطانية في رسم المجدوعة ، ولكن آل نوير وآل حلوم شعروا بعجزهم عن الاستمرار في حياة الريف ، وهم الذين ألفوا حياة المدن الوادعة ، فقد لاقوا من الوحشة والاضطراب في تواجدهم في الريف ما جعلهم يؤثرون العودة الى حماة ، وكان لرحيل هاتين الأسرتين ما دفع آل مهنا وآل الصيني الرحيل أيضا ، بينما استمر السلميون مجبرين مدة أطول ، حتى بلغت مدة بقائهم سبع سنوات ، ولما تمت المصالحة بين الأسر المتشاجرة في سلمية ، عاد آل رستم الى أراضيهم ومنازلهم في سلمية وجعلوا أرضهم في جدوعة باستلام فلاحين قادمين الى صبورة ، ولكن أسرا من جديدة ، جاءت سلمية فشجعها وجود القباب الى الرحيل الى جدوعة والاستيطان فيها ، والعمل في أرضها المستصلحة ، وكانت هذه الدفعة من الأسر التالية ، آل زينو من الخوابي وآل حواط من دوير طه وآل هاشم وآل السيد ،خربة القَرس من وآل الفارس وآل شاهين من مصياف ، وأسعد خضور من الخوابي وآل عبد الله من الصوراني وآل الحركة من المحوطة ، ثم جاء بعدهم بعام آل ضعون من فندارة مصياف ، وفي عام ١٨٩٨ م كانت جدوعة قد أخذت شكلها كقرية في الجانب الغربي من السهل الخصيب ، تطل عليه من فوق المرتفعات الغربية ، وفي العام نفسه وفد الى جدوعة آل سفر بعد خراب قرية عز الدين وتشريدهم في مناطق عديدة من ريف سلمية ، وتبعهم آل سيفو من سلمية .

ولقرية جدوعة موقع استراتيجي ، كونها تقع على ملتقى الطرق الواصلة

بين قرى صبورة وعقارب وسلمية ، ولذلك أخذت تشتهر بهذا الموقع الى جانب خصبها ، وبالأخص بعد أن تم استصلاح ثلاث قنوات قديمة ، سالت مياهها لتروي سهول القرية الشمالية والغربية والشرقية ، وعندما مسحت مصلحة المساحة، جعلت أراضي جدوعة عدداً من الأقسام ، فانشق بعض من سكانها ورحلوا ليبنوا قرب أراضيهم التي كانت نائية عنهم وسميت قريتهم (الصالحية) •

اشتهرت جدوعة بخصب تربتها ووفرة زراعتها من كروم وأشجار مثمرة ، لذلك كانت ترفدها الاسر متتابعة ، بعد انقضاء القرن التاسع عشر ، فقد وفدها في مطلع القرن العشرين مجموعة أسر من مناطق متباينة كآل الحاج حسين قادمين من الحولة وآل لوند قادمين من كيّلون ، وآل الخبازة قادمين من شمالي سورية ، وقد رحلت أسرة آل الخطيب من قرية صبورة لبعد مواقع أراضيها الزراعية والقريبة من جدوعة ، فاستوطنوا قرب أراضيهم في جدوعة •

ثم جاء من القدموس عدد من الأسر وهم آل سلهب وآل داوود وآل الصالح ، ولكن هذا لايمنع من أن تغادر جدوعة عدد من الأسر الذين وفدوا قديما من سلمية ، وهم آل رستم وآل مقداد وآل وردة وآل رزوق، ورغم ذلك استمرت جدوعة في الاتساع ، حتى غدت قرية عامرة تطاول مثيلاتها من قرى المنطقة •

بناء قرية سعن الشجرة ١٨٨٣(١) :

كان لنجاح واستمرار قرى صبورة وعقارب وجدوعة الأثر الأكبر في دفع المزيد من الأسر الوافدة من (بلاد الغرب) الى الاغراق في سيرهم شرقا

---

(١) شارك في معلومات قريتي السعن والشيخ هلال : السادة احمد علي عيدو ومحمد نايف عيدو وابو حيدر خضور (السعن) وحسن خضر حويجه (الشيخ هلال) ومحمد حويجه (المفجر) ومحمد طنجور (سلمية) ومحمد خضر قاسم (تل درة) والاستاذ شامان وسوف (السعن) .

بحثا عن الماء الجاري ، والأرض الخصبة الزراعية ، وبالأخص بعد أن قامت المؤاخاة بين القبائل البدوية والسلميين على حفظ حياتهم وصيانة أرزاقهم ، على هذا الأساس جاء السيدحسنوسوف وأقرباؤه منأبناء عمومته واخوته وسكنوا خربة (سعن الشجرة) ، والمعروفة بمائها العذب المنساب نهرا صغيرا يسيل عبر فسحة من الأرض الخصبة ، حيث تؤم هذا النهر العديد من قطعان الأغنام لمجموعات من القبائل •

ابتنى حسن وسوف مع أقربائه عددا من القباب ، وكان هذا أول مظاهر العمران لقرية السعن ، واستمر آل وسوف مقيمين مدة سنتين ، لكنهم شعروا بالغربة والوحدة لبعدهم عن سلمية ، عدا عن الصعوبات التي واجهتهم رغم قلتهم في استصلاح الارض التي تستدعي أعدادا أكبر وجهدا أضخم ، وزاد هذه الصعوبات ظروف الأمن غير المستتب ، والتي مبعثها البدو أنفسهم الذين لاينفكون عن الحرب والغزو ، مما يحيل الديار بأكملها الى منطقة خطيرة غير آمنة ليلا ونهارا •

وفي السنة الثانية لمقدم هذه الدفعة ، اجتا ح منطقة السعن غزو وحروب ، دارت بين قبائل عنزة والموالي ، وغدا سكان السعن على قلتهم في مثل هذه الحالة ، في وضع حرج غير آمن ، لاسيما وأن الحرب طال أمدها لمدة زادت على أربعة أشهر ، فما كان من حسن وسوف وأقربائه ، الا أن يهجروا الديار تاركين القباب خاوية فارغة ، وعادوا الى سلمية عام ١٨٨٥ م •

وبعد ذلك بسنتين زالت ظروف الحرب ، فاندفع مهاجر مخاطر هو علي أبو حبله الذي استوطن السعن بعد أن جاءها ، ووجد عددا من القباب الجاهزة فاستصلحها ، وعلى مدى أربعة أعوام ، كان لا يفتر عن التنقل بين سلمية والسعن ، حتى أطل عام ١٨٩١ م ، جاء مع أبي حبلة ثلاث أسر من القدموس هي على التوالي آل خضور وآل الحسين وآل درويش ، جعلت هذه الأسر حياة القرية الجديدة ممكنة ومستقرة ، وأصبح السيد علي أبو حبلة مشهورا بين ساكني السعن ، على أنه مختار القرية ، وهو المسؤول عن أحوال

ساكنيها ، وهذا ماشجع العديد من الأسر أن تفد الى السعن بشكل متوالي كأسر آل يوسف ورد وآل أبي حمدو وآل الملا وآل مصطفى زينو وآل حسن عبظو وآل الشيخ خضر وآل البطيحي وآل مصطفى كلثوم وآل علي عبدو ، جاءت هذه الأسر من مناطق متباينة ولكنها أصلا من مصياف والخوابي والقدموس •

غدت السعن بعد ذلك زاخرة بالسكان ، فقد اتسعت رقعة البناء فيها ، واتخذت شكل قرية تجثم على حدود البادية ، ينساب عند أقدامها نهر صغير استطاعت الجهود المتكاتفة أن توزعه في الأراضي السهلية الخصيبة ، فاستحالت قرية السعن جنة خضراء صيفا وشتاء ، وأخذت ألسنة الناس تضفي على صفاتها العديد من المظاهر الشيقة ، والتي شجعت العديد من الناس أن يطرقوا الدروب للسكنى فيها مؤثرينها على سواها من القرى ، برغم البعد عن سلمية •

ففي مطلع عام ١٨٩٣ م وفد الى السعن مجموعة أسر هي آل ماغوط وآل غالي وآل الشمالي وآل الصطوف وآل شحادة وآل مقداد ، وبعض هذه الأسر قادمة من سلمية والاخرى من المناطق الغربية ، غدت قرية السعن بهذه الجموع المتزايدة مجالا مقصودا ليس للزراعة فحسب بل للتجارة ، فقد تعددت فيها المتاجر ، وأخذت وفود البدو تقصدها طمعا للبيع والشراء ، بما تملك لتوفير مشقات السفر للوصول الى المدن الحواضر ، فتحسنت أحوال القرية وازدادت الحياة فيها متعة ، وأصبحت قرية السعن من مشاهير القرى في منطقة سلمية ، بالوقت الذي غدت جموع البدو بقبائلهم المتعددة ، تنظر الى سكان قرية السعن نظرة احترام مقترن بالهيبة لشدة بأس ساكنيها ، فقد عمد البدو عدم الإساءة لسكان السعن مهما كانت الاسباب ، عدا عن المرونة التي تحلوا بها ما أكسبهم أصدقاء لهم بين جموع القبائل المتخاصمة من عنزة وبني خالد والحديدين والموالي •

انتشرت الزراعة في السعن بشكلين بارزين ، زراعة مروية وزراعة بعلية ،

وغدت الزراعة المروية تجعل الحياة العملية أكثر رسوخا ، إذ استحالت البقعة المحيطة بالقرية خضراء تتسع شيئا فشيئا بالكروم والمزروعات الصيفية من خضار وفواكه ، وما جذب اليها المزيد من الأسر وفودا يتوسع المجال المعمور ، وتغدو القرية في اتساع دائم •

وفي عام ١٩٠١ جاء الى السعن عدة أسر أخرى منها أسرة آل وطفة وأسرتان من آل نصر وهكذا لم تنقطع الوفود الزاحفة الى السعن ، حتى غدت قرية عامرة متعاظمة في بنائها رغم حداثة عهدها ••

مرت ظروف الحرب العالمية الاولى ، والسعن ثابتة رغم الظروف الصعبة والأحوال السيئة ، ولما أطل عام ١٩٢٠ م دخلت القوات الفرنسية سورية ، وحتى توطد سلطانها بين القبائل البدوية قررت أن تقيم في السعن مركزا عسكريا لها ، كان هذا المركز ذا سلطة بين البدو المتصارعين مما جعل قرية السعن تقفز الى مركز متحضر ذي مكانة ، فكثر الوافدون الى هذا المركز ، وأصبحت قرية السعن المكان الذي تحل فيه مشاكل وخصومات البدو ، وفي عام ١٩٣٠ م اتخذ دار مصطفى الآغا مخفرا للشرطة ، واستمر كذلك مدة خمس سنوات ، إذ تقدمت السعن على جميع القرى في منطقة سلمية ، وأصبحت مركز ناحية ، وكان أول مدير ناحية هو السيد سعيد شركس الذي ابتنى للناحية دارا ، وبذلك أصبحت السعن أول ناحية في منطقة سلمية ، وهناك العديد من المشاريع التي تصل طرفي سوريا غربا وشرقا، فإذا ما أنجزت مشاريع الطرق بين الجزيرة الشرقية وأواسط البلاد السورية سيكون للسعن أهمية كبرى من حيث الاتصالات عبر بادية الشام •

بنـاء قريـة المبعـوجـة (١) ١٨٩٨ ـ ١٩٠٢ م :

الاسم الذي كانت تعرف به قرية المبعوجـة قبل اعمارهـا هو أرض (المباعيج) ، وهذه التسمية دلالة على غزارة الماء ووفرته ، وقد حدثنا بعض المحدثـين أن الانسـان قادر على أن يحصـل على الماء إذا (بعج) الارض ولـو بعصـاه •

أول من بنى أرض المباعيج (المبعوجة) هم جماعة من سـكان قريـة صبورة ، ولكنهم لم يستطيعوا الاستمرار فيها أكثر من ثلاث سنوات ،لأنها بموقعها شرقي السهل الفسيح ، تقوم على الممر الطبيعي لقطعان الماشـية ، والتي كانت عادة تأتي من الشرق ، حيث المراعي الخصبـة طلبا للماء ، مما تسبب العديد من المشاكل مع أصحاب هذه الماشية ، إذ كانت جموع البدو تعيث فسادا في مزروعات سكان المبعوجة ، والذين ليس باستطاعتهم لقلتهم مجابهة البدو الكثيرين وأذاهم ، لذلك آثر سكان المبعوجة الأوائل الرحيل الى قريتهم الاصلية صـبورة تاركين منازلهـم وحقولهم بعد ثلاث سنوات مـن اقـامتهـم •

وصادف أن وقعت أحداث القدموس بين المتخاصمين من أمراء وفلاحين، مما اضطر بعض الأسر المغلوبة على أمرها أن ترحل ، وتؤم مدينة سلمية ، ولم تسكن في المدينة ، إذ تابعوا سيرهم الى قرية عقارب ، فشجعهم سكانها أن يعمروا قرية المبعوجة ، واستعدوا لمناصرتهم بعد أن شرحوا لهم خصبها ووفرة مائها ، وأمام هذه المغريات اتجه الى المبعوجة الأسر التالية آل طـه

(١) شارك في معلومات هذه القرية السادة محمود سيفو وحسين حمادي سيفو (عقارب) ومحمد ضعون وعباس ضعون (جدوعة) ومحمد طنجور وشريف شاهين (سلمية) محمد خضر قاسم (تل درة) .

وآل عطفة وآل الحاج يوسف وبعض من آل المعمار ، فاستقروا فيها وجابهوا برجولة وشجاعة مشاكل البدو ، واستطاعوا بمساعدة اخوانهم في عقارب والتصدي لكل الاخطار ، مما شجع العديد من الأسر الاخرى ، أن تؤم المبعوجة للسكنى بعد سنتين ، وكان أول من عاد اليها من هجرها قبل سنوات أي بناتها الأول ، فكبر حجم القرية وقوي شأنها بتعاون ساكنيها وبجهدهم ، استصلحوا الارض وأسالوا المياه ، حتى غدت المبعوجة مثلا للخصب في حوضة سلمية ، فكثرت كرومها وبساتينها ، وانحسر إيذاء البدو عنها . فأخذت تشق طريقها بالمزيد من الوافدين لإعمارها ونشر الخصب في ربوعها .

بناء قرية العلباوي ١٩٢٢ - ١٩٢٧(١) :

العلباوي رسوم قرية قديمة يعرفها البدو باسم (قني العلباوي) ، والعلباوي بدوي من قبيلة التركي ، عاش فترة قرب التل المجاور للقرية ، ولما مات دفن قرب التل ، والذي أطلق عليه (تل العلباوي) ، ومن دراسة الرسوم العديدة المتناثرة في المنطقة ، تأكدنا من عودتها الى العهد البيزنطي لتوفر الآثار المسيحية المنحوتة على العديد من الحجارة من أنواع للصلبان .

يخترق أرض العلباوي مسيل ماء ، تنفذ فيه قناة رومانية قديمة ، ومن هنا لفظ البدو اسم العلباوي مقترنا باسم (قني) في قولهم (قني العلباوي)، جذبت هذه القناة البدو كمورد للمواشي ، وشاهد هذه الرسوم السيد اسماعيل الفيل الذي كان ينتقل بين سلمية والسعن ، وأعجب بالموقع

---

(١) شارك في معلومات هذه القرية السادة محمود سيفو ومحمد حمادي سيفو (عقارب) وعباس ضعون (جدوعة) وحسن حويجة (الشيخ هلال) الامير محمد ملحم ومحمد طنجور (سلمية) ومحمد خضر قاسم ومحمد حافظ العيزوقي (تل درة) ومحمد حويجة (المفجر الغربي) .

والارض ، وقرر الاستيطان في هذه المنطقة وفي عام ١٩٢٢ م ، واستفاد من حجارة الخربة المجاورة ، فبنى قبة ، وبنفس العام وافته أسرتا أحمد السنكري ومحمد عفارة قادمتين من سلمية ، وتضافرت جهود هذه الأسر الثلاث على استصلاح القناة واسالة مائها ، واستطاعوا بعد عمل ستة أشهر متواصلة ، أن يسيلوا مياه القناة الغزيرة في بطاح سهل العلباوي ، وعندما اشتهرت العلباوي وقناتها ، وفد اليها من سلمية حسين الآغا ومحمد الدبيات وعلي عوض نصرة ، وعابدين القطلبي مستصحبين أسرهم ، فقد وفرت الايدي العاملة أكثر فعالية ، وفي أواخر عام ١٩٢٣ م جاء العلباوي أسرة آل سلهب، ولما تكاثر سكان القرية ، وأخذ كل منهم يحاول البناء ، عمد حسين بن اسماعيل الفيل الى تخطيط القرية تخطيطا هندسيا ، إذ جعل الشوارع فيها متعامدة ومستقيمة شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، بحيث يشكل تقاطع هذه الشوارع مربعات هي المساكن للاسر الوافدة ، حتى غدا لكل أسرة مربع ، وهكذا ظهرت قرية العلباوي متميزة عن جميع القرى في منطقة سلمية بأنها القرية الوحيدة المنظمة بشكل هندسي بديع ، مما يدل على الذوق المرهف والاحساس الجمالي ، وتزايد الاقبال على القرية ، فوفد اليها بعد سنتين أسرتا محمد الساروت وعلي عورو من سلمية كما جاءها من الخوابي أسرة علي السيد ، ثم جاءت بعد فترة أسرتا عبد الله كلثوم واسماعيل عوض بربور قادمتين من سلمية •

وأخذت قرية العلباوي الشكل الحالي ، ولم تعد القناة تكفي الارض المستصلحة المتزايدة ، فعمل المواطنون على شق قناتين جديدتين كانتا مدثورتين لأنهما قديمتان،وأسيلت مياههما في سهول حول القرية ، مشاجع المزيد من الأسر للاستيطان فيها ، فوفدت أسرة حسين رحمة قادمة من تل درة وأسرة مصطفى الزير قادمة من الكافات ، وكذلك أسرة حسين الاطرش قادمة من الخوابي ، ورحلت بعد ذلك أسرتان من آل النجار قادمتين للعمل في النجارة ، ومن ثم استوطنت العلباوي اسرتان بدويتان من قبائل الموالي ، ولكنهما لم يطل استيطانهما فرحلتا بعد مدة ، وتعتبر أسرة حافظ العيزوقي

آخر أسرة استوطنت العلباوي قادمة من تل درة ليعمل رب هذه الأسر كبيطار فيها •

كانت الاسر القادمة الى قرية العلباوي ، تحتاج للبناء ، فكان السكان يفتشون عن الخرب العديدة فيسحبون حجارتها ، ولا يكلفون أنفسهم صعوبة اقتلاع الحجارة ، مما أتى نهائيا على العديد من الخرب، والتي كانت كلها آثارا بيزنطية ورومانية ، وأشهر هذه الخرب قرية (أم حارتين)القائمة على طرفي المسيل المائي ، وقد اكتشفت أخيرا في هذه الخربة آثار كنيسة بيزنطية راقية ، تدل أرضية الكنيسة المزخرفة على التقدم الذي كانت عليه هذه القرية الأثرية ، كما تدل الآثار الباقية على بقايا قصر وأبنية ذات حجارة كلسية بيضاء ، كما تناثرت فيها بقايا أعمدة وتيجان تعود كلها لعصر ازدهار منطقة سلمية في العهود البيزنطية •

ومن دراسة منطقة العلباوي ، نستدل أن هذه المنطقة كانت عامرة بالقرى ذات العمران المتطور ، إذ تدل على ذلك الحجارة المنحوتة والمزخرفة ذات النقوش العديدة ، على مدى ما كانت عليه هذه المنطقة من التقدم العمراني،حتى لقد كثرت آثار القرى ، وكأنها ما يشبه (الفيلات) العصرية، ففي جنوب العلباوي اليوم توجد رسوم قرية (السودة) على بعد حوالي / ٤٠٠ / م وتحتوي هذه الخربة على بقايا جدران دارسة وقبور ، وتقع شرقيها خربة (التويم) ، والتي تجاور تلا باسمها من التلال الأثرية المتواجدة في منطقة سلمية ، ويقع جنوب التويم خربة تجاور تل العلباوي ، لذلك أطلق عليها الأهلون اسم (خربة تل العلباوي) ، وقد ابتنى بعض أفراد قبيلة التركي قرية بقربها وسحبوا أكثر حجارتها •

كان لبناء قرية العلباوي ، ونجاح هذه القرية ما دفع العديد من الاسر أن تستوطن تلك المنطقة ، والتي كانت قبلا مقفرة موحشة ، فاستحالت بوجود قرية العلباوي الى قرى متناثرة أشبه ما تكون بالمزارع الصغيرة ، وأشهرها اطلاقا قرية (تقيلة) السلامنة و (تقيلة) التدامرة ، ويسكن الاولى أسرتان

هما في الأصل من عقارب وهما آل غيبور وآل الحلو ، كما يسكن الثانية عدد من الاسر ذات الأصل التدمري ، كما يبدو ذلك من اسمها ، وتناثرت حول العلباوي العديد من القرى الصغيرة من أمثال (رسم الحراب) و (حسو التدامرة) وسكانهما من البدو كما ملك السلميون قرية (العمية) وهي لأمراء سلمية ..

أما شرقي العلباوي فتقوم قرية بارزة ، جاء معظم سكانها من قرية صبورة ، وهذه القرية هي (أبو حقفة) ، ومعروف اسمها بين البدو (بجب الجملان) نسبة لبدو الجملان .

وقد دلت الدراسة أن في أرض العلباوي ، وما حولها ثلاث أقنية قديمة رومانية الأصل ، وقناة واحدة احتفرت حديثا ، وهي التي شارك آل الفيل في شقها بمساعدة سكان العلباوي جميعا .

ورغم ما اعترى منطقة العلباوي، وكل المناطق المحيطة بسلمية من جفاف، فلا تزال العلباوي عامرة يصارع أهلوها الجفاف بجهدهم ودأبهم وتمسكهم بالأرض التي وهبوها المزيد من العمل في استنباط المياه الجوفية بالآبار والمحركات المائية .

بناء قرية الشيخ هلال ١٩٣٥(١) :

خربة الشيخ هلال ذات دور هام في المواصلات بين طرفي الهلال الخصيب قديما لوقوعها على الطريق التجارية التقليدية بين طرفي بادية الشام ، لأن الطريق القادمةمن الشرق تمر منها الى الغرب،لتصل وادي الفرات بالشواطيء البحرية الشامية .

كما أنها لعبت دورا كبيرا في الحركة الديرية في منطقة سلمية ، وتدل

---

(١)شارك في معلومات هذه القرية السادة المذكورون في حاشية (قرية السعن)

على ذلك بقايا رسوم الدير الذي يسميه العامة (القلعة) ، والتي تقع شرقي القرية وتتضمن بقايا عمرانية لكنيسة ومنازل ديرية وآثار مسيحية أخرى ، ورغم ما لاقت هذه المراكز من تهديم إبان الغزو الفارسي وتخريبه جميع المعالم المسيحية إذاك ، فقد لاقى دير الشيخ هلال نفس المصير ، ومع ذلك ، فلا يزال بوضوح رسوم الكنيسة والمذبح وزوايا الرهبان وحجراتهم •

أما تسمية هذه القرية باسم (الشيخ هلال) ، فإنه يعود لوجود آثار قبر لأحد شيوخ البدو المسمى (هلال) ، وكان لنجاح بناء قرية العلباوي تشجيع لبعض سكان قرية المفجر الشرقي والغربي معا لتملك أراض جديدة في منطقة الشيخ هلال ، ويحدثنا السيد حسن خضر حويجة عن بناء هذه القرية فيقول : « كنا خمس أسر نحن آل حويجة وآل زيدان وآل أبي حلاوة وآل الشعار الذين كانوا أسرتين ، عندما رحلنا عن المفجر عام ١٩٣٥ ، ، واستملكنا أرضا غربي المبنى المعروف اليوم ، وابتنينا متعاونين لكل أسرة قبة سحبنا حجارتها من (القلعة) التي تقع بالقرب من المكان الذي اخترناه ، كانت أرض الشيخ هلال خصبة ، تسيل فيها عدة ينابيع ، وكان سبب رحيلنا عن المفجر هو اكتظاظ القريتين بأعداد كبيرة من السكان ، مما ضيق المساحة المزروعة ، وجذبتنا أرض الشيخ هلال بمائها وخصبها والأمن المستتب فيها لقربها من قرية السعن والمركز العسكري فيها •• » .

وبعد عام من بناء القرية رحل اليها أسرة آل السلوم ، واشتهرت قرية الشيخ هلال كونها تجمع في حياتها الزراعة والرعي في آن واحد ، مما شجع العديد من الأسر العاملة على تربية المواشي • والاسر التي استوطنت الشيخ هلال هي أسرة بدر حيدر وأسرة حيدر شحادة وآل الشعار وهم بقية الأسرة الاولى وآل فهد وكلها قدمت من قرية المفجر ، أما من سلمية ، فقد جاءت أسرة آل سلهب وآل زريق وآل عبدو القادمة من شيزر وآل ديوب من الصوراني ، وبعد ذلك بأشهر جاءت من سلمية أسرة القصير ثم لحقتها من عقارب أسرتا آل مريم وآل الريس ، وفي السنة التالية جاء قرية الشيخ هلال

مجموعة أسر من مناطق متفرقة ، فمن الكافات جاءت أسرة عبد المصطفى ومن تل درة جاءت أسرة تقلا ومن السعن أسرة آل الملا ثم جاءت من الكافات أسرة آل سعد وآل حربة من القدموس .

هكذا توسعت قرية الشيخ هلال ، واتسعت رقعة الارض الزراعية ، واستطاعت أن تستوعب العديد من الأسر الوافدة كآل العلي من قرية المريجة وآل السلوم وآل الرمضان وهما من الشعارنة ، وتعايشت هذه الأسر مجتمعة لتجعل من هذه القرية الحديثة راسخة البنيان ، ولا يزال رجالها الأشداء يصارعون صعوبات الحياة ، مما شجع العديد من البدو أن يستوطنوا قرى حولها ، فزادت رقعة العمران في منطقة الشيخ هلال ، وازدادت مع ذلك رقعة الارض المزروعة .

الشراكس يستوطنون ريف سلمية (١) ١٩٠١ - ١٩١٦

كان من نتائج الصراع الدائم بين الدولة العثمانية وروسيا القيصرية ، أن اندفعت روسيا لسلوك سياسة إقصاء العناصر المسلمة من أراضيها ، وبالأخص أولئك الذين يتاخمون في مواقعهم أراضي الدولة العثمانية ، كما في قفقاسيا وما جاورها من بلدان ، وعلى هذا الأساس ، أخذت روسيا تطرد القبائل الشركسية من سهول وهضاب القوقاز الى أراضي الدولة العثمانية كلاجئين اليها .

كما أن العثمانيين اتبعوا مع هذه القبائل سياسة التهجير من الاناضول الى بلاد الشام ، حيث اتخذ الشراكسة في استيطانهم الجديد موطن أشبه بأراضيهم ذات المناخ القاري ، لتلائم طبائعهم الى حد ما ، ممتدين في بلاد

(١) شارك في معلومات هذا النص السادة : محمد طنجور وشريف شاهين وخضر امين (سلمية) ومحمد خضر قاسم (تل درة) وعباس ضعون (جدوعة) وحسين حمادي سيفو (عقارب) .

الشام على أطراف بادية الشام الغربي من الشمال الى الجنوب ابتداء من بلدة منبج والباب وإعزاز وسراقب ومنطقة سلمية امتدادا الى شرقي حمص كجب الجراح وجنوب دمشق كالقنيطرة ، وما حولها الى الاردن حتى معان •

أما في منطقة سلمية ، فقد كان أول تجمع لهم في قريتي تل عـدا وتل سنان ، وتحولت هاتان القريتان الى نقطتي ارتكاز لانتشار الشراكسة فـي أعداد أكبر وقرى أكثر ، مما يجعلنا نقسم توافدهم الى منطقة سلميـة على دفعتين الأولى : كانت قبل الحرب العالمية الاولى بحوالي عشر سنوات ، أو أكثر بقليل ، والثانية أثنـاء وبعد الحرب العالميـة الاولى ، وعلى هذا الأساس ، لعبت تل سـنان وتل عدا دور التجمـع الخـاص بالشراكسة ثم الانطلاق الى قرى أخرى •

وبعد الحرب العالمية الأولى ، ازداد تدفق الشراكسة ، ورافق ذلك ظهور عدد من القرى يتجمع فيها القادمون من أمثال (ديل العجل) و (جصين)، كما استوطنوا شرقي سلمية في قريتي (مالطه) و (الخفية) ،ولكن سكناهم في القريتـين الأخيرتـين لم يطل أمده ، إذ رحلوا عنهما لأنهم لم يستطيعوا مقاومة مطامع البدو المتواجدين بكثرة في تلك المنطقة •

ومن هذه الدفعة جماعات استوطنت قرى مجاورة لحوضة سـلمية كقرية عز الدين وأبي همامة وعسيلة ، وعندما جاء بدو النعيم الى تقـس المنطقة ، تم التبادل بينهم وبين الشراكسة ، فأخـذ البدو عز الدين وأخـذ الشراكس قرية (ديرفور) • وبقي الشراكس في مواطنهم وقراهم يعيشون منسجمين مع المحيط الذي يجاورهم رغم محافظتهم على عاداتهم الخاصـة التي حملوها معهم من القوقاز ، فهم يعايشون جوارهم بالمرونـة والصدق والاستقامة ، متحملين صعوبات الحياة الزراعية ، وبالأخص في السـنوات التي توالى فيها القحط والجفاف على منطقة سلمية وحوافي بادية الشام •

لمدة عشرين سنة وسلمية تأخذ في الاتساع زراعيا وعمرانيا ، وقد اتخذت في اتساعها الزراعي محورين الأول يمتد باتجاه الغرب على طــول مجــرى التصريف المائي لحوضة سلمية مسايرا الوادي حتى قرية الكافات ، أمــا المحور الثاني فتتجه باتجاه تل الغزالة فمنطقة السبيل ثم تل الشيخ علي ، وسبب هذا الامتداد هو تعاقب السهول على هذين المحورين ، بينما تعتبر منطقة شمالي سلمية منطقة خاصة بالمراعي ، وأما المنطقة الجنوبية ، فهــي منطقة هضاب تتخللها مجاري الأقنية ، وتحتاج لاستصلاحها جهودا كبيرة .

وكان للامتداد شرقا أثر كبير في بناء الريف الشرقي .

بنــاء قريــة بــري الشــرقي ١٨٧٦ م(١) :

كان لنجاح إعمار قريتي الكافات وعقارب صدى كبير ، شجع عــددا من الأسر أن تلاحق السهول الممتدة شرقا بعد منطقة الشيخ علي ، وكان لموقع بري الشرقي اليوم الممتاز جذب للأسر التي سرعان مابنت أول مساكنها . فقد أجمع عدد من المعمرين ، أن أول من بنى وســكن من الأســر في بري الشرقي هي أسرة محمد زيدان الملقب بالأشقر وأسرة علي القهوجي وأسر حسن الضمان ومحمد حيدر وعيسى العيسى ومحمد حسون ، حاولت كل أسرة أن تسكن منفصلة عن غيرها مستفيدين من خرب ورسوم على طريــق عرشونة وعقيربات والمفجر ، ولكن محمد زيدان الأشقر استدعاهم لبنــاء خربة التل المعروفة بتل بري ، فعمر محمد زيدان شرقي التل ومحمد حيدر

---

(١) شارك في معلومات هذه القرية السادة الاميــر محمد ملحم ومحمد طنجور (سلمية) وعلي حيدر ومشعل البعريتي والشــيخ سليمان ابراهيم (بري الشرقي) ومحمد حويجة (المفجر) ومحمد خضــر قاســم (تل درة) .

قبالته ثم انتشر البناء من حول التل ، ورافق تقدم البناء حضور الأمير سيلم موفودا من الأمير محمد بن الأمير اسماعيل في سلمية ، وقد تبع هذه الدفعة مجيء عدد من الأسر كأسرة علي مني وأسـرة آل شاليش ، بعد أن جهدت الأسر الاولى في استصلاح القناة الغربية ، وأخذت مياهها تنساب غزيرة في الاراضي السهلية التي سرعان ما أخذت تتسع باتسـاع استصلاحها ، ولم يمض سوى عام على بناء بري ، حتى جذبت خضرها وخصب أرضها مزيدا من الأسر التي فضلت سكنى بري على سلمية،لبعد مواقع أراضيها الزراعية، كأسرة آل جمول وآل عبيدو وآل عبود ، وأسرة كبيـرة من آل الشـعار وآل محفوض وآل الشعراني وآل الشغري وآل مرة وآل حديد وبعض من أسرة آل زينو ، وأسرة كبيرة من آل شاويش •

وعلى مدى عشر سنوات كانت قرية بري تستقطب الأسر الوافدة اليها حتى اندفعت بعض الأسر لبناء قرية جديدة غربي بري على بعد خمســة كيلومترات هي قرية تل التوت ، وقد توافدت الأسر الى بري كقـدوم آل حيدر الحلاق وآل خضر وآل الصالح وآل مجر وآل دله ، وتبعهم بعد فترة آل رحمة وآل موسى وآل عثمان ، كما جاء من شيزر آل السيجري ، وجاء من مدينة حماة آل الشيخ ابراهيم بعد رحيلهم من الجبل الغربي ، ورافقتهم أسرة حموية الأصل هي آل القيمة ، وخلال هذا التوسع العمراني بعد بناء قرية بري الشرقي بخمس سنوات ، تشجعت بعض الأسر الوافدة من سلمية لبناء قرية مجاورة لبري الشرقي أطلق عليها اسم (بري الغربي) •

أجمع عدد من المعمرين أن اسم (بري) انما يعود لوجود قبر قديـم لأحد أمراء البدو من آل الفضل الذين حكموا البادية في عهود المماليك ، وكانوا يستوطنون سلمية وريفها ، وكان على شاهدة القبر كتابة وضح منها اسم (الفضل بن عيسى من آل مهنا) ، وقد صادف أن قتل قرب هذا القبر رجل اسمه (بري) ، وهو الآخر بدوي ، وكان قتل هذا الرجل غيلة ممـا أثار مشاعر معاصريه فابتنوا له قبرا مثيرا للحماس ، وأطلق عليه اسم (النبي

بري) ، ومن هنا جاء اسم القريتين الجديدتين المجاورتين •

أدى نجاح إعمار بري اعمار القرية الرديفة لها على حدهما الغربي وهي بـري الغربـي ••

بنـاء قريـة بـري الغربـي ١٨٨٣ م :

جاء السيدان علي وفاضل كفا ومصطفى فطوم من سلمية ، وكانت قرية بري الشرقي ، قد أخذت وضعها واتساعها ، فآثروا بتشجيع من الامير علي سليمان أن يبتنوا بيوتا بعيدة عن بري الشرقي على الحافة المطلة على الوادي الذي تلتقي فيه مياه الأقنية الشرقية ، وفعلا قامت بري الغربي واستمر بناؤها خمـس سـنوات ، حتى إذا جاء شريف آغا البرازي الذي بدأ ينشـط لتملك الاراضي حول سلمية في حوالي ١٨٨٨ ــ ١٨٩١ م ، فتملك قريتـي مالطة والخفية ، بعد أن اشتراهما من الشراكسة الذين صعبت عليهم سكن هذه المنطقة ، فإن عرض شريف آغا منقذا لهم من الهرب، فرحلوا بعدها الى قريتي عسيلة وديرفور ، وتشـجع شريف آغا لشـراء المزيد من الاراضي ، فاتجه الى بري الغربي ،حيث بدأ أهلوها يشعرون بالوحشة لاتجاه الوافدين لإعمار بري الشرقي ، وإهمالهم قرية بري الغربي ، فباع آل كفـا وفطوم أراضيهم لشريف آغا ، وبذلك أصبح ملاكا في المنطقة له وجوده ونفوذه ، وقد زادت مكانته عندما اشترى المزيد من الاراضي كأرض حمادي عمر ، فأصبح متنفذا في بري الغربي ، إذ بلغت أملاكه ثمانية أفدنة في بري الشرقي وله على ذلك كل بري الغربي فضلا عن قريتي مالطة والخفية المجاورتين ، واستمر شريف آغا من ممارسة النفوذ الاقطاعي حتى عام ١٩٠٠ م ، حيث بدت أخطار الاقطاع تبرز بين جموع الملاك الصغيرين ، لذلك ثارت حفيظة جموع الفلاحين الملاكين ، وبدؤوا بحملة ضغط على شريف آغا ، الذي لاقى هو الآخر صعوبة في وجوده بين جموع تمقته وتسعى لضرره ، فسعى الآغا

لمبادلة الامير تامر مصطفى ، إذ أخذ شريف آغا جزءا من أراضي أبي رباح شمالي سلمية مقابل ما يملك في منطقة بري ، وتوزع الامراء من آل تامر وميرزا وملحم والأمير علي تلك الاراضي الواسعة ، وسعوا لإعادة إعمار قرية بري الغربي ، ففتح الأمير تامر عددا من الطواحين المائية واستصلاح وإسالة المياه ، وهكذا انتهت أسطورة شريف آغا عام ١٩٠٨ ، وأصبحت بري الغربي ملكا للأمراء في سلمية .

بناء قرية تل التوت ١٨٩١(١) :

كانت أسرة آل الحاج وآل الضحاك أسرتين كبيرتين في سلمية ، وكان بعض أجزاء هاتين الأسرتين يملكون أملاكا بعيدة عن مدينة سلمية ، فقد تجمعت أملاكهم في منطقة الشيخ علي ، ولما كانت هذه الأملاك لا تكفي حاجتهما،لذلك بدأ كل من أفراد هاتين الأسرتين يفكرون بمزيد من الأملاك، لذلك رحل حسن الحاج وعلي الضحاك وأسرتاهما الى خربة تل التوت ، والتي تقع على رابية تطل على سهل ممرع خصيب ، وسرعان ما ابتنت كل من الأسرتين قببا مستفيدين من حجارة الخربة المجاورة ، فاستوطن حسن الحاج غربي الخربة ، كما استوطن علي الضحاك شمالها ، واستفادت الأسرتان من المغاور الموجودة بجعلها حظائر للماشية ولتموينها ، وشجع سكنى هاتين الأسرتين بعض الأسر الاخرى التي جاءت الى تل التوت من أمثال آل حسن يوسف وآل ضوا وبعض من آل عواد ، ومن الملاحظ أن كل الأسر القادمة هي أجزاء من أسر كبيرة في سلمية ، وبدأت تتعدد القباب واستصلاح المغاور ، وعمل جميع السكان على استصلاح الاراضي الزراعية الغربية السهلة ، وبقليل من الجهد أسالوا مياه قناة (السدة) الرومانية الأصل ،

---

(١) شارك في معلومات هذا النص السادة : الامير محمد ملحم ومحمد طنجور واسماعيل الحايك (سلمية) وعلي حيدر ومشعل اليعربي (بري الشرقي) والسيد حسن صالح الحاج (تل التوت) ومحمد خضر قاسم (تل الدرة) ومحمد حويجه (المفجر) .

ورووا بمياهها الغزيرة مساحات واسعة غربي قريتهم وجنوبها ، وظهرت تل التوت قرية صغيرة جميلة بما أولاه جهدساكنيها من زراعةالأشجار والكروم غربيها وشمالها،ولما كانت القرية تقع على خط المواصلات بين القرى الشرقية وسلمية ، فقد كانت مطروقة بالعابرين مما زاد من شهرتها ، فوفدتها أسر عديدة منها آل سمرا وآل أرناؤوط وآل عياش وأقرباؤهم آل داهود ، وجاء بعد هذه الدفعة آل الدلو ، كان قدوم هذه الدفعة الاخيرة من الخوابي مارة بسلمية في طريقها الى قرية تل التوت ، ثم تنوع القادمون من مناطق متعددة فقد جاء فيما بعد آل عزو من عكار وآل حسون من فندارة مصياف وآل البطيحي من الخوابي وآل اسطنبولي من سلمية ، وبدت تل التوت قرية جميلة بموقعها وغزيرة بمائها ، اذ استطاعت جهود مواطنيها استنباط مياه قناتين شمالي القرية ، واتسعت رقعة الارض المروية ، والتي أصبحت فيما بعد كروما خصيبة ، وجذب خصبها مطامع بعض الأسر الغنية كأمراء ميرزا وآل شاهين لاستملاك مساحات من أرضها ، والتي أحالتها جهود ساكني تل التوت من أراض المراعي الى أرض زراعية منجتة •

واندفع سكان القرية الناهضة الى تشجير المساحة الواقعة غربي القرية، فظهر البستان ذو الأشجار المتنوعة والمثمرة ، وكان في كنف التل عدد من أشجار التوت ، ومن هنا جاء اسم القرية نسبة لهذا التل والاشجار الباسقة قربه •

بناء قريتي المفجر ١٨٩٣ - ١٨٩٨ (١) :

قريتا المفجر متجاورتان ، وجاء اسمهما من وجود مجرى لماء يخرج من

---

(١) شارك في معلومات هاتين القريتين السادة : محمد وحسن حويجه (المفجر) ومحمد خضر قاسم (تل درة) ومحمد طنجور وعلي زهرة (سلمية) وعلي حيدر ومشعل اليعريني والشيخ سليمان ابراهيم (بري الشرقي) •

مجموعة أقنية تنفجر فيه المياه ، فتنساب من خلال أربع أقنية ، وقد لفظ البدو اسم هذا المخرج (مفجر) بجيم مصرية ، ومن هنا كانت قريتا مفجر الشرقي ومفجر الغربي لوجودهما شرقي وغربي المجرى المائي .

بناء قرية المفجر الغربي ١٨٩٣ م :

كان بناء هذه القرية نتيجة لرحيل السادة حسين جبر وأحمد ورد وجاكيش مع أسرهم ، وابتنوا منازل لهم قرب التل مستفيدين من خربة قديمة ، كانت المنازل صغيرة عبارة عن مجموعة من قباب حول التل الاصطناعي المقبب ، ثم لحق هذا الركب عدد من الاسر منهم آل عزو وآل شاكر ، وكان آل حويجة قد قدموا المفجر من قرية تل درة وأصبحوا مواطنين ملاكين،ولكن بعضهم باع أملاكه ورحل فيما بعد الى الشيخ هلال.

تجمعت الأبنية حول التل حلقة ، وأخذت جهود الساكنين الجدد تتركز على استصلاح بعض الأقنية المائية ، واستطاعوا بتعاونهم إسالة الماء الغزير وإرواء مساحات واسعة من الارض غربي القرية وشرقيها ، وكالعادة جذبت هذه القرية الناشئة بعض الأسر الفقيرة من مدينة سلمية ، فجاءها آل غالي وآل الملا الطامعين في مزيد من الاراضي الأوسع مما يملكون في مدينة سلمية، ثم تعاقب على المفجر عددا من الأسر القادمة من القدموس كآل الخطيب وآل زيد وآل زعرور ، ومن ثم تركز آل حويجة نهائيا بعد شرائهم أرضا واسعة ، وهم جزء من أسرة حويجة القادمة من قرية تل درة من عكار ، ثم تتالى مجيء عدد من الأسر من أمثال آل النجار وآل النحلاوي وآل رستم ، وفيما بعد جاء آل خلوف بعد خراب عز الدين ، كما جاء بعد آل المعصراني، وغدا سكان المفجر الغربي حشدا قادرا على العمل ، وتكاثفت الجهود لاستصلاح الأقنية ، وهكذا أخذت القرية دورها في إعمار الريف من حول سلمية ، وقد اشتهرت قرية المفجر الغربي باتساع دورها ، ولذلك تبدو عن بعد غاية في الضخامة والكبر لإتساع رقعة البناء فيها ، وقد طورت الأسر الغنية طراز بنائها بتحويل القباب الى بيوت ذات قناطر متعددة .

وقد اعتبر أغنياء سلمية ، أن بناء أمثـال هذه القرى فتحـا ، فحاول العديد منهم استملاك أراض ، ومن ثم جعل العمل في هذه الاراضي لفلاحين يعملون مشاركة،وكأن هذا الاستملاك كسبا يزيد من الغنى الذي بدأ يظهر به بعض المواطنين السلميين ، وهذا ما شجع على بناء قريـة أخرى مجاورة هي المفجر الشرقي •

بنـاء قريـة المفجـر الشـرقي :

عندما أخذت قرية المفجر الغربي تتقدم في البناء سارعت أسرتا الحاج حسن القسوم وسعيد الخطيب ، وكلتاهما من قرية تقسيس لامتلاك أرض في المفجر شرقي مجرى السيل الشمالي ، وابتنت كل أسرة عـددا من القباب ، وكان هذا أول مظهر لقرية جديدة قرب مفجر الاقنية •

كانت شهرة أراضي المفجر ، قد تجاوبت في منطقة سـلمية ، مما دفـع المزيد من الاسر لتؤمها بأعداد تتزايد باضطراد ، وشعرت أسرتا الحاج حسن والحاج سعيد ، بأن لا طاقة لهما في مقارعة البدو ، وبالاخص عدم وجودسند أو دعم لهما ، وتوالت مشاجراتهما مع البدو الذين لا ينقطعون عن ورد المياه بمواشيهم عبر الاراضي العائدة لاسرتي التقسيسي ، حتى تمكنوا من الوصول الى مجرى الاقنية طلبا لإسقاء مواشيهم ، مما يوقـع المزيد من الاضـرار بمزروعاتهما ، في الوقت الذي يضطر أفـراد الاسرتين للصمت والخنـوع لعنجهية البدو ، مما أوقع في نفوسهم اليأس ، اذ لا حول ولا طول ،وكـان الحل الوحيد هو بيع أراضيهم للسلميين ، وأول أسرة اشترت الارض فـي المفجر الشرقي هي أسرة آل أبي قاسم وآل سويدان ، في الوقت الذي بدأت أسرتا التقسيس بالرحيل ، بدأت مجموعة أسر تتوافد على المفجر الشرقـي كأسرة آل قهوجي الهاربة من بناء قرية تل درة وآل فهد من الخوابي ، كما جاء بعدهما أسرة آل حيصو من شيزر ، وكذلك رحل بعض من آل زيدان واستقروا في المفجر الشرقي ، وجاء من القدموس آلحبيب ، وجاء من سلمية آل عجمية ، كما تبعهم آل دعبول القادمون من سميحيقة،وهكذا بدأ التجمع يكبر في قرية المفجر بشكل يجذب المزيد من الاسر ، فتوالى قدوم آل مقصود

من جويتي قرب القدموس وآل سفر من سلمية وآل شحود من قرية بعريـن وآل خروص قادمين من عكار،كما جاء آل العرنجي بعد رحيلهم من الكافات بعد انشطار أسرتهم الى قسمين استقر القسم الثاني في المفجر الشرقي وبقي القسم الاول في الكافات ، ومن الاسر المتأخرة في قدومها للمفجر الشرقي آل ورد قادمين من عكار •

بدأ سكان المفجر الشرقي شأن جميع القرى العمل الجاد لاستنباط مياه القنوات المدمرة ، وكان من السهل أمام التعاون الجاد إسالة المياه من أقنيـة رومانية خرجت بفعل الجهد لتروي مساحات واسعة •

وقد أحصى السيد محمد حويجة عدد الاقنية في أراضي قريتي المفجـر فكانت على التوالي قناة العوينة وقناة أم الطاحون وقناة أم جرن وقناة شمة وقناة عدمة وقناة أبي حبيلات وقناتان في المجرى الشرقي •

وقد استصلح سكان المفجر الغربي طاحونا رومانية الاصل ، دارت بمياه القناة الكبرى ، مما شجع على بناء العدد من الطواحين المائية على طول المجرى امتدادا من الشرق الى الغرب كتلك التي بناها الأمير تامر مصطفى قبالة بري الغربي ، وتستمد مياهها من قناة المفجر •

ومن الجدير بالذكر ، أن بناء قريتي المفجر ساعد على بناء قرية الشيخ هلال ، لأن جل بناتها من قريتي المفجر كما بينا ذلك قبلا •

وقد دلت الدراسات الأثرية أن حول قريتي المفجر عددا كبيرا من الخرب والرسوم وكلها تعود الى العهد الروماني والبيزنطي ، كامتداد للآثار المنثورة حول قرى عقارب والعلباوي ، ومع أن أكثر هذه الخرب قد سحبت حجارتها، وأن بين هذه الحجارة بقايا أعمدة وتيجان وعتبات مزخرفة وبقايا لمعـاصـر الزيتون والعنب ، لازالت تدل ما للمنطقة من ازدهار تاريخي عريق إبـان عهد ما قبل الاسلام •

بنـاء قريتـي تـل جـديـد وفريتـان ١٩٠٦ ـ ١٩١٠ م :

أول من بنى قرية تل جديد هم البدو من قبيلة بني خالد ، وكان بانيها الاول هو جاسم السويد من عشيرة الطعمة ، ثم جاء السيد خضر محفوض بعد بنائها بحوالي أربع سنوات ، واشترى فدانين من آل السويد البـدو ، والذين أبدوا استعدادا لبيع المزيد من الارض ، فسـافر خضر محفوض الى قرية مرج مطر ، وكانت يومذاك عبارة عن مزرعة يعمل فيها أقربـاؤه مـن آل الحموي ، بشكل فلاحين مشاركين للأغوات ، فجاء بهم الى تل جديد ، وكانوا عبارة عن أسرة تضم الاخوة السادة محمودواسماعيل ومحمد وأحمد ونايف واستوطنوا جميعهم في القرية الجديدة ، والتي أطلق عليها البدو اسم (تل جديد) نسبة لتل قريب قربها ، وفي العام التالي جاءت أسرتان من الجبل الغربي وهما آل دردر وآل دربولي وكان مجيء آل دردر من قرية المشرفة . كما جاء آل دربولي من قرية جب عباس ، واقتسم ساكنو تل جديد أرض القرية مناصفة ، فكان لآل الحموي وآل محفوض القسم الشـمالي ، ولآل دربولي ودردر القسم الجنوبي،وتعايش الجميع بشكل ألفة وتحابب وتعاون، وقد عملت أسر تل جديد لاستدعاء المزيد من الاسر حتى يكونوا قادرين على مجابهة البدو عند الحاجة ، فاستقدم آل الحموي آل الحلاق وآل عباس من نهر الخوابي كما استقدم آل دربولي آل الناعمة ، وأصبحت قرية تل جديد عامرة بالحياة وسط جموع البدو الطامعين دائما بالريف واتاجه ، مما يوقع العديد من المشـاحنات والمشـاكل ، وكان أشهر هذه الاحداث ما وقع لآل الحلاق وعباس من جهة والبدو من جهة ثانية ، وآثر آل الحلاق وآل عباس الحموي على جعل أراضيهم قرب أراضي بري ، ولكنهم لم يسكنوا في بري الرحيل من هذا الوسط الفوضوي الى بري الشرقي ، بعد أن اتفقوا مع آل بل سكنوا وسط أراضيهم ليسهل عليهم العمل وحمايتها ان اقتضت الظروف، وسميت قريتهم (فريتان) ، وقد جاء اسمها من الكلمة العامية (فرتونة)التي تعني بالعامية (مشكلة) ، ويقول بعض من آل حيدر أن اسمها (فريتان)قد

كان سكان تل جديد يعيشون بكل فئاتهم بتعاون وانسجام ، وقد حدثني أحد المعمرين أن نايف المسرب وهو من شيوخ عنزة : جرت له في تل جديد الحادثة التي رواها الامير محمد ملحم إذ قال « جاء نايف المسرب الى تل جديد ، وحل ضيفا على آل دريولي الذين أكرموه غاية الاكرام ، ولكنه كان غير راض بما قدم له لطمعه في مالهم وجيوبهم ، ولما لم يستطع آل دريولي رد جشع ضيوفهم البدو ، استنجدوا سرا بجيرانهم من آل الحموي ومحفوض ، مع العلم أن الجميع ليس بقدرتهم مجابهة بدو عنزة ، فعمل آل الحموي على الاستنجاد باخوانهم في قرية بري الشرقي الذين هبوا الى نصرتهم بالعديد من الرجال وعلى رأسهم السيد غالب سليم وأحمد حيدر وحسن حسين واسماعيل حيدر وأفراد من أسرة هاشم ومحمد عيسى الحلاق وعيسى عيسى وعدد من رجال آل الضمان وزيدان ، وقد بلغ عدد الرجال المنجدين لسكان تل جديد حوالي مائة وعشرين فارسا ورجلا ، فلما رأى نايف المسرب ومن معه الجموع الوافدة الى تل جديد ، أخذ بالانسحاب متباطئا ، ولكن الجموع وجهت له الانذار وحددت له مدته بساعة واحدة ، ولما تأكد له صدق العزيمة ، هرب وجماعته ، ولم يجرؤ بعدها أن يعود الى أراضي قرية تل جديد ، وغدت قصة نايف المسرب نموذجا للاخوة ومضرب المثل لكل بدوي كغيره يعتبرون بها ، اذا سولت لهم أنفسهم مطمعا في أرض السلميين أو جوارهم » •

وهكذا عاش مواطنو تلك القرى اعتبارا من ١٩١٨ م وهو تاريخ حادثة نايف المسرب عاش جميع السكان بأخوة وتعاون ، مما شجع على امتداد الاعمار الريفي حتى جبال البلعاس •

امتداد الاعمار حتى جبال البلعاس شرقا :

كان لنجاح إعمار شرقي سلمية دافع وتشجيع لامتداد هذا الاعمار بشكل قرى ومزارع حتى السفوح الغربية لجبل البلعاس ، وتكاثفت في هذا الاعمار

جهود متضافرة لجميع عناصر السكان الوافدين والمقيمين أصلا كالبدو بشتى قبائلهم وعشائرهم •

فمن القرى التي بناها السلميون ، قرية (سـلام السلامنة) التي بناها عدد من الاسر التي خرجت من قرية بري الشرقي كآل الضمان وآل زينو ومن سلمية كآل الحايك وآل أبي اسماعيل •

وكذلك قرية (الخريجة) ، والتي بناها آل رستم وآل غالي وآل فطوم وآل الشعار ،وكلهم في الاصل من سلمية أما قرية (أم ميل) ، فقد بناها آل ونوس وآل الحلاق وأسرة من آل الجندي وآل عبود وبعض هـذه الاسر جاءت من بري الشرقي ، وبعضها الآخر جاء من سلمية •

أما قريـة (أبو حبيلات) والتي سـكنها آل أبـي فرج وبعض من آل الشعار ، فقد جاؤوا من سلمية أيضا •

وهناك بعض القرى التي بناها عدد من الاسر العلوية القادمة من منطقة حمص كقرى (أبو البلابل) التي اشترك في اعمارها الاسر القادمة من منطقة حمص مع بعض من أسر بدوية آثرت الاستقرار والاستيطان بدلا من التنقل والترحال ، وفد بني البدو العديد من القرى من أمثال (طرقاوي) وقريـة (عرشونة) وبناتها من بدو الحديدين وقرية (أبو داية) وبناتها مـن بـدو الخراشين ، وأما قرية (حمادي عمر) ، فقد بناها السيد حمادي عمر وهـو من سلمية ، ولكنها بعد مقتله غدت مهجورة ، ومن ثم سكنها بدو الخراشين وأما قريتا (القسطل وجروح) فساكنوهما من بدو المشارقة ، أما أكبر قرى المنطقة الشرقية ، فهي (عقيربات) ، وهي الآن مركز ناحية ، وأكثر سكانها من أسر تدمرية وفدت الى منطقة سلمية طلبا للعمل الزراعي •

كل هذه القرى تمتد شرقي بري الشرقي والمفجر الشرقي وتل جديد وقريتان، بشكل قرى تصغر تدريجيا حتى تنتهـي في سفوح جبـال البلعاس ، بشكل

مزارع ضئيلة السكان ، كل هذه القرى لم يكن لها أي وجود لولا نجاح إعمار قرى شرقي سلمية •

كما دفع نجاح اعمار سلمية ومنطقتها ، الى امتداد الاعمار شرقي نهر العاصي في المنطقة الممتدة جنوب سلمية ، حيث تم اعمار قرية (المشرفة) ، وهي على أنقاض المدينة الأثرية القديمة (قطنة) عاصمة العموريين في حوالي ٢٠٠٠ ق‌م ، وجل بناة هذه المنطقة من النازحين من جبال العلويين الجنوبية ، برزت جميع قرى منطقة جنوب سلمية بكونها خليطا منسجما ومتعاونا في إعمار هذه السهول ، ففي قرية (مرج مطر) يتمازج العلويون مع التركمان والبساتنة ، وكذلك في قرية (الغاوي) ، بينما انفردت القرى التالية : (الشيخ ريح والمسعودية وأبو حقفه والسنكري) بكون سكانها من أصول علوية ، أما قرى (خنيفس وشقاري وتل حسن باشا وجب الهات وأم العمد) فهي خليط من بدو النعيم وبدو بني عز والعلويين •

أما قرى (تلول الحمر والجماله وعيدون وسنيدي) فجميع سكانها من بدو النعيم وتميزت قرية (مخرم التحتاني) بسكانها التركمان ، وتبقى قرية قبة الكردي وجنوب قرية تل درة مسرحا لصراعات نشبت بين البدو وأغوات حمص ، حتى استتب فيها أخيرا عدد من الاسر العلوية والبدوية فملكتها •

كل هذه القرى ، تمركزت بعلاقات اقتصادية مع مدينة سلمية،باعتبارها المركز الاقتصادي القريب والاكبر ، ورغم أن بعض هذه القرى حسب التقسيمات الادارية الاخيرة غدت تابعة لمحافظة حمص ، فقد بقيت بعلاقاتها الاقتصادية مرتبطة بمدينة سلمية •

بناء منطقة شمالي سلمية :

في الوقت الذي انتشر فيه اعمار جنوب سلمية ، كان الاعمار يسير

بشكل حثيث في القطاع الشمالي ممتدا من سلمية باتجاه الشمال وشرقي حماه، ومن معرة النعمان باتجاهات شرقية وجنوبية وشرقية وشمالية شرقية ، وقد شمل الاعمار سهول الحمر الفسيحة والممتدة من حوضة سلمية حتى سهول حلب وشرقا الى قصر ابن وردان ، وآثار مدينة الاندرين القديمة ، بمزيج من المهاجرين من جهات متباينة ، من سلمية والجبل الغربي ، ومن جموع من القبائل البدوية من أصول متعددة .

فقد عمر قرى (قبيبات وفويره) مزيج من السلميين والبدو ، وقد ضمت قرية (جديدة) الاسر السلمية التالية آل السيد وآل القشاش وآل حسينو وآل الحلو وآل الحصري ، كما سكن قبيبات عدد من الاسر السلمية من آل خضور وآل زينو وآل سلهب وآل قطان وآل مهنا ، وقد اختلط في اعمار العديد من القرى أسر بدوية مع أسر علوية الاصل كقرى (الهوية وصغرين والشهبا والشهيب وطراد والربا والشيخ علي كاسون ودنين والشحطه) ، كان هذا المزيج مثالا للتعاون في استصلاح مساحات واسعة من السهول الخصبية الممتدة شرقي حماة ، حتى حدود البادية على شريط يمتد شرقي مدينة سلمية .

وقد بنى قريتي (تل عبد العزيز وصلبة) أسر علوية قدمت من الجبل الغربي من منطقة شمالي مصياف أمام قرية (كيتلون) فهي القرية الوحيدة التي ذكر أن اعمارها يعاصر اعمار مدينة سلمية ، لأنها كانت نقطة ارتكاز العديد من الاسر خلال رحيلها من الغرب الى الشرق مارة بها ، وقد سكنها أسر رحلت عنها الى سلمية أو ريفها كآل حمود وآل العايق وآل لوند وآل الداحول ، وبعدها رحلوا باتجاهات عديدة في منطقة سلمية .

وتبقى بقية القرى لها طابع معين ، هو أنها ذات طابع بدوي قبلي كقرى (المزاريع والهرط وأبي طوقية واللحونة والخلة وصماخ) أو ذات طابع مزارعين قادمين من بساتين وقرى نهر العاصي كقرية (المباركات) .

وقد شجع امتداد الاعمار في مطلع هذا القرن الى امتداد سلطة الاقطاعيين من مدينة حماة ، لامتلاك معظم قرى منطقة الحمرا وشمالي سلمية ، وتميزت الأسر الاقطاعية كآل البرازي والعظم والكيلاني بامتلاكها قرى عديدة بمساعدة الدولة العثمانية •

كما تشجع اقطاعيو مدينة حمص ، فخرجوا يمتلكون العديد من القرى شرقي حمص كالمشرفة التي ملكها آل ثابت وماقصة شريف آغا ومحاولاته تملك بعض القرى في منطقة سلمية ، وآل الكيلاني في تملكهم لقرية (مرج مطر) إلا صورة من صور التوسع الاقطاعي في كل المناطق ما عدا مناطق سلمية ، اذ لم يتح لأي أسرة اقطاعية استملاك أي جزء لحرص المواطنين في سلمية وريفها التعايش على أساس الملكية الفردية الصغيرة •

وهكذا استحالت هذه السهول الفسيحة ، والتي كانت لعشرات ومئات السنين مسرحا للصراع القبلي ، استحالت هذه السهول الى قرى معمورة بجهود ساكنيها كأنها نجوم تضيء بحضارتها وتقدمها والوسائل العصرية من كهرباء وطرق ومزارع ، فإذا هي حضارة وتقدم متميز في قطرنا العربي السوري •

اعمار ريف غربي سلمية

سبق أن ذكرنا ظروف بناء قرية الكافات عام ١٨٦٩ م ، باعتبارها أول قرية نجح اعمارها بعد مدينة سلمية ، وغدت قرية متسعة بفعل ما وردها من أسر عكارية وشيزرية وممن قدم من قرية عز الدين بعد خرابها •

كان قطاع غربي سلمية يبدو ضيقا في مساحته الزراعية ، إذ اقتصرت المساحة على سهل الكريم ، وبعده الى الغرب شريط يضيق أحيانا ، ويتسع أحيانا ليجاور الهضاب المطلة عليه ، وفي وسط هذا الشريط يجري نهر دائم الجريان ، هو قناة التصريف للفائض من مياه حوضة سلمية ، حيث يصب على نهر العاصي على بعد ـ ٦ ـ كم غربي قرية الكافات •

ولهذا كان امتداد المساحات الزراعية غربا امتدادا بطيئـا ، ورغـم أن الاخطار الدائمة من وجود قطعـان الماشـية مجـاورة لهذا المجرى ، كـان السلميون يزرعون مساحات بعيدة نسبيا عن سلمية ويروحون ويغدون اليهـا يوميا حسب مستلزمات العمل الزراعي ، مستأنسـين بالعديد من الطواحين الممتدة على طول المجرى المائي •

بناء قرية تل درة أكبر تجمع سكاني بعد سلمية ١٨٨٣ م(١)

دلت الدراسات أن أول تجربة في بناء قرية تل درة ، كانت تجربة فاشلة، قام بها السيدان حيدر الوتد ومحمد القهوجي ، وعندما جاءا معا وبنيا كوخين شمالي التل ، وزرعا مساحة كبيرة غربي التل من الذرة الصفراء ، كـان ذلك ١٨٧٦ م بتشجيع من الامير محمد،والقصد من ذلك تخفيف الضغط السكاني المستمر على سلمية نتيجة للهجرة الدائمة من الجبل الغربي وعكار ثم ليمنع امتداد استيطان وتملك البدو والاسـر الاقطاعية الحمويـة والحمصية بين سلمية والكافات ، مما يجعل الطواحين السلمية في خطر بدءا من طـاحـون الشيحاوي غربي سلمية ، وحتى طاحون فورة قرب الكافات •

كان موسم الذرة يبشر السيدين القهوجي وحيدر الوتد بنتاج وافر ، ولكن مواشي البدو المتواجدة على امتداد جبال العـلا غربي جبل عين الزرقا وحتى سهول قرية صماخ ، تشكل خطرا دائما على المزروعات ، لانها لاتنفك تعيث فسادا فيها ، كلما انحدرت تطلب ورد الماء ، وقد جرى فعلا ، أن بعض قطعان الماشية لبدو الموالي ، عاثت فسادا في ذرة القهوجي وحيدر الوتد اللذين دافعا عن أرضهما بالمشاجرة مع البدو ، وضربهما للرعاة ضربا استدعى هؤلاء

---

(١) شارك في معلومات هذه القرية السادة : محمد خضر قاسم ومحمد عسكور وتامر الحرك (تل درة) والامير محمد ملحم والشيخ علي عيدو والشيخ اسماعيل الحايك والسيد خضر أمين (سـلميـة) ومحمد حويجه (المفجر) وعلي خضر حيدر (الكافات) .

الرعاة لاستنفار المزيد من أعوانهم للدفاع ونصرة رفاقهم ، ولما تكاثرت جموع البدو ، عمد القهوجي الى سلاحه واستعمله ، فأصاب فارسا ، وكان لهـذا الفارس مكانة بين قومه ، مما أثار حنق البدو الذين ، تكاثروا على الرجلين ، فاضطرا الى الهرب باتجاه الغرب ، يريدان الاحتماء واستنصار أقربائهما في قرية الكافات ، ولكن البدو لحقوا بهما ، وأدركوا القهوجـي فصرعـوه ، وهرب حيدر الى الكافات بعد أن توارى بين الحشائش ، ومن ثم نقل جثمان القهوجي ليدفن في قمة التل الذي أطلق عليه منذ ذلك الوقت اسم (تل الذرة) .

رحلت أسرتا القهوجي وحيدر الوتد بعد ذلك الى سلمية ، ثم الى قريتي بري الشرقي والمفجر ، وبعد هذه الحادثة بحوالي سبع سنوات أي في عـام ١٨٨٣ م شجع الامير علي السيد علي شـربا ومعـه بعض الاسر القادمة من الخوابي للاستيطان قرب (تل الذرة) ، وفعلا جاءت أسرة علي شربا ومعـه آل عسكور وبعض من آل وردة وأسرة الشيخ خضر وآل الدبيات ، واتنقى الجميع مكانا غير المكان الذي أقام فيه القهوجي وحيدر الوتد سابقا ، فقـد آثروا السكنى بين مجريي النهر، المجرى الرئيسـي الواقـع شمالا ومجرى مجموعه ينابيع عيون كحيل والفوار وعين أبي مصع جنوبـا ، حيث ترتفـع الارض بين المجريين ، كان هذا المكان أول ما نال استحسان القادمين ، فبنى علي شربا في منتصف المرتفع وبنى آل عسكور جنوبه وبنى آل الدبيات غربي علي شربا وبنى آل وردة قرب آل عسكور وقربهم بنى الشيخ خضر وبعـد أشهر جاءت آل قاسم فبنت قرب علي شربا من الجنوب ، ولما جاء الحرك وآل عيشة بنوا شمال علي شربا على محاذاة المجرى الشمالي ، ثم جـاء آل دلول وآل عليا فبنوا حول المباني التي سبقتهم ، فآل عليا غربا وآل دلول جنوبا . وبدأ الناس يطلقون على هذا التجمع اسم قرية (تل الذرة) ، والتي بدأت في الظهور ، لاقت هذه القرية تشجيعا كبيرا من سكان سلمية ، حتى أن كل القادمين الجدد كانوا يوجهون للسكنى فيها ، فجاءت أسرة آل وردة الثانية فعبرت المجرى الجنوبي وبنت بعده ، ولما جاءت أسرة آل كنعان بنوا بجوارهم

من الشرق ، وفي العام الثاني وفد الى قرية تـل ذرة مجموعة أسـر هم على التوالي آل المبيض وآل فطوم وأقرباؤهم آل الراعي فبنوا متجاورين قـرب آل كنمان ، ثم جاءت أسرة آل أمين من سلمية فبنت قرب آل فطوم من جهة الجنوب ، وعندما جاءت أسرة آل أبو حمود بنوا قـرب آل المبيض نظـرا للقرابة الراسخة بينهم وجميع الاسر التي عمرت تل ذرة الاولى هي من (بلاد الغرب) أي من مصياف والقدموس والخوابي ، وأول أسرة عكارية تأتي هم آل عدرة وآل حويجة جاءتا متعاقبتـين ، وبدأت الاسـر العكارية بالتوافد تباعا فجاء آل السنكري وآل التناخي وآل مني من عز الدين وامتدت القرية بمجيء هذه الأسر باتجاه الجنوب تحبو على سفح المرتفع ، ولكنها بدأت تمتد غربا بمجيء مجموعة أسـر على رأسـهم آل عليا وآل ديوب وآل ابراهيم وآل صليبي ، وبدأ سيل الاسر بالتوافد سواء كان من الغرب أو عكار ، إذ جاء آل كحيل وآل شرتوج وآل قدور وآل كلثوم ، ثم آل الكوكبي وآل أدريس وآل بدور ثم جاءت أسرة كبيرة من عكار هم آل حيدر يشقيهم حيدر المرتضى وحيدر العكاري ثم جاء آل خلوف وآل سفر الاسرتان المتبقيتان من خراب قرية عز الدين ، ثم جاء آل جوهره، وأخذت كل أسرة تشد اليها أقرباءهـا فتستقدمهم للسكنى سواء كانوا عكاريين أو مغاربة ، وكان شـعار الجميع التعاون ، لذلك كان مجيء الاسر متتاليا دون انقطاع ، فجاء على التوالي آل البلاطة وآل تقلا وآل ليلى وآل عبدو وآل كيوان وآل محفوض وآل هاجر وآل السامح وآل رحمة وآل سمون وآل الشعراني وأقرباؤهم آل الصوص وآل الضعيف وآل طحموش ، كمـا جـاء آل رجب من الجندالية في لـواء اسكندرون ، وجاء آل وسوف بعد عودتهم من سعن الشجرة ، وجاء قسم من آل اليازجي من سلمية وآل خزنة وآل النداف من عكـار ، وكذلك آل العلي المعروفون اليوم بآل هرموش ، كما جاء آل عباس يسكنون قبلا قرية كيتلون، وجاء من عكار أسر كبيرة هم آل الامير وكانوا قبلا في وادي العيون.

وهكذا اتسعت رقعة العمران في قرية تل درة، وأخذت تزداد بالوافدين،

وتجمعت فيها طاقات بشرية كبيرة محصورة في أرض صغيرة المساحة ، حدودها حدود القرية جنوبا ، وامتداد جبال العلا شمالا أما غربا وشرقا ، فقد امتدت أملاك قرية الكافات الى بعد /٣/ كم غربي قرية تل درة، أما أرض سلمية فهي على مسافة كيلومترا واحدا شرقي القرية ، ولكن ساكني هذه القرية ، أخذوا يفاوضون البدو الذين يملكون نصف أراضي قرية قبة الكردي لشراء حصصهم ، وفعلا جرى البيع ، واشترى سكان تل درة نصف مساحة قرية قبة الكردي ، فأصبحت متسعا لهم ، وامتدت بذلك حدود القرية الى سفوح مرتفعات السطيحات ، ولكن الامراء في سلمية ضيقوا على قرية تل درة باستملاكهم أراض قريبة منها فقد ملك الامير ميرزا زور الشيخ بكور الممتد الى الشرق حتى زور شاهين ومن الغرب من قرب التل ، وملك الامير علي القطاع المقابل له يفصل بينهما مجرى النهر وحتى طاحون الامير اسماعيل وملك الامير أحمد زور دنورة بأكمله •

رغم كل هذه المضايقات لم تمتنع قرية تل درة عن التوسع بمزيد من الطاقة البشرية حتى غدت القرية الناشئة ذات التجمع السكاني الضخم بعد سلمية ، وزاد من رسوخ الاسر بناء بعض الطواحين المائية ، فقد ملك آل أمين الطاحون الشرقية ، وآل مني الطاحون الغربية كما ملك آل الشيخ يوسف طاحون فويرة ، ولكن ملكية هذه الطواحين كانت مشاركة مع الامراء •

جذبت تل درة بحياتها الوادعة أسرا جديدة كآل جمول وآل حريا وآل حسامو وآل حبيب وآل جبر وآل المنير وآل نعيم وآل الطحان وآل زينو ، وهذه الأسر قدمت من مناطق متعددة من عكار والخوابي ومصياف والقدموس إما مباشرة أو بالقدوم الى سلمية فتل درة •

تقدمت تل درة في مجال الوظيفي كالخدمة في الجيش ، إذ لا تكفي حاجة السكان رقعة الارض المستملكة ، ومن ثم سعى العديد من سكان القرية للتعلم منهجا للعيش والوظيفة ، مما جعل هذه القرية تطاول مدينة سلمية فكريا وثقافيا •

بنـاء المـزارع غربـي سلميـة :

لم تبن بعد قرية تل درة أية قرية غربي سلمية ، ولكن مجموعة كبيرة من المزارع أخذت تظهر تباعا ، وسـبب ذلك أن سـكان سلمية لم يكونوا ليسكنوا خارج المدينة ، لذلك كانوا يعمدون الى بناء بيوت في أراضـيهم النائية ، يسكنون فيها فلاحين يعملون في الارض مشاركة ، وكـان بعـض هؤلاء الفلاحين قادمين من مزارع نهر العاصي ،كآل بكور وآل الحاج أحمد الذين عملوا في مزرعة الامير ميرزا ، وآل دنورة العاملين في مزرعة الأمير أحمد وآل عاشور العاملين فيمزرعة الامير سليمان،وظهر على المنوال العديدمن المزارع فابتنى آل شاهين مزرعة ومزرعة الكريم الخاصة بالدولة ومزارع عين العامود والمالحة والمزيرعة وعربيد ، ومئات من البيوت المنثورة على بطـاح سهل الكريم وتوابعه من سلمية حتى قرية تل درة ، وهكذا غدا الاقتصـاد السلمي معتمدا زراعيا على سهلين هامين الكريم غربا والشيخ علي شرقا .

الارمـن يستوطنـــون سـلميـة(١)

أثناء الحرب العالمية الاولى ، بدأت الدولة العثمانية ، تنفـذ سياستها بالارض على شكل ترحيل الاسر الارمنيـة من هضبة أرمينيا في الاناضـول الشرقي الى مناطق نائية كالبلاد العربية ، واتخذ هذا الترحيل صـفة الطرد والتشريد في ظروف الحرب الدائرة في العالم ، مما سبب وفاة الآلاف منهم ، سبب الإجهاد والبرد والجوع ، عدا عن ظروف الأمن المفقودة ، كل ذلك بسبب أن الارمن كانوا ينادون شأن كل الشـعوب المحكومـة في الدولـة

---

(١) شارك في معلومات هذا النص السادة: محمد حسين فاضل ومحمد طنجور وشريف شاهين (سلمية) ومحمد خضر قاسم (تـل درة) ومحمد حويجة (المفجر) وحسن خضـر حويجـة (الشيخ هلال) والشيخ علي زهرة والشيخ اسماعيل الحايك من أصدقاء الارمـن (سلمية) ، كما قدم السيد حايك سيروبيان معلومات جليله نقلها لنا السيد محمد فاضل مشكورين .

العثمانية بالاستقلال الذاتي ، ولكم حاول الارمن تحقيق هـذه الاهداف ، ولكن الرد عليهم كان الاضطهاد وكبت الحريات ، حتى اذا جاء الدستور العثماني زمن مدحت باشا ، تجددت الآمال الارمنية بالاستقلال ، لكنهم لاقوا الدمار والموت والتشتيت ، وخلال الحرب العالمية الاولى ١٩١٣ م لاقى الارمن أن الفرص مواتية للثورة ، فواجهتهم السلطة العثمانية باجراءاتها الصارمة ، تسوقهم جماعات عبر جبال طوروس الى بلاد الشام سيرا على الاقدام بعد سلبهم ما لديهم من مال ولباس ، ليلاقوا المصائب والأهوال ، فيموت من يموت جوعا وتعبا ، ومن يسلم كان يدخل المدن السورية فقيرا مضنى ، فاستوطن في حلب العديد منهم ، وكذلك في كسب واللاذقية وأدلب وحماة وسلمية وحمص ودمشق ، وقد فضل الارمن سكنى سلمية رغم أنها صغيرة نسبيا لعدة دوافع ، أهمها ما لاقاه الارمن من سكان هذه البلدة من الترحاب والمساعدات ، بعكس ما اعتادوه من غيرهم من سلب وقتل ، لذلك ظهرت سلمية ولمدة ست سنوات أنها الأمل والمقر الآمن لهم ، ولكم ساعد السلميون ضيوفهم الأرمن بكل ما للضيافة من معنى بالإيواء والطعام وتأمين سبل العيش ، حتى تكاثروا فيها ، وبلغ تعداد أسرهم حوالي خمسين أسرة تجاوز ثلاثمائة نسمة ، ومما أورده سيمون خشودريان في كتاب ألفه عن نكبات الارض تحت عنوان (مذكرات أرمني مهاجر)[1] قوله : « .. إن أحلى أيامه هي الفترة التي قضاها في مدينة سلمية في وسط سورية ... » ثم يتكلم عن صفات شعب سلمية وميزاتهم الاجتماعية والاخلاقية ، ويعدد مآثرهم وحميتهم واكرامهم للأرمن الى حد اشراكهم في المسكن والمطعم والعمل ، بعد أن سلك مع بعض الأسر الأرمنية طريقا مليئة بالعذاب والسلب والنهب من أنطاكية الى سلمية ، ثم يضيف كيف أن آل عجوب أنزلوه مع أسرته على الرحب والسعة ، كما توزع السلميون من آل طنجور وفاضل وأبي قاشم وعبيدو والحاج وغيرهم جموع القادمين مدة خمسة عشر يوما حتى تيسر لهم عمل يعيشون منه .

---

(١) مذكرات ارمني مهاجر ــ سيمون خشودريان ــ ص ٨٦ ــ ١٠٢ .

ولقد نقل السيد محمد حسين فاضل من سلمية عن العلاقة بينه شخصيا وبين الأرمن بقوله : إنه شارك السيد حايك سيروبيان وآخاه مؤاخاة حقيقية مدعومة بالمودة ، فقد عملا معا في مهنة الصياغة ، وافتتحا متجرا لا يزال السيد فاضل يعمل فيه ، ولا تزال الشراكة قائمة بينهما ، بالرغم أن السيد حايك سيروبيان قد رحل عن سلمية ، وأن كل الثروة التي تشارك عليها الطرفان لا تزال قائمة ، وقد سكن السيد حايك في حمص ، فلم تحدثه نفسه في يوم أن يفصل هذه المشاركة اطلاقا ، وأن أولادهما يعتزون بهذه الأخوة فينادون بعضهم بكلمة (ابن العم) •

بمثل هذه المعاملة ، زاد عدد هذه الأسر الأرمنية في سلمية حتى سنة ١٩٢٢ م ، وامتهنوا ما يسهل عليهم سبل العيش من الزراعة الى الصناعات المتنوعة كالخياطة والبناء والحدادة والبيطرة وصناعة العربات وصناعة الأدوات النحاسية وصناعة الخمور وافتتاح المقاهي والفنادق •

كما تمتعوا بحقوقهم الأسرية الاجتماعية والدينية ، ويعتبر مكان مركز الكهرباء القديم ، هو مكان كنيستهم ، ورغم رحيلهم ، فقد بقيت عامرة مصانة ، حتى جرف السيل بعض جدرانها لمجاورتها لسعن الجندي ، ومن ثم تملكتها الدولة ، وجعلتها مركزا لتوليد الكهرباء بواسطة المحركات الانفجارية •

أما أماكن سكنى الأرمن في مدينة سلمية ، فكان أكثرهم يستوطنون الحي الجنوبي ، وانتشروا حول السوق وأما توزعهم في أعمالهم ، فهو على الشكل التالي :

نوري دمرجيان كان حدادا، وحاج كربيت بيسليان كان خياطا ، ودكران درجيديان كان طبيبا، كذلك كانت بروانت جيلوبيليان وواهان مابليان، كما عملت السيدة أوصنة بكيان طبيبة أسنان ويساعدها زوجها سعيد مكيكجيان ، ومن الأسر التي اشتهرت في سلمية في أعمال مهنية متباينة هم السادة : فاظار

أصليتيان وآرتين سيرجيان وكرييت حلبليان وشكري قصمقيان وبدرس تلبطيان وشكري بغدكيان وكرييت وآكوب أركليان اللذان أدخلا الى سلمية صناعات نحاسية ، وسركيس وارطينيان وآكوب هوسيبيان وسركيس دولتيان ، عمل هؤلاء في شتى أنواع الصناعات في سلمية وفي مجالات الصياغة والخياطة وصناعة العربات والحدادة ، وعاملهم السلميون بكل محبة واحترام ، حتى أن أكثرهم قد ندموا لرحيلهم عن هذه المدينة ، بما أبدوه من تأثر وندم من خلال مراسلاتهم لبعض أصدقائهم ، ويعتبرون فترة سكناهم في سلمية ، حلما ذهبيا قد انقضى ، وقد لبت الأسر الأرمنية نداء الاتحاد السوفييتي في أعقاب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٦ م للسكنى في ربوع روسيا ، فرحلوا بين شهري حزيران وتموز الى بيروت من العام نفسه ، حيث نقلوا بعدها الى روسيا ، ولم يبق من الأسر الأرمنية في سلمية سوى أسرتين هما حاييك سيروبيان وآرتين سرجيان ، وقد رحلت الاسرة الثانية في مطلع الستينات بمن سبقها ، بينما بقيت أسرة حاييك في سلمية تدير معملا للخمور فيها ، ولا يزال العمل دائرا رغم رحيل الأسرة الى مدينة حمص .

لقد حمل الأرمن أعذب الذكريات وأطيب ساعات السعادة والأمن عن سلمية وشعبها إذ لم يسكنوا الريف أبدا .

هجرة اسر القدموس الجماعية الى سلمية (١) ١٩٢٠ - ١٩٢١ م

سبقت هجرة سكان القدموس الى سلمية أحداث هامة وانفجارات داخلية ، أدت الى تصدع الصف في المجتمع القدموسي ، وترسيخ روح

(١) شارك في معلومات هذا البحث السادة : الامير رفعت الامير محمود وحسن الخطيب (القدموس) وحسن ابو الجدايل (مصياف) ، والشيخ ابراهيم الشيخ (الخوابي) ومحمد طنجور والامير محمد ملحم واحمد الخطيب (سلمية) ومحمد خضر قاسم (تل درة) مع الاعتماد كمصدر ما كتبه الشيخ عبد الله المرتضى في كتابه (الفلك الدوار) تحت عنوان القدامسة في سلمية ص ١٠٤ .

العداوة بين الأسر الواحدة ضد الاخرى ، بشكل استعصى على القدموس أن تشكل وحدة تقف ضد الأحداث المتلاحقة ، حتى لقد سلك كل فريق سلوكا يعاكس عدوه ، فتعاقبت النكبات على مدى خمسة وعشرين عاما متتابعة ، وأول هذه الاحداث ما يلي :

١ ـ ثورة الامير ابراهيم على اقربائه :

قام الأمير ابراهيم من آل هابيل بثورة ضد أبناء عمومته طامعا بإمارة القدموس وما حولها ولكنه باء بفشل مريع مما اضطره الى الالتجاء الى قرى تابعة للقدموس يستعدي سكانها لمناصرته ضد أقربائه ، وكان لا يفتأ يعد المتنفذين بهذه القرى باقطاعهم أرضا فوق أراضيهم ، فيما اذا نجحت مهمته ، وهكذا تجمع حوله خلق كثير ، منهم المعادي لأمراء القدموس ، ومنهم الطامع بمزيد من الثروة ، وسارت الجموع وعلى رأسها الأمير ابراهيم لمحاصرة القدموس ، ولكن أمراء القدموس كانوا يراقبون عن كثب تحركات ابن عمهم المبثوثة خلفه،لذا أعدوا له ولأصحابه كمينا في قرية (حكرالمغاربة)، ولما وصلت جموع الزاحفين على القدموس هذه القرية ، وقع الامير ابراهيم وصحبه في الكمين ، ودارت معركة طاحنة ، كانت نتائجها سقوط عدد من القتلى ، وتلاشت الجموع من حول الأمير الثائر هاربة الى قراها أو الى قلعة القليعة وقرية فويرسان ، وهكذا تشتت حمله الأمير ، مما سبب هجرة العديد من الأسر خوفا من أن تطولها يد أمراء القدموس ، فهاجرت بعض الأسر الى قرية (بانيا) والبعض الآخر الى قرى شير القاق والرنقوقه ، وكان ممن رحل الى قطاع شمالي القدموس آل البيطار حيث اشتهر منهم عمر البيطار الذي قاد ثورة ضد الفرنسيين سنة ١٩٢٠ م ، وكذلك آل طيبة ، حيث اشتهر منهم النورس الذي شارك في ثورة منطقة قلعة صهيون ضد الفرنسيين بمهاجمة حامية معرة النعمان الفرنسية ، وعندما ألقي القبض عليه حوكم وأعدم في الساحة العامة بحلب ، وتابعت بعض الأسر هجرتها خوفا من ملاحقة أمراء القدموس لهم ، فاتجهت الى قلعة صهيون ، وتابع بعضهم سفرهم الى قرى

لواء اسكندرون ، حيث يسكن أقرباء لهم من آل الخطيب والخطاب في قرى آذار والجندالية والجانوديه ، بحيث أطلق عليهم مواطنو تلك المنطقة اسم (القدموسيين) نسبة لأصولهم في مدينة القدموس •

كان من نتائج هذه الحادثة أن غدت القدموس المدينة معزولة عن ريفها المد والمناصر لها إبان النكبات،وتتمم انهيار موقف القدموس أحداث خطيرة في مطلعها :

٢ ـ ثورة الفلاحين في القدموس :

بعد معركة حكر المغاربة ، استتب الحكم في القدموس للأمراء الذين أخذوا يتصلبون في مواقفهم وظهر استعلاء بعضهم على الفلاحين ،الأمر الذي أدى انقسام المجتمع القدموسي ، انقساما طبقيا ، إذ شكل الفلاحون الطبقة الكادحة تجمعا ، بينما يشكل الأمراء ومن حولهم طبقة حاكمة ، وقاد الفلاحين في هذه الفترة شاب عصامي اسمه محمد طه الحاج شاهين الذي جمع الفلاحين حوله ، وألهب قلوبهم حقدا على الامراء مستفيدا من سوائح وأخطاء بعض الأمراء المثيرة ، وقد أبدى محمد طه ضروبا من الشجاعة مما ضاعف من تعلق الفلاحين به ، حتى غدا أملا لهم وزعيما بارزا يمثل الطبقة الكادحة ، وفي الوقت نفسه برز في الجانب الثاني الامير مصطفى أبو عجيب ، وهكذا غدا المجتمع القدموسي في مطلع القرن العشرين منقسما على نفسه ومتحفزا للانقضاض بعضه على بعض بكراهية وحقد لاهبين ، مما عطل الطاقة الفعالة في صفوف المجتمع ككل •

انتشرت أخبار وقائع القدموس في أرجاء الجبل ، وبين الجيران ، حتى وصلت الانباء الى سلمية مما دفع الامير تامر ميرزا ، أن يضع حلا للأسى الذي شعر به السلميون لواقع أقربائهم في القدموش ، فقرر التدخل السريع لوضع حد للواقع المأساوي بين المتخاصمين ، واتصل الامير تامر مع أمراء مصياف وعلى رأسهم الامير ملحم ، كما اتصل بزعماء المنطقة من أمثال

اسماعيل بك هواش واسماعيل باشا جنيد في مصياف وزعماء آخرين من آل حرفوش والشيخ صالح العلي ، وتم الاتفاق على أن يجتمع كل هؤلاء وبشعور المسؤولية يتدخلون لحل مشكلة القدموس ، وانقاذ الوضع من التفجر وسفك الدماء •

اجتمع الزعماء كلهم في مدينة مصياف ، وكتبوا رسالتين الى محمد طه والامير مصطفى أبو عجيب وأعلموهما بأنهم في طريقهم اليهما ، واستعد الفريقان في القدموس للقيام بالواجب واكرام الوافدين الكرام ، وكانت خطة وفد المصالحة أن يقصدوا أولا بأول السيد محمد طه ثم يستصحبونه معهم الى دار الامير مصطفى حيث تتم المصالحة •

ولما وصل الركب الضيف واتجه داخلا القدموس ليحط الرحال عند السيد محمد طه ، جاشت مشاعر الحقد عند الفريق الآخر من الأمراء ، وبدت نواجز الشر تتطاير رصاصا ، فحسب الوفد في البداية أن اطلاق النار هو من باب الترحيب بهم ، ولكنه تكشف لهم بعد حين ، أنه اعتداء صارخ على وفد المصالحة ، فما كان من الزعماء إلا أن خرجوا مضطربين على جيادهم ، وولوا أعنة خيولهم عن القدموس الى مصياف تلاحقهم سيول من الرصاص ، وتخلف عن الركب في القدموس اسماعيل باشا جنيد ، بسبب اصابة جواده برصاصة وخرج طه بن محمد طه لمساعدة الباشا، فأصيب بطلق أرداه قتيلا ، فصاح والده محمد طه لاسماعيل باشا : « لا عليك يا باشا ابني اليوم هو ذبيحتك ، ولن تخرج اليوم فأنا أخشى عليك منهم » ، ودارت بين القدموسيين معركة سقط خلالها العديد من القتلى ، وعشرات الجرحى من الطرفين،وجاءت جموع عشيرة اسماعيل باشا تستفسر عن سبب تخلف سيدهم ، وقد ذهب بهم الروع أن يكون مصابا بأذى ، وقد وضعوا في حسبانهم غزو القدموس وتدمير المدينة ثأرا له • ولكن السيد جنيد كان على دراية بالأمر وحسب لذلك حسابا ، فخرج لأتباعه قبل وصولهم . وأعادهم الى مواقعهم على جدران أسوار القدموس ، كان من القتلى في تلك

الليلة خمسة أشخاص هم الامير مصطفى الامير أسعد وعبد الستار عطفه وطه محمد طه وحسين الجندي وابنة محمود حميدة الصغيرة •

نتيجة لما سبق، ساءت أحوال القدموس ، وتردت الحياة الاجتماعية فيها ،ولم تجد تدخلات السلطة العثمانية ، وزاد من تردي الاحوال اندلاع الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ م ، وتأزمت الامور لوقوع الدولة في حالة حرب (السفربر) •

وأعقب ذلك دخول الفرنسيين الى سواحل بلاد الشام ، واعلان الثورات ضد المستعمر الجديد ، وكان سكان القدموس في موقفين مضادين، فحزب الفلاحين يريد مناصرة الثورة العربية في الجبل بشخص الشيخ صالح العلي ، ولكن الأمراء كانوا أيضا في موقفين منقسمين على بعضهم ، قسم يريد الوقوف على الحياد وأما القسم المتطرف ، دخل الى جانب الفرنسيين ضد الفلاحين ، مما أوقع مدينة القدموس ببلبلة كان من نتائجها الهجوم الفرنسي عليها واحتلالها ، وأصبحت الحياة غاية في الصعوبة ، مما أدى بالعديد من الأسر ، الى أن ترحل عن هذا الجو العاصف الى مصياف ثم الى سلمية على مدى عام ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ م ، وكانت الأسر الوافدة الى سلمية خلال ذلك هي :

آل الزير وآل قداح وآل عزوز وآل العامود وآل شميسن وآل شاهين وآل دعاس وآل بصل وآل الخطيب وآل درويش وبعض من أسرة الأمير تامر وآل شحادة وآل وسوف وآل شمة وآل قنوع الذين ذهب بعضهم الى دمشق وهم الآن يعملون في المسارح الفنية ، وآل حبيب وآل الزلة وآل بصو والعديد من الأسر الصغيرة ، وفدت هذه الأسر الى سلمية تباعا وابتنت بيوتا لهم غربي سلمية ثم غدت هذه البيوت حيا يطلق عليه اسم حي (القدامسة) وانسلخت هذه الأسر عن القدموس لتصبح جزءا فعالا في المجتمع السلمي وطاقة فعالة حيوية فيه •

رحلة سكان قلعة العليقة الى القدموس فسلمية ١٩٣٢(١) :

تقع قلعة العليقة في الجانب الثاني من الوادي الكبير الذي يفصلها عن القدموس، وذلك الوادي الذي يسميه أبناء تلك المنطقة (وادي جهنم) ،وهي في الشمال الغربي من القدموس شرقي بلدة العنازة • كان يسكن هذه القلعة حتى عام ١٩٣١ م عدة أسر ترتبط بعلاقات القرابة مع القدموسيين ولكن ليعدهم يشعرون بالوحدة والبعد والانعزال ، لذلك طلب ساكنو قلعة العليقة من السيدين توفيق طه وحسن الحاج ابراهيم،وكلاهما من القدموس مساعدتهم في بيع أملاكهم في هذه القلعة ليتسنى لهم الرحيل الى القدموس ، وجاء عرض السيد عبد الله الياس ، وهو مواطن من مدينة بانياس ، يبدي استعداده على شراء هذه القلعة ، ثم تمت الصفقة وقيمتها خمسة آلاف ليرة ذهبية ، ولكن السيد عبد الله الياس لم يستطع أن يؤمن المبلغ كاملا ، مما دعاه لمشاركة أقربائه بهذه الصفقة ، وبيعت على الشكل التالي ، نصف القلعة للسيد عبد الله الياس،والنصف الثاني للسيدين غانم الياس واسكندر غانم ، ثم اشترى فريد الياس حصتي اسكندر وغانم ، وهكذا تم خروج ساكني القلعة الاول ، ورحلوا الى القدموس وهم آل عادلة وآل حمود وآل عبدو وآل البهلوان • وعندما وصلت هذه الأسر الى القدموس ، كان الجو في المدينة مشحونا بالمشاكل ، فآثرت بعض هذه الأسر الرحيل الى سلمية ، فرحلت أسرة آل عادلة وآل عبدو ، واستوطنوا في سلمية وتابع آل عبدو رحيلهم ، فاستوطنوا قرية المبعوجة ، وابتنى آل عادلة منازلهم في حي القدامسة في سلمية ليصبحوا من مواطنيها •

وهكذا أقفرت قلعة العليقة من مواطنيها القدامى •

---

(١) شارك في معلومات هذا النص السادة : الامير محمد ملحم ومحمد طنجور واحمد المسلخ وحمدو حمود وعلي مقداد وخضر أمين والشيخ علي عيدو وكلهم من (سلمية) •

الادارة العسكرية في سلمية :

حسب مقتضيات الفرمان السلطاني الصادر من استنبول عام ١٨٤٨ م، والذي بموجبه بنيت سلمية الحديثة ، والذي نص على عدد من البنود سهلت بناء سلمية وجعلت هذه المدينة تحكم نفسها بنفسها بعيدة عن تدخل السلطة في شؤون ادارتها ، أو الدفاع عنها وتمويل حاجاتها تمويلا ذاتيا ، فسلمية حسب فرمان الاعمار هي مدينة مستقلة ذاتيا ضمن أملاك الدولة العثمانية ، وبقيت تعيش حسب نص الفرمان حتى عام ١٨٩٤ م ، إذ اتخذت متصرفية حماة اجراءا لحفظ الامن في المدينة بوضع ادارة عسكرية دائمة فيها ، وكان سبب هذا الاجراء ما يلي :

كان الامير سليم من أبناء عم آل الامير اسماعيل ، وقد تخاصم مع آل دندي ، وشعر آل دندي كأن ظلما وقع عليهم من الامراء ، فسعوا الى متصرف حماة يشكون أمرهم مع آل الامير سليم وجماعتهم،فاتخذ متصرف حماة أمرا عاجلا بارسال ثلة من الجند لحفظ الامن ، ونزل الجند في قلعة سلمية ، واحتلوا الطابق العلوي ، ولما رجع الامير اسماعيل بن محمد متصرف حماة بأمر الجند في سلمية ، وكان الجواب : ان ذلك إجراء مؤقت لحفظ الأمن والنظام .

ولكن أمر الجند العثماني في سلمية طال حتى عام ١٨٩٦ م ، ولدى مراجعة الأمير اسماعيل بن محمد متصرف حماة ثانية أجابه : ان حكومة الباب العالي أقرت طلب الوالي في دمشق بجعل سلمية ذات ادارة عسكرية عثمانية ، حتى يتسنى للدولة التدخل في شؤون البدو،عند احتدام خلافاتهم الكثيرة ، فما كان من الامير اسماعيل ، الا أن يسعى الى الباب العالي لرفع الادارة العسكرية عملا بالفرمان السلطاني القديم ، ورافق رحلة الأمير اسماعيل الى استنبول صديقه أسعد ياغي ، ولدى وصولهما الى الأستانة عام ١٨٩٨ م ، وعزم الامير تقديم (معروض) الى الباب العالي ، فوجيء

بجواب الباب العالي باتهام الامير اسماعيل باشاعة الفوضى في سلمية وإخلال الأمن فيها ، وعليه أن يمثل أمام القضاء في المحكمة العليا ، وأمام هذا الاتهام ، كان على الامير اسماعيل أن يهرب من محاولات اعتقاله ، واتجه الى الهند بمرافقة صديقه أسعد ياغي ، قاصدا توسط الإمام سلطان محمد امام الطائفة الاسماعيلية لدى الدولة لازالة الادارة العسكرية،ولكن الأمير اسماعيل أصيب بحمى شديدة بعد مدة من وصوله ، وتوفي على الأثر ودفن في الهند وعاد السيد أسعد ياغي ينقل خبره الى سلمية .

وهكذا بقيت الادارة العسكرية في سلمية وفي عام ١٩٠٦ م ، رفعت سلمية من الادارة العسكرية الى الادارة المدنية ، بتعيين الامير اسماعيل الشهابي من أمراء لبنان مديرا عاما لمدينة سلمية .

رفض الامير اسماعيل الشهابي أن يتخذ قلعة سلمية مركزا له ، وطلب من متصرف حماة السماح لـه ببنـاء (دار للحكومة) في سلمية ، وتمت الموافقة ، وشيد الامير اسماعيل الشهابي دار الحكومة على شكل قصـر مكون من طابقين ، السفلي وهو مركز الادارة ، والعلوي وهو منزل المدير، وعلى هذا سحب أكثر حجارة البناء من القلعة وسورها ، وتم تهديم الجزء الأكبر من القلعة لانجاز بناء الأمير اسماعيل الشهابي والمعروف اليوم باسم (المخفر) ،ولم يبق من قلعة سلمية سوى جدار كان جزءا من بناء السجن تكشف الجدار الذي حافظت عليه مديرية الآثار بحماة كجزء من قلعةسلمية الأثرية ، وهذا الجدار يحمل الى اليوم مزغلا دفاعيا ، (انظر صور الجدار) فيما تقدم من بحث عن قلعة سلمية الأثرية) .

استمرت الادارة السياسية في سلمية حتى ما بعد الحرب العالميـة العالميـة الاولى ، حيث أقرت حكومـة فرنسـا الاستعمارية جعل سلمية (قائمقامية) نتيجة لتوسعها عمرانيا وأهميتها كمركز في بادية الشام لاقرار الأمن الذي غالبا ما يكون غير سائد بسبب القبائل البدوية المتصارعة .



بوابة قصر الأمير
اسماعيل الشهابي
من الجهة الغربية



جانب من قصر الأمير اسماعيل الشهابي من الجهة الشمالية

اسر حموية وحمصية تستوطن سلمية(١)

في حوالي ١٨٧٠ م أخذت سلمية شكلها كمدينة آهلة السكان ، وأخذت في الازدياد ، وقد تناثرت حولها مجموعة من القرى كالكافات وصبورة ، مما جذب اليها الباعة المتجولين ، والذين كانوا عادة يخرجون من مدينة حماة ، وينتشرون بين مضارب البدو في موسم التغاريب ، فقد أصبحت سلمية نفسها تستقطب أمثال هؤلاء الباعة الذين أخذوا يدأبون في غدوهم ورواحهم صوبها كلما سنحت لهم الفرص ، وقد ربطت المعرفة والصداقة بين السلميين وبعض هؤلاء الباعة الذين جذبوا معهم بدورهم العمال الموسميين العاملين في التجارة والحدادة وصناعة الفروات واللبابيد ، فكان ما يلاقيه هؤلاء الصناع من حفاوة أن بعضهم تشجع للسكنى في سلمية ، يعملون في متاجر صناعية وحرفية ، وأول بوادر هذا الاستيطان كان أسرة آل النجار الذين عملوا في نجارة المحاريث الخشبية ، وآل مسعود الذين عملوا كحدادين وآل الحجار وآل صالح الدب ، ولاقت هجرة هذه الأسر من حسن المعاملة والربح مما شجع أسرا أخرى للاستيطان ، حيث وفدت بعد ذلك أسرة آل الدبساوي الذين شاركوا السلميين في دفع الدية المتعارف عليها ، وكذلك آل الصباغ وآل العطار وآل البرادعي وآل قلفة ، لكل أسرة عمل ومهنة،وعندما أصبحت سلمية ذات ادارة عسكرية وحكومية، جاءت اليها أسرتا البرازي وأورفلي كموظفين حكوميين ، ومن ثم استوطنوا سلمية نهائيا ، وقد توارد مجيء الاسر كآل الخباز وآل فاخوري ، وكذلك آل القضماني ، وكذلك آل أدلبي الذين عملوا في خدمة آل الامير ميرزا ، ثم استوطنوا سلمية،وعندما دخلت السيارات الى مدينة سلمية عام ١٩٣٠م، استوطنت في سلمية أسر جديدة تعمل في اصلاح هذه السيارات (ميكانيك)

---

(١) شارك في معلومات هذا النص السادة : الامير محمد ملحم ومحمد طنجور واحمد المسلخ وحمدو حمود وعلي مقداد وخضر امين والشيخ علي عيدو وكلهم من (سلمية) .

السيارات من أمثال آل جحا وآل سعدو ، ورافقت هاتين الاسرتين أسرة آل برو ، حيث عملت في الحلاقة ، وعندما استصلح حمام سلمية الأثري ، وأصبح جاهزا للاغتسال ، جاءت أسرة آل خلودي يعملون فيه ، وهكذا تكون كل الأسر المار ذكرها قد وفدت الى سلمية قادمة من مدينة حماة •

وقد جذبت سلمية عددا من الاسر،وفدت اليها من مدينة حمص لنفس الأسباب التي وفدت اليها الأسر الحموية كأسرة آل الحاج أسعد وآل حمصي اللتين سكنتا فترة في سلمية ثم عادتا الى حمص ، وكذلك جرى لآل البيطار وآل الدباغ الذين رحلوا عن سلمية عند بوار صنعتهم •

وهناك عدد من الاسر جاءت سلمية من مناطق خارج مدينتي حمص وحماة ، من أمثال آل الحلو الذين جاؤوا من مصياف الى حماة ثم الى سلمية ، وكذلك آل بعريني الذين جاؤوا من بعرين (الرفنية) ، وكذلك آل العطار وآل عسكر الذين جاؤوا ليديروا في سلمية مطحنة تدار على المحركات الانفجارية ، وهم أصلا من قرية القريتين •

تدل الدراسات التي تميز بها كل سلمي ، تماما كما عامل السلميون البدو ، عاملوا الأسر الوافدة اليهم بروح من المحبة والاخوة ، على هذه المباديء انتشرت الحياة في ربوع سلمية الحديثة •

الفصل السادس

دراسات في المجتمع السلمي

نمــاذج البنــــاء وتطـــوره

القبــة المخروطيــة :

هي النموذج الاول للبناء ، وهي مخروطية ذات قاعدة دائرية ، وسبب اتخاذ هذا النموذج بداية لبناء سلمية الحديثة ، يعود لأسباب أهمها :

١ ــ سهولة البنــاء : ان بناء قبــة لا يكلف أكثر من صف اللبنات المصنوعة من الطين والتبن بشكل دائري تضيق تلقائيا حتى تختم في الاعلى بحجر يسميها العامة (خوري القبة) •

٢ ــ عدم التكلفة : فهي لا تكلف خسارة مادية إلا لباب بسيط يفتح في بعض جهات القبة ، كما أنها ليست بحاجة لنوافذ ولا لسقف خشبي ، فالنوافذ عبارة عن كوى صغيرة ، تغلق في الشتاء بالطين وتفتح في الصيف ، وأثناء البناء تغرس في الجدران حجارة مستطيلة بارزة خارج الجدار بشكل دائري أو حلزوني ، تكون هذه الحجارة بمثابة درج ، يساعد على التسلق الى أعلى القبة لطلائها بالطين في خريف كل عام •

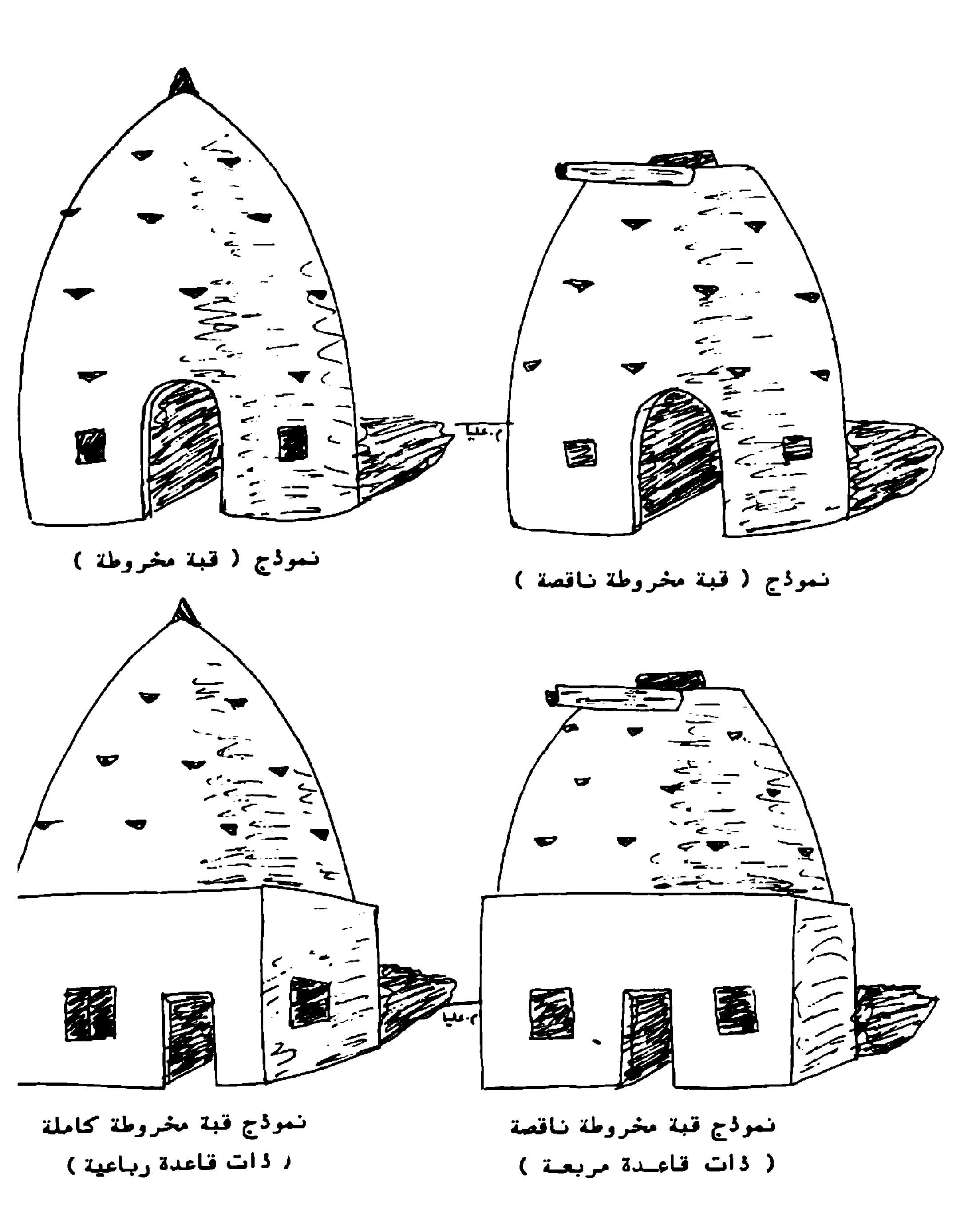
القبة المخروطيــة الناقصــة :

هي عبارة عن تطور أدخل على نص النموذج السابق ، وذلك بجعل

سطحها مقطعا مسطحا على ارتفاع ما يقارب أربعة أو خمسة أمتار ، وعندئذ تسقف القبة بعدد من الاخشاب القصيرة ، وتوضع فوقها حزم من القش (البردي أو الجراح) المائيين ، ثم تغطى بالطين بعد أن تغطى بطبقة من الرماد ، ويمدد لها مزراب طويل ، بشكل لا يلامس ملؤه في أيام الشتاء جدران القبة ، بينما تبقى الأسس السابقة في النموذج الاول على حالها كالباب وحجارة التسلق وكوى التهوية الصيفية ، ويعود ادخال السطح الى القبة دلالة الرفاه وارتفاع المستوى المعاشي ، وذلك من خلال تأمين الاخشاب للسطح ، وذلك اما بشرائه من احدى مدينتي حمص أو حماة ، واما باقتطاعه من غابات جبال البلعاس .

القبة المتطورة ، ذات القاعدة المربعة :

هذا النموذج هو خليط بين نموذجين رئيسيين هما نموذج القبة العادية ، والغرفة المربعة ، وقد مزج النموذجان ، على الشكل التالي ، تبنى القاعدة عادة على شكل أساس لغرفة ذات جدران رباعية ، تعلو على هذا الشكل حتى ارتفاع مترين أو أكثر بقليل ، ثم يشرع بالبناء الدائري ، بعد اغلاق الزوايا الرباعية بعوارض تساعد على اقامة قاعدة الدائرة ، حيث يرتفع البناء الى حوالي ثلاثة أمتار بشكل قبة ، ويغدو البناء بأكمله ذا ارتفاع يقارب ستة أمتار ، أو أقل بقليل ، اذ ينتهي البناء بقمة مخروطية ، حسب النموذج الاول ، أو بمقطع مسطح حسب النموذج الثاني ، وميزة هذا البناء هو استقامة الجدران السفلية بشكل يتسنى لاصحابها أن يفتحوا نوافذ ذات مصراع أو مصراعين من الخشب ، بدلا من الكوة ذات الطابع الضيق ، وهذان النموذجان يوفران على ساكنيهما الخشب في السطح الذي تتطلبه عادة الغرف المربعة الكاملة ، وباستحداث السقف حسب النموذجين السابقين نكون قد أتينا على نماذج البناء الاول لساكني سلمية الحديثة من القباب بأنواعها .



نموذج (قبة مخروطة ناقصة)

نموذج (قبة مخروطة)

نموذج قبة مخروطة ناقصة
(ذات قاعدة مربعة)

نموذج قبة مخروطة كاملة
(ذات قاعدة رباعية)

ولقد كانت كل الابنية في سلمية وريفها قبل عام ١٨٧٠ م من النماذج الثلاثة ، حتى أن الدولة العثمانية شرعت في حوالي ١٩٨٥ ببناء مجموعات من هذه القباب على أنساق في كل من قريتي صبورة وجدوعة ، لتشجيع الناس على سكنى المنطقة ، وسميت هذه القباب إذاك بالقباب السلطانية .

وأخذت نماذج القباب تختفي تدريجيا ، ويضمر عددها كلما تحسنت أحوال السكان الاقتصادية ، وذلك بظهور نماذج جديدة من الابنية المربعة.

الابنيــة المربعـــة :

أكبر الدلائل على تحسن الاحوال الاقتصادية في المجتمع السـلمي ، نظرا لارتفاع تكاليفها نسبيا عن تكاليف بناء القباب ، وللأبنيـة المربعـة نماذج متعددة :

أولها : البناء المربع ذو القنطرة :

يعتبر إدخال القنطرة في البناء المربع لفتة ذكية ، اذ تدل على بعد النظر، لما القنطرة الحجرية عادة من ميزات ، فهي قوية البناء تتحمل الثقل العلوي المتمركز على السطح ، وتوزعه على ركيزتها ، كما دلت على ذلك الدراسات الهندسية لبناء القناطر عند اليونان وا'' والعرب ،إبان تاريخ حضارتهم المتقدمة،كما هو واضح في بقاياهم ا' في أفامية وبعلبك وتدمر وبارين، وفي بعض القلاع كشيزر وصلاح الد حصن والمرقب ؛ لذلك كان ادخال نموذج القنطرة كدعامة للبناء المربع يدل على ذكاء وبعد نظر .

ففي الابنية ذات القنطرة أو القناطر المتعددة ، كان يشرع ببناء القنطرة أولا بأول ، ثم يبدأ المعماري في البناء حولها مع ربطه بها عند قاعدتيهـا ، وهكذا يصبح ثقل سطح الجدران العلوية على ركيزتي القنطرة ، وعندمـا يصبح البناء بمستوى ارتفاع قوس القنطرة الاعلى ، عندئذ تبدأ عمليـة السقف ، حيث تبدو القنطرة متوسطة البنـاء ، وعليها تستند الاخشـاب

القصيرة من جهتيها ، وعند اكتمال صف الاخشاب ، يغطى السطح بأكمل بالقش المائي المعروف (القصب والبردي والجراح) ، ويدك التراب فو هذه الاعشاب مع الرماد ، ثم يطلى السطح بالطين مع انحداره نحو المزاري لتصريف مياه السطح شتاء •

أما من الداخل فيطلى البناء بالطين ثم يغطى بالكلس المذاب بالم (الحوارة) حتى يغدو البيت أبيض ، كما عمد الكثير من المواطنين لفت نوافذ ، وتكون عادة مصاريعها من الخشب ، وقد أدخل لها الزجاج متأخر وهذا النموذج من البناء متطور،إذ شوهدت نماذج متطورة ، وذلك بادخ أكثر من قنطرة في البيت الواحد وهذا بين عامي ١٨٩٠ ــ ١٩٢٠ م وه ما جعل البيت أكثر اتساعا وفي سلمية بناء فيه أكثر من ــ٦ــ قناطر ك مسجدا قديما والآن فيه تعاونية النسيج •

نماذج الدور (الحوش) :

عندما تكاثر المساكن ، أخذت كل أسرة تستقل في مسكنها بين سور خارجي يحيط بجميع أبنية الاسرة،وكان هذا السور عادة على الش التالي : قاعدته من الحجارة كأساس ثم يبنى فوقه باللبنات الترابية •

شكل الباب :

حاجة الفلاحين الماسة جعلت لباب الدار نموذجا معينا ، هو نموذ مواصفات معينة من حيث الاتساع عرضا وارتفاعا ، حتى يكون م لادخال الحيوانات والعربة فيما بعد ، والخيول محملة،لذلك ظهرت الا العريضة ذات المصراعين ولكن استعمالها تكشف أنها غير عملية للأس التالية:١ ــ أنه دائم الانفتاح للطفل كما هو للجمل • ٢ ــ أنه دائم الت بسبب صفق الهواء له •



صورة لشكل الباب العريض

وكانت الحاجة ضرورية لابتكار الباب الواسع ذي المصراع والمتضمن بوابة صغيرة معلقة بالباب يسميها العامة (خوخـــة) النموذج أنه عملي موافق للحياة الزراعية ، فالبوابة يمكن فتحها دائماً ، أما الباب الكبير فلا يفتح الا عند الحاجة،وللبوابة رتاج آل لايؤثر عليها قوة الريح •

ساد هذا النموذج أبواب الدور في سلمية وريفها ، ولا يزا في المساكن التي يعمل أصحابها في الزراعة ، وحتى تكون صناعة ، الأبواب متينة ، فإن خشبها ينتقى من الانواع القاسية السميكة فوق الخشب رقاق من الحديد أو التوتياء على الوجه الخارجـ مسامير ذات رؤوس كبيرة تسمى (ذات طبلية) •

تطور البناء المربع :

أول مظاهر هذا التطور في البناء ، ظهور الغرف المزدوجة والمسماة عادة (العلية) ، فقد أخذ الموسورون من السكان يبنون غرفة ذات جدران عريضة ، ويقيمون فوقها بناء ثانيا هو العلية ، ولهذه العلية نموذجان :

١ ــ العلية فوق غرفة : تقوم العلية فوق غرفة ، تكاد تكون الغرفة قبوا لانها قليلة الارتفاع ، وتنتصب العلية فوق جزء منها بحيث يبقى الجزء الآخر عبارة عن فسحة أمام العلية ، ويصعد الى العلية بدرج بناؤه من اللبن على الحواشي ، وأما داخله فيملأ بالتراب المدكوك ، لذا يسمى هذا النوع من الدرج (الدرج الدك) وتكون جدران العلية عادة مبنية من لبنة واحدة ، وتفتح لها عدد من النوافذ ، مما يجعلها خفيفة على البناء الذي تحتها .

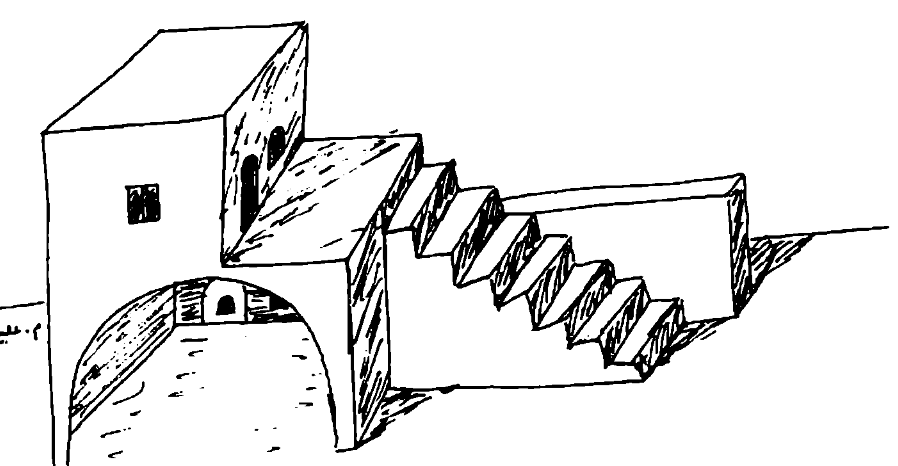
٢ ــ العلية فوق البوابة : هذا النموذج أكثر شيوعا في سلمية وريفها ، إذ يقوم فوق الباب الكبير الذي يمتد بناؤه الى الداخل ببناء ذي جدران سميكة وقوية ، مسقوف بالخشب القوي والقصب ، وهذا ما يطلق عليه عادة اسم (الرواق) ، وفوق هذا البناء (الرواق) تقوم العلية ، وكالعادة على جزء من سطح البناء وممرها ، والجزء الآخر يشكل فسحة أمام العلية ، كما يبنى الدرج على جانب البوابة من اليمين من سطح الرواق أو يساره وبنفس الطريقة السابقة .

شكل العلية :

تكون العلية عبارة عن بناء صغير الحجم ، اذا ما قيس بالابنية الارضية ، فجدرانها تبنى من لبنة واحدة بدلا من لبنتين أو لبنة ونصف ، وسقفها من الخشب والقصب ، والمطليان من الاعلى بالطين ، وللعلية باب وعدد من النوافذ المتقابلة ، وذلك لتخفيف الثقل على ما تحتها من بناء .

م. عليا

(العلية فوق البيت)



(العلية فوق الرواق)





(بيت حجري مع ليوان)

تطور البناء بعد عام ١٨٩٠ م تطورا كبيرا ، فقد تقلص السكن في القباب بظهور البيوت المربعة ، وبالأخص في مدينة سلمية ، وتعدد تواجدها في الدار الواحدة ، بينما اقتصروا استعمال القباب بعد ١٩١٠ م لوضع التبن والاعلاف ، وصغر حجم العديد من القباب فأصبح اسمها (قبيبة) ، واقتصر استعمالها لوضع المحروقات من أمثال (القصرينة والبعر والجلة)[1] ، وذلك عندما تحولت البيوت ذات القناطر الى بيوت تموينية ، بينما اقتصرت الغرف الحديثة لسكنى السكان ، بعد أن تحسنت أحوالهم بعد عام ١٩٢٠م اذ أصبحت أبوابها مزدوجة وغدت النوافذ ذا تمصاريع زجاجية ، وقديجعل الزجاج ملونا ، كما زين الفلاح داره بزراعة بعض أنواع الورد والحبق ، يزرعها في أحواض قرب غرف سكناه ، وتسمى هذه الاحواض (حواش) ، ويحميها عادة بأسيجة من الشوك ، اذ لولا هذه الحماية لأتى عليها الدجاج والدواب أكلا وتخريبا،ولكن عام ١٩٣٠م رافقته ظهور تطور جديد فيالبناء.

الدور المزدوجة :

هذا النموذج من البناء يدل بشكل قاطع على بوادر دخول المدنية والتطور الى ربوع المجتمع السلمي ، وذلك في نهاية الحرب العالمية الاولى حيث انقضى الى غير رجعة الـ (سفر برلك) ،وزالت الظروف الحربية ، وبدأت أنسام الحرية تنساب بعد زوال الكابوس العثماني المتمثل بالجندية الاجبارية والضرائب والسخرات والمصادرات التي لا نهاية لها ، وفي اقتضاء تلك الظروف ، بدت تتحسن الاضاع الاقتصادية ، مما جعل بعض الاسر

---

(١) القصريته : وهي نوع من القش الثخين الذي لا تأكله الحيوانات فيستعمل للاحراق ، البعر : وهو روث الاغنام والماعز والابل ويستعمل للاحراق بعد الجفيفه ، الجلة : وهي مكونة من روث الخيول والابقار والحمير مخلوطة بالتبن ، ومصنوعة على شكل اقراص تجفف وتحرق .

تعمد الى فصل دورها الفلاحية عن دور سكنها ، حيث أصبح للدواب دور خاصة ، فيها الزرائب ومخازن العلف والتبن ويسرح فيها الدجاج الى جانب الغنم والماعز ، بينما بدأ القسم الثاني من الدور ، والذي تسكنه الاسرة جزءا نظيفا تزين فسحته أشجار الرمان والكرمة وأنواع من الورود تتوارى بينها بعض من خلايا النحل ، وهكذا ظهر السلمي الموسور أشبه بساكن المدينة المتحضر •

يشمل دار السكن عادة غرفا للنوم والجلوس ، وكان لا بد من وجود غرفة ذات باب خارجي هي غرف الاضياف (المنزول) ولها باب داخلي على الدار ، في هذه الغرفة هيئت كل ما يريح الأضياف من وسائد ومفروشات يتوسطها عادة منقل للنار تعلوه (دلال) القهوة المرة ، ولايزال في سلمية الى يومنا من أمثال هذه المضافات عند العائلات العريقة ، هذا النموذج من الدور لم يقتصر على مدينة سلمية فحسب،بل سرعان ما انتشر خارجها في الريف بعد حوالي عشر سنوات •

أما دور الدواب ، فلها الاخرى نموذج موحد ، فهي تحتوي على اسطبل كبير يستوعب دواب الفلاح ، ويجاوره مخزن الأعلاف ، اما أن يكون بيتا كبيرا أو قبوا ، واذا كان بيتا فيجعل سقفه على شكل (جملون) ،أي ذو سطح مائل تحاشيا لتسرب الماء الى العلف أيام المطر ، ولا تخلو دار الدواب من حظائر الاغنام والماعز على شكل (سقيفة) وتتكون من أعمدة وعوارض تعلوها عادة عيدان أشجار العنب المقطعة والمسماة (جرزون) ، وخم للدجاج ، وتعلو السطوح أبراج للحمام ، يحيط ذلك كله سور له بابان ، باب صغير ينفذ الى دار السكن ، وباب كبير ينفذ عادة الى خارج البناء ، بحيث يمكن ادخال العربة والدواب ولو كانت محملة •

وهكذا اتخذ هذا النموذج نمطا تطور خلال فترة ما بين الحربين العالميتين ، ليصل الى تغيير مادة البناء الترابية ، بمادة الحجر بنمطيها المنحوتة

المربعة أو (الكتل) ، وهكذا يدخل المجتمع الملي مرحلة جديدة هي مرحلة البناء بالحجارة .

المساكن الحجرية :

تدل هذه المساكن على ازدياد الاحوال الاقتصادية تحسنا وتقدما ، وتأتي هذه المرحلة في الثلاثينات من هذا القرن وقبيل الحرب العالمية الثانية.

بديء في هذه المرحلة ببناء غرف منفردة في دار السكن من حجارة على نوعين حجارة مجموعة (كتل) وهي تجمع من الجبال وتنقل ، ولها طبيعة سوداء بازلتية ، أو حجارة مقطوعة من الجبال نفسها ، والفرق بين كلا النوعين : أن الحجارة المقطوعة منحوتة على أساس رباعي يسميها العامة (حجارة موجهة) ، وتبنى الغرف الحجرية من النوعين ، بشكل أن تكون الحارة المجموعة من الجهة الداخلية للجدار ، والحجارة المقطوعة من الجهة الخارجية كواجهة ، وميزة هذه الغرف أنها ضخمة البناء والجدران وترتفع الى أكثر من خمسة أمتار ، أما السطوح فهي اما من الخشب (السطام) بشكل أساسي ثم خشب (اللاط) ، وبعدها توضع بقايا نباتية ويطلى السطح من الاعلى بالطين ثم حول فيما بعد فأصبحت السطوح تطلى بالاسمنت ، وبعد هذه المرحلة ظهر نموذج حجري جديد هو :

الغرفتان والليوان :

هذا النموذج هو أكبر الدلائل على اضطراد التقدم والتحسن الاقتصادي ، ففي أواسط الثلاثينات من هذا القرن ، تطورت الاحوال الاقتصادية ، وازداد المدخر المالي ، مما دفع الى التوسع في البناء الحجري على نموذج غرفتين باتجاه واحد يفصل بينهما غرفة مفتوحة الى داخل الدار بشكل قنطرة ، وتكون واجهة البناء عبارة عن حجارة مقطوعة موجهة ، كما تجعل اطار النوافذ والقنطرة من الحجارة البيضاء والمستحضرة من أماكن

بعيدة كمدينة (محردة) ومدينة (كفر بهم) امعانا باظهار الامكانات المادية والتقدم والفن ، ويجهز البناء عادة بأبواب تطل على فسحة الدار أو تطل على الليوان ، ونوافذ عديدة باتجاهات متعددة بمصاريع زجاجية •

وقد تطور هذا البناء ليلحق به أكثر من غرفتين وثلاث أو أربع ، كما تطور سقف هذا البناء من الخشب الى الاسمنت المسلح ، والذي تبعه في التطور طلاء الجدران وأرضية الغرف بمادة الاسمنت وزركشة البناء بالدهانات المتنوعة ، وقد أدخل مؤخرا في تنضيد أرضية الغرف بالبلاط وفي المظاهر الهندسية أ والنباتية الملونة •

كما ظهرت عتبة أمام الغرف وتعرض أحيانا ، حتى تصبح سطحا مرتفعا عن أرضية الدار وتسمى عند العامة (المصطبة) وتبنى حواشيها وتغطى بالاسمنت أرضيتها ، وعلى هذه المصاطب يطيب السهر في الليالي المقمرة من فصل الصيف •

الابنية الحديثة

الشقق ، الطوابق ، الفيلات

الشقق :

بعد الخمسينات ، بدأت تظهر في ربوع سلمية العديد من الابنية الحديثة ، والمكونة من طابق واحد ذي بوابة واحدة يتوزع حول هذه البوابة شقتان أو أكثر ، وقد اتخذ هذا النموذج الحديث بعد دراسة اقتصادية هندسية قصدها الاستفادة من الجدران المشتركة لتقليص الكلفة التي غدت في تزايد وغلاء ، بفعل الطلب المستمر على البناء ، ولهذا ظهرت الابنية ذات الهندسة المدروسة والمخططات المرسومة على الورق ، والتي تأخذ طريقها للظهور على الطبيعة ، هذه المرحلة غدت دافعا للتقدم في البناء بظهور نموذج أكثر تطورا وتعقيدا لاحتوائه على عدد من الطوابق •

الابنيــة ذات الطوابــق :

اتخذت هذه الأبنيــة هدفا هو الاستفادة من الاســطحة الاســمنتية المسلحة ، في الاقلال من تكاليف بناء الاساس والدعامات ذات التكاليــف الكبيرة ، كما أنها تدل على تطور أكبر في بنــاء عدة طوابق فوق بعضها ، فظهرت أبنية عديدة على هذا النمط وسط سلمية سامقة البنيان ، ترتفع فوق الدور الممتدة على السهل الفسيح بطابقين أو ثلاثة ، كأنها الجبابرة بين الأقزام ، ويظهر أن مثل هذه النماذج قد توقفت فيما بعد بسبب التكاليف المرتفعة ، وعدم ملاءمتها للحياة الزراعية مما شجع على ظهور النباء الاكثر تطورا وملاءمة للحياة المعاصرة وهو ما يسمى اليوم (الفيلات) •

الفيــلات :

وهي أبنيــة من طابق واحد أو طابق يرتفــع فوق قبو محفور تحت الارض ، هذا البناء له ميزات أهمها ، أنه يلحق به عادة حديقة وفسحة دار مزينة بالبلاط المنضد على أرضيتها بشكل هندسي فخم يتوسطها بركة ماء مكللة بأنواع من النباتات المتسلقة ذات الورود الجميلة كالياسمين أو الورد الجوري ، وفي جانب من فسحة الدار يتواجد عادة مسبح صغير يكون متعة لاصحاب الفيلة في أيام الصيف القائظة •

وغالبا ما تقام مثل هذه النماذج قرب الاراضي الزراعية ، مما يكسبها جوا شاعريا جميلا ، وتعتمد هذه النماذج على آخر ما وصلت اليه تطورات الابنية المعاصرة في المدن ، ولذلك عكست صفات هامة لساكنيها ، كونهــم أسرا موسورة الحال ذات دخل مرتفع ، ومثل هذا البناء يستوعب غرفــا موزعة للنوم والمكتب والضيافة وردهات ومطبخ وغرف مزدوجة بــأبواب (جرارة) يسميها العامة (صالون) ، وفي مثل هذه النماذج تبدومظاهر البزخ والترف بما تحتويه من دهانات متنوعة وبلاط مرتفــع الكلفة ذي رسوم ومظاهر تدل على الذوق الرفيع •

ان د لهذا النموذج ، انما يدل على اليسر والرفاه الاقتصادي والفني المادي الذي وصل اليه السلميون في الربع الاخير من القرن العشرين ، والتطلع الى ماوصل اليه العالم خارجا من تقدم تقني في فنون العمارة ومجاراته بنفس الخطوات والاساليب •

الالبسة والازياء

هذه الانماط المتباينة من الالبسة ، والتي تظهر في أشكالها وأنواعها سواء كانت للذكور أن للاناث طرأ عليها العديد من التبدلات والتعديلات شأن كل (الموديلات) الحديثة والقديمة ، وذلك حسب التأثيرات الدافعة للتغيير بنوعيها الخارجية المقتبسة والبيئية المنسجمة ، فقد تغيرت الأزياء وتبدلت ، ودخلت عليها أنماط عديدة ، إلا أن الشيء المميز لريف سلمية عن المدينة هو أن الحجاب لدى المرأة السلمية لم يدخل الريف اطلاقا ، وحتى في المدينة نفسها ، كان الحجاب أبعد عن المرأة ، الا في نطاق ضيق جدا ، ولفترة قصيرة ، وسرعان ما عادت المرأة في سلمية الى سفورها المحتشم •

ولدراسة أنواع الالبسة والازياء السلمية ، لا بد أن نعرف التيارات المؤثرة عليها ، فقد جاء سكان سلمية من الجبال بزي الجبال ، ولما استوطنوا سلمية ، أصبحوا تحت تأثيرين رئيسيين هما :

١ ــ تأثير البادية

٢ ــ تأثير المدن المجاورة كحمص وحماة :

لذا يمكن اعتبار التأثيرات في أزياء ساكني سلمية محدودة ضمن هذين النطاقين ، الا أن تأثير البادية كان في البدء أعمق وأهم نظرا لكون الاختلاط مع البدو كان أعمق وأعم في الوقت الذي كان التماس والاحتكاك مع المدن أقل ، حتى الحرب العالمية الاولى وزوال الضغط العثماني ، حيث بدأت الاعمال التجارية والعلاقات الاقتصادية تتجه نحو المدن ، مما جذب بعض السلميين للاختلاط والتأثر بكل من مدينتي حماة وحمص •

١ ـ أثر الاختلاط على السلميين بساكني البادية :

جاء الرجال الى سلمية يلبسون السراويل السوداء والصدارية ، ويغطون رؤوسهم بالكوفية والعقال ، وكانت الكوفية حمراء من الصوف أو نسيجا قزيا حريريا ، كما أن بعضهم يعتم بالعمامة ، أما النسوة ، فقد جئن يلبسن (التنورة) الطويلة ، ويضعن من الامام قطعة قماش تغطي البطن حتى القدمين يسميها العامة (الحلابة) ويتمنطقن بنطاق من القماش (الشال) ويلبسن تحت (التنورة) سراويل مربوطة عند أرساغ الاقدام (الزم) ، وعلى الرأس حيث استقرت (العصبة) السوداء المغطاة بالغطاء الحريري القزي ، ولكن هذا الزي لم يبق على نمطه ، اذ تسربت اليه التغيرات غداة تسرب التأثيرات قادمة من البادية وساكنيها ، مما يبدو واضحا من اختفاء الزي الذي لاينسجم مع المحيط السلمي الجديد طلبا للتلاؤم البيئي ، وذلك تدعو الحاجة الملحة لاستعراض الأزياء كلها وكيفية تبدلها لدى الرجال والنساء على السواء •

ازياء الرجال :

كان السروال والصدارية لباسين مميزين لسكان الجبال متفقين مع البيئة الجبلية الحراجية ، وقد نقل القادمون الى سلمية نفس الزي ، أما لباس الرأس ، فكان عبارة عن الكوفية البيضاء الحريرية صيفا والحمراء أو السوداء الصوفية شتاء ، وتثبت على الرأس بواسطة العقال الاسود ، أو يمكن استبدالهما بالعمامة •

لكن كل هذه الأزياء بدأت تتبدل لتنسجم مع بيئة سلمية الباردة نسبيا ، فقد دخلت العباءة القصيرة ويسميها الناس عادة (العباءة الزنارية)، وكان لبسها محددا في أوقات العمل الشتوي والأيام الباردة ، بينما يلبسون العباءة الطويلة في أيام العطالة والراحة ، وللعباءة الزنارية ميزات هامة ، فهي تشد بزنار جلدي عريض فوقها ، مما يكسب الجسم تحصينا

ضد البرد أثناء القيام بالعمل ، عدا أنها لا تعيق عن الحركة في الأطراف لأنها قصيرة الى ما فوق الركبتين ، ويبقى السروال الاسود يرتدى أثناء العمل •

أما العباءة الطويلة ،فهي ذات حجم أكبر لانها تغطي كامل الجسم من الكتفين حتى رسغي القدمين ، وقد اقتبس ساكنو سلمية من البدو زي ارتداء الفروة المصنوعة من جلود الحملان تحت العباءة ويقتصر هذا اللباس على أيام البرد وغداة تعطل الأعمال •

وفي أيام الصيف تستبدل العباءة الطويلة : (المزوية) ، وهي لباس يشبه الى حد العباءة الا أنها مصنوعة من وبر الابل الناعم أو من صوف لأغنام ذات الغزل الرفيع ، لذلك تبدو المزوية ناعمة شفافة أحيانا ، ويقصد من لباسها التزين ولدرء أشعةالشمس بالاستظلال بها فيأيامالصيفالحارة•

وبعد مرحلة الاستيطان الاولى ، أخذ السروال الاسود ينحسر تدريجيا لتسود مكانه الدراعة الصفراء أو السوداء ، وهذا اقتباس أخذه السلميون من المحيط البدوي لانسجامه مع الارض السهلية في سلمية ، واتخذت الدراعة عددا من النماذج ، منها الدراعة ذات الكم الواسع (الردانات) ، ومنها ذات الذوائب المتعددة (القفيشات) حتى ليصل عددها أحيانا الى ست ، بينما تتناقص أحيانا الى اثنتين ، وصاحب هذا اللباس التزين بالسلاح كالخنجر بأنواعه الخنجر المنحني والخنجر المستقيم (الشبرية) ، ثم تطور فيما بعد للتزين بالمسدس بأشكال وأنماط متباينة •

كانت القفزة كبيرة عندما أخذ التأثر المدني يدخل المحيط السلمي ، ففي مجال اللباس يكون (القنباز) المصنوع من (الصاي) الحريري أو مظاهر التأثر المدني ، وهو عبارة عن لباس مفتوح من الامام ذو أكمام مفتوحة ، ويلف على الجسد ، ويحزم فوقه بحزام من القماش أو الحرير والمسمى (الشال) ، ويعتبر القنباز مرحلة متطورة في لباس السلميين ، إذ رافقه السروال الابيض ذو القماش (الازارق) ، والذي أخذت تدخله بعض

التزيينات عند القدمين لدى بعض الشبان ، وذلك بشكل مطرزات بخيوط ملونة ، وحل محل العباءة الزنارية لباس من الجوخ المطرز ، والمعروف لدى العامة بـ (القشطية) التي تطرز بالخيوط الحريرية الملونة ، ويمكن لهذا النوع من اللباس أن يلبس على الوجهين فيبدو الجوخ ظاهر أو البطانة أحيانا عندما ترتدى على قفاها وعندئذ يبرز من القشطية جيبان كبيران ، بهذا اللباس غدا مظهر الشاب السلمي بالقنباز والقشطية والعقال الأسود والكوفية البيضاء (الروز) شابا غاية في الاناقة ، فهو أقرب الى سكان المدن منه الى سكان البادية ، وعندما أخذت هذه المظاهر دورها الكامل في حوالي ١٨٩٠ م اعتاد بعض الشباب ارتداء (المزوية) في أيام الصيف ، بعد أن صنعت من شعر الماعز الحريري الناعم ، كما رافق هذه المظاهر المتطورة، اطالة شعر الرأس ، حتى أن الشاب كان يتزين بالضفائر الطويلة شأن شباب البادية ، ويعتني بالناصية الطويلة ويباهي رفاقه ان استطاع أن يلفها وراء أذنه دلالة الذوق الرفيع .

أما بعد الحرب العالمية الاولى ، فقد دخلت تغيرات على اللباس بدخول الجوخ الأوروبي اذ تحولت القطشية الى نوع متطور يسمى (الدامر) ، وهو أشبه بالقطشية إلا أنه أكثر طولا وأكمامه أكثر اتساعا ومفتوحة حتى الكوعين ، وفي الثلاثينات من هذا القرن بدأت الدراعة تصبح لباسا خاصا بالعمل ليحل محلها لباس جديد (الجلابية) ، وهي ثوب مغلق من الامام مطرز على العنق والصدر بشكل أن يحيط الرقبة بقبة مطرزة تمتد الى ماتحت الرقبة حتى آخر الصدر ، وتطرزها بخيوط حريرية ، وقد تكون مذهبة إمعانا في التقدم والرفاه ، ورغم تنوع قماش (الجلابية) فهي أحيانا من الجوخ وأحيانا من الصاي ، وفي الحالتين انما تدل على التقدم والتأثر بالمدينة والابتعاد عن التأثر بالبادية، وفي مطلع الاربعينات، بدأ ظهور الدامر والقنباز من جوخ موحد مما يسميه الناس (الطقم) أسوة بشباب مدينتي حمص وحماة الذين يرتدون اللباس العربي ، وأخذ الدامر يصغر تدريجيا ، وتقصر

أردائه ، وكأنه اتخذ شكلا جديدا يسمى (درداشة) ، كما طرأ تبدل على شكله بأن أصبحت الأزرار تصطف على فتحته الامامية ابتداء من فتحةالعنق حتى آخرها ، ولكن هذا الرداء لم يعمر طويلا ، اذ بدت أرواح التـأثـر الأوروبي الغربي تدخل بسرعة فتبدل الدرداشة (بالجاكيت) فوق القنبـاز أو فوق الجلابية ويصبح الاثنان معا ما يسمى (طقما) من طراز جديد •

أما العباءة الطويلة ، فقد أخذت تتمرض وتتدنى لتغدو لباسا خاصا بالفلاحين أثناء الرعي والعمل ، ويحل محلها العباءة المصـنوعة من الجـوخ الثمين ، والتي تسمى (المسح) السوداء أو البنية اللون ، كما رافق الفروة ظهور غطاء لها من قماش أسود من نوع (الفاصولين) ، وحتى هذا القماش كان لا يخلو من الزينة بلفائف قماشية حريرية لماعة ، وغدت الفـروة زيـا مشتركا في المجتمع السلمي والمجتمع المدنـي المجـاور ، مع أنها في الاصل لباس خاص بالبادية ، ولكنها بما أدخل عليها من تطور أصبحت مقبولة في المدينـة، لطالما انتشرت بكثرة وبسرعة في المدن •

بعد الحرب العالمية الثانية ، أخذت مظاهر العلم بالاتساع ، في افتتاح العديد من المدارس ، وغدا الطلاب يلبسون الالبسة الحديثة ، وهي البنطال والجاكيت ، ثم أخذت تزداد انتشارا مع تزايـد المتخرجين من المدارس ، والتأثر الحثيث بالازياء الاوروبية الغربية ، حتى غدا هذ االنموذج لباسـا شائعا في استعماله ، ورافق هذه المظاهر اختفاء العديد من الأزياء القديمة وعلى رأسها السروال الاسود والعباءة الزنارية والعمامة التي انقلبت الـى عقال حجازي حريري أبيض يرتديه بعض رجـال الدين ، كما أن العقـال الاسود نفسه غدا ضامر الاستعمال الا في نطـاق ضـيق ، عندما شاع بين الاجيـال الصاعدة انحسـار الرأس وتمركزت الازيـاء لدى الرجـال في نموذجين اثنين :

الأول : وهو اللباس العربي : المكون من جاكيت وجلابية من نـوع

واحد من القماش ، والذي يرافقهما غطاء الرأس من كوفية بيضاء حـريرية أو (قاب) ملون مع عقال رفيع أو صغير •

الثاني : وهو اللباس الفرنجي ، وما أكثر أنواعه وتعدد (موديلاته) وأزياؤه حتى غدت لا تحصى ولا تعد ، فلكل عام زيه مع بعض الادخالات والتحسينات والتغييرات التي لا أول لها ولاآخر مع تقليعات غاية في الغرابة من تضييق وتوسيع وتصغير واطالة ، في كل من البنطال والجاكيت ، ولانزال حتى يومنا نفاجأ على الدوام بالعديد من الازياء التي تنتشر في دور الازياء الاوروبية والامريكية لتستقر بعد حين في أذهان شبـابنا الذين اعتـادوا التقليد ، وحتى درجات العمى ، مما يجعل السـلمي ذا مظاهر متباينـة في اللباس لا تحصى أعدادها ولا تعد أنماطها •

ازيـاء النســاء :

المعروف أن أزياء النساء غلا مستقرة ، فهي دائمة التغيير والتطور ؛ وهذا من طبيعة المرأة التي تكره أن تبقى صورتها ومظهرها ثابتين ، لذلك كان الابتكار وسيلة جذب الانظار اليها ، ومن هنا كثرت الازياء وتنوعت •

أما المرأة السلمية ، فقد حملت معها خلال رحلتها الاولى للاستقرار في سلمية زي ساكني الجبال ، ونحن عندما نريد دراسة أزياء ألبسة النســاء السلميات ، انما نريد أن نتبين التطور الذي وصلت اليه حاليا ابتداء مــن الزي الجبلي حتى يومنا هذا ، لذا كان لزاما علينا أن نقسم هذه الدراسـة على النحو التالي :

١ ــ زي لباس الجسد

٢ ــ زي غطاء الرأس

٣ ــ التحلي بالذهب والمعادن الثمينة

١ - زي لباس الجسد :

كان للمرأة السلمية لباسان نقلتهما من مواقعها الاولية الجبلية الى سلمية

الأول : وهو (التنورة) الطويلة ذات الأكمام ، والتي تلف فوق خصرها القماش المسمى (الشال) ، ولهذه التنورة مظاهر تنسجم مع الصيف بكونها تميل الى الألوان الفاتحة الزاهية ، أما في الشتاء ، فهي من قماش ثخين ذي ألوان داكنة ، وتحت التنورة كانت تلبس لباسا أقصر منها ويسمى (الشلحة) ، ثم ترتدي سروالا ذا كمين مربوطين عند رسغي القدمين ويسمى (السروال الزم) •

الثاني : وهو لباس أشبه ما يكون بزي الرجال فيما يسمى (القنباز) أي لباس طويل مفتوح من الامام ، وتشد خصرها بالشال المعروف ، وتربط فوق القنباز صدارية تغطي القسم الأكبر من البطن وحتى القدمين وتثبت على الخصر بمشد يكون عادة تحت الشال وتسمى الصدارية (الحلابة) •

هذان النوعان من اللباس جاءت بهما المرأة السلمية من أصولها الجبلية، وسرعان ما بدأت عوامل التغيير والتعديل والتطوير ، فقد زال الشال الحريري ، وانقلب الى زنار قماشي أو جلدي ثم مطاطي ، كما أن الشلحة سرعان ما أدخل عليها التغيير ، وذلك بأن غدت بيضاء مطرزة ومزركشة بالخيوط الملونة ورسوم منوعة نباتية وحيوانية ، وأطلق عليها اسم جديد هو (التفريعة) •

وعندما انتشرت (القطشية) عند الرجال كلباس ، اقتبست المرأة أيضا هذا اللباس المشابه الى حد ما لباس الرجال إلا من فوارق طفيفة، فهي أنحف غالبا وبجيب واحد ، وأقل تزيينا من قطشية الرجال ، كما تحول السروال عند المرأة بإلغاء الزم عند رسغي القدمين ، وجعل مفتوحا وزين بقماش مطوى يسمى (كشكش) دائري •

كان تأثر الازياء في سلمية بالبادية واضحا ، إذ أخذت العديد من النسوة يلبسن لباس البدويات وهو (الكب) ، وهو لباس يرتدى خصيصا

للعمل ، وهو عادة من القماش الاصفر السميك ثم جعل بعضه من القماش الاسود متأثرات بالنسوة القادمات من شيزر أو ضفاف العاصي ، وفي الحالتين غدا الكب ذا لونين أصفر وأسود ، وترتديه المرأة السلمية خلال عملها في المزارع أو في عملها لخدمة المواشي لمن يقتنونها ، ولكن الكب الأسود تزين بالخيوط الحمراء على الصدر والحواشي السفلية والأكمام وهذا كتعديل جديد يطرأ عليه مجاراة للتقدم مما يجعله رغم سواده مقبولا ٠

وعندما تحولت سلمية الى مدينة كبيرة ، وجاءتها بعض الأسر من أصل حموي كآل البرازي والمصري والأورفلي وقلفه ، وكانت نساء هذه الأسر متحجبات ، مما أثر في المجتمع السلمي بادخال لباس أسود ترتديه المرأة ، ويسمى (التروالك) ، وهو لباس أشبه بالمعطف ، وترتديه المرأة فوق لباسها ، يغطي جميع جسدها ، وهو خاص بالخروج خارج المنزل ، وقد انتشر ونوقت قصير فيما بين الحربين العالميتين ، كما أن بعض النسوة السلميات ، أخذن يتحجبن ، بينما بقي ريف سلمية بعيدا عنه كل البعد ٠

ولا يزال التروالك الأسود سائدا بين النسوة المعمرات الى يومنا هذا ، مع زوال الحجاب نهائيا بعد الحرب العالمية الثانية ، كما رافق فترة ما بعد الحرب الثانية ظهور أزياء كثيرة ، وبالأخص عند النساء المتطورات ، وفتحت سلمية أبوابها للأزياء المدنية ، ولذلك يعتبر (الروب) المدني في طليعة الأزياء المتطورة ، واجتاحت سلمية وريفها على السواء روح العصر ، إذ غدت الأبواب مفتوحة على مصارعيها ، حتى غدا التطور بعد عام ١٩٥٥ م أسرع من الأعوام السابقة ، وغدت المرأة في سلمية تماثل في أزيائها جميع النسوة في بيروت وباريس وهولوود وجميع المدن المتطورة ، فهي تلبس البنطال والقميص وغيره من آلاف الأزياء التي قد تتغير بين عشية وضحاها ، فترى المرأة في سلمية أكثر استجابة لأي (موديل) وافد من أي منطقة بمجرد مشاهدته على شاشات التلفاز أو دور العرض منسجما مع عواطفها النازعة للتغيير باستمرار ٠

لبـــاس الـــراس :

مر لباس الرأس من خلال تطوره عند المرأة السلمية في ست مراحــل وكان التغيير سريعا في السنوات العشرين المتأخرة ، مع أن التطــور كــان بطيئا جدا قبل الحرب العالمية الثانية •

المرحلــة الاولــى :

كان لباس الرأس الذي جاءت به المرأة المهاجرة من مناطق الجبال الى سلمية على الشكل التالي :

على الرأس بشكل دائري حتى يشكل ما يشبه القبعة ، وتغطي العصبة بعد درجها على الرأس بالغطاء الحريري القزي من وسطه بينما يتدلى طرفاه على الظهر ، هذا اللباس يعتبر تقليديا ، لم يتغير في المرحلة الاولى منه شــيء ، إلا من بعض التزينات التي اعتادت المرأة أن تجريها على الشعر ، وذلك بأن يترك الشعر بارزا على طرفي الوجه ، وهذا ما يسميه العامة (الجدلة)[1] ، كما يجمع بقية الشعر ويرخى على الظهر بشكل جدائل تتباهى النسوة بكثرة أعدادها وغزارة شعرها ، كما درجت العادة أن يقص الشعر فــوق الجبين ويترك قصيرا الى ما فوق الحاجبين ويسميه العامة عادة (الغرة) ، وللغرة أشكال عديدة منها نثر الشعر على الجبين ، أو جعله ضفيرتين على طرفيه ، أو يتدلى بشكل يغطي الجبين أحيانا •

بقي هذا النموذج التقليدي وما أدخل عليه أكثر من ثمانين سنة هــو السائد كلباس للرأس بشكل عام ، وبعد الحرب العالمية الاولى بدأت بعض التحسينات تدخل على (العصبة) قسها ، فقد ظهرت أنواع من العصبات المفضضة أي العصبة التي تزركش عادة بخيوط فضية مع خيوط قماشها ، مما أكسب العصبة قساوة في اللف ، لذلك استعيض عن لفها بطيها مما سبب ارتفاع العصبة فوق الجبين ، وغدا حجمها أكبر ودائرتها أكثر اتساعا ، ولما

---

(1) تلفظ جيم (الجدلة) جيما مصرية مع تشديد اللام وفتحها •

كان لباس الرأس هذا لا يوافق العمل الزراعي لتدلي أطرافه ، لذلك اقتصر لباسه على أوقات الراحة ، أما في ساعات العمل فقد استعيض عن العصبة بغطاء قماشي هو (الشاش) والمثبت على الرأس بقطعة قماش مربعة تربط على الرأس فوق الغطاء وتسمى (القمطة) ، ويترك طرفا الغطاء ليسدل على الظهر ويثبت طرفاه المرخيان بواسطة الزنار الجلدي ، وذلك منعا لتهدله أثناء حركة العمل •

المرحلة الثانية :

في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، بدأت الاحوال الاقتصادية في التحسن ، وبدت معها مظاهر التطور بالظهور ، وكان أن بدأت بعض النساء يستعضن عن العصبة بالغطاء الحريري القزي (الغطاء المخرّج) ، وهذا الغطاء يصنع من الحرير الصافي ، وينسج في مناطق الجبال حيث تربى دودة القز ، ولهذا الغطاء نماذج من الزركشة والرسومات الجميلة على حواشيه ، وانتشر هذا الغطاء حتى غدا منافسا كبيرا للعصبة التقليدية وقد تمكن في كثير من المناطق من إزاحة العصبة عن رؤوس جميع الفتيات والصبايا ، اللواتي كن قد ألفن هذا الغطاء على الرأس،ويترك طرفاه مرخيين على الظهر سائبين ، مما يتيح للفتاة السلمية أن تبرز الجزء الأكثر من شعر رأسها ، والذي يتدلى على طرفي الوجه بما يسمى (السوالف) ، كما يدفع بما تبقى من الشعر الى الخلف بشكل جدائل تطورت فيما بعد الى ضفائر منثورة على الظهر ، وقد تبارى شعراء (العتابا) بوصف هذه المظاهر من جدائل وضفائر وسوالف وجدلات وسواد الشعر ، وغدا (الغطاء المخرّج) سمة الخمسينيات من القرن العشرين ، ولكنه سرعان ما ضمر لانحسار الحرير القزي مما أتاح ظهور مرحلة جديدة هي :

المرحلة الثالثة : الغطاء والقمطة :

تركز في هذه المرحلة الغطاء القماشي (الشاش) المثبت على الرأس

(القمطة) بديلا للغطاء القزي الحريري والعصبة،فقد غدا الغطاء الحريري القزي ضامرا إلا في بعض الافراح،بينما قبعت العصبة على رؤوس المعمرات فقط ، ورافق هذه المرحلة ضمور الجدائل واستبدلت بضفيرة واحدة تجمع الشعر كله وترسله على الظهر إما مربوطا أو طليقا ، كما توارت الجدلتان على طرفي الوجه من الجانبين ، واختفت السوالف ، إذ حل محلها بشكل بارز (الغرة) كميزة لهذه المرحلة،وتنوعت الغرة منها المطلوقة ومنهاالمكوية، فتغدو مرتفعة فوق الجبين ومجمدة وعندئذ يبدو الجبين تحتها مكشوفا دون غطاء ٠

المرحلة الرابعة : الغطاء بدون قمطة :

زالت القمطة في هذه المرحلة وبقي الغطاء وحده على الرأس ، والذي تنوعت بضاعته ، فهو إما من قماش الشاش أو الحرير ، ولكنه استقر أخيرا بشكل مغزول من الصوف وسمي : (الشال) ، رافق هذ االتطور تقصير في الشعر ، ولم يعد التباهي بطول الضفائر أو عدد الجدائل ، لقد غدا التباهي بأنواع من القصات ، وظهرت لذلك مزينات للنساء على غرار ما هو موجود في المدن الكبرى ، وظهرت طبقا لذلك أنواع من القصات كالسد العالي وذيل الحصان و (البوي) ٠ ٠وغيرها ٠

المرحلة الخامسة :

تميزت هذه المرحلة بضمور الشال ، وحل محله (الإيشارب) نتيجة لضموره ، وغدا الإيشارب قطعة مربعة من قماش حريري أو صوفي تطوى على قطرها فتصبح مثلثا يوضع على الرأس ويربط تحت الذقن على الرقبة، كما ظهرت عدة أنواع من ربطات الإيشارب كربطة على الرقبة أو لفة حولها وربطة أو ربطة على الرقبة من خلف ، ومع ذلك ، فقد ظهر عمر الإيشارب كان قصيرا وبالأخص لدى المتطورات من النساء اللواتي رمينه جانبا وبدأت المرحلة التالية :

المرحلة السادسة : انحسار الغطاء عن الراس :

لقد سقطت كل الاغطية ، بدءا من العصبة حتى الإيشارب ، ولم يعد يغطي الرأس شيء،رافق هذه الظاهرة العديد الذي لا يحصى من(موديلات) قص الشعور ، منها تطويل وتقصير ، حتى أن بعضها شابه الى حد قص شعور الرجال ، ولا يزال المجال واسعا والابواب مفتوحة على مصاريعها أمام أنواع من (الموديلات) المبتكرة الوافدة الواحدة تلو الاخرى ٠

والآن بعد استعراض أزياء لباس الرأس عند المرأة السلمية،قد يشاهد المرء عديدا من هذه المراحل متداخلة قديمها وحديثها في مجتمع للنسوة حسب الأعمار ، فلا تزال العصبة تعتصم فوق رؤوس العديد من المعمرات اللواتي ينظرن الى ما سواها نظرة إزدراء واحتقار كونها رمزا تقليديا ، بينما استقرت القمطة السوداء فوق رؤوس بعضهن ، كذلك غطاء (الشاش)، ولكن الشيء الذي اختفى من أزياء الرأس، هو الغطاء القزي لافتقار الحرير القزي ، وانتشار الحرير الصناعي ، ورغم كل ذلك ، فلا يزال مجتمع السلميات عامرا بالعديد من أزياء أغطية الرأس التباينة ، ولا نعلم ما يخبئه لنا الزمن من أزياء ، قد تستحدث وتسود في الزمن المتطور ٠

المرأة السلمية والتزين بالذهب والمعادن الثمينة

ظهور التزين بالذهب في المجتمع النسائي السلمي كان وقفا على التقدم الاقتصادي والرفاه المادي ، وذلك بعد عام ١٨٨٠ م حيث تركزت الحياة في سلمية واستقرت الزراعة بازدياد انتاجها ، وأخذت الاوضاع الاقتصادية في تقدم مستمر ، مما جعل العديد من الاسر تصبح من اليسر أنها استطاعت أن تترفه في حياتها ومظاهرها ، وكانت احدى هذه المظاهر التزين بالذهب لدى النسوة الموسورات ، ولدراسة هذه الظاهرة لا بد أن نأتي على مواقع التزين بدءا من الرأس ، فالجيد ، فالصدر والأطراف ٠

تزيين الراس بالذهب :

تعتبر الشنون أول مظاهر التزين في الرأس ، والشنون تتألف عادة من سلسلة ذهبية تثبت في أعلى الرأس بعدد من السنارات ، ويتدلى منها على جانبي الرأس حتى محاذاة الأذنين عدد من المثلثات الذهبية المزينة بقطع ذهبية (غوازي) لدى متوسطات الحال ، وليرات ذهبية لدى الموسورات ، وتتألف كل جهة من جانب الرأس على ٣ ــ ٥ مثلثات ذهبية بكامل ملحقاتها من المعلقات الذهبية ، والشنون تزيين دخيل الى المجتمع السلمي من البادية فإن أميرات القبائل وبنات الشيوخ من البدو يتزين بالشنون ، ودخول هذه الزينة الذهبية أصبحت وقفا على الصبايا الحسان ، وللمتزوجات خلال فترة الزواج الاولى ، حتى اذا غدت المرأة إما وربة بيت ، انطوى الشنون ليغدو لباسا خاصا بالأفراح فقط ، ويستعاض عنه بعد ذلك : (الصفية) التي هي قطع ذهبية من نوع (الغازي) وعددها ٢٧ ــ ٣٢ غازيا تثبت على قطعة قماش بعد ثقبها ، وتجعل بشكل منضد وتوضع قطعة القماش على الرأس ، بشكل تظهر الغوازي على امتداد الجبين من تحت العصبة ، واستمر وجود الصفية رمزا للتزيين حتى أواخر الثلاثينات من القرن العشرين ، ولذلك دخلت في مهور الفتيات كشيء متعارف عليه ، وعندما أخذت العصبة تنحسر أخذت الصفية تختفي تلقائيا وتدريجيا ، ليستعاض عنها بالشكلات •

والشكلات : عبارة عن قطع ذهبية تصاغ على أشكال متعددة كنسور أو آساد أو نمر ، ومما شجع تقدمها في المجتمع السلمي هو تواجد الصياغ من الأرمن في سلمية بعد العشرينات من هذا القرن •

أما الشكلات ، فكانت تثبت على الجدلة في أعلى الصدغين ، ومن أبرز الشكلات الشكله أم السبعين أو النسرين ، ولقد درج التزين بالفضة على أنماط الذهب لدى بعض الفتيات الصغار ، أو ذوى الاحوال المادية المتدنية •

لعب الأرمن الصياغ في سلمية دورا هاما في ابتكار النماذج الذهبية بصياغاتهم وابتكاراتهم الذكية ، وممن اشتهر بهذه الصفة سركيس وارطنيان وآكوب هوسبيان وسركيس دولتيان وتفنن هؤلاء بصياغة الشكلات وأنواع عديدة من الأقراط

الأقراط واقدمها واهمها (الحلق) :

وهي عبارة عن دائرة من الذهب ، تعلق في شحمة الأذن ، ولثقلها تربط بسلسلة في أعلى الرأس ، لذلك تحمل بمعلقات وسنارات تغرس في الشعر ، وكانت الفتيات يتنافسن بكبر دائرة الحلق وكثرة ما يعلق بها من أجزاء ذهبية مزينة ، وقد ضمر الحلق مع الزمن واستعيض عنه بالأقراط •

الأقراط الذهبية : هي إما ليرة ذهبية تعلق بشحمة الأذن ، ثم ابتكر نوع جديد مكون من ليرة ذهبية ونصف معلق بها ربع الليرة ، ويمكن تعليقها بالأذن ، ثم ابتكر نوع جديد مكون من نصف ليرة معلق بها ربع ليرة ذهبية على التوالي ، وتعلق بالأذن في شحمتها ، ولكن ابتكارات الصياغ في تطوير الأقراط أظهر العديد من أنواع جديدة للأقراط منها القلة والباذنجانة والزهرة •• الخ •

التزين بالذهب في الرقبة (الجيد) والصدر :

يقصد بها التزين ، تزين الرقبة والصدر معا ، وأول ما ظهر كأداة لهذا التزين هو الجداب :

الجداب : وهو قطعة ذهبية كبرى تكون على شكل مثلث قاعدته عند اللية (أسفل الرقبة) ورأسه يتدلى مابين الثديين ، وفي كل ضلع من أضلاعه سلسلة يعلق بها عدد من القطع الذهبية من نوع (غازي) وطور بعض الأغنياء هذه القطع (الغازية) الى ليرات ذهبية ، فارتفع ثمن الجداب بارتفاع عدد الليرات المعلقة به ، ويثبت الجداب على الرقبة بسلسلة تلف

حول العنق ، وهو في الأصل زينة بدوية وفدت الى المجتمع السلمي بتأثره بالبادية وعاداتها •

ولقد دخل الجداب قديما مهور العرائس ، ودارت حولــه الأغاني ، ومما قيل في هذا الصدد (عندمــا تنقــل العروس من دار أهلهــا الى دار عريسها) باللهجة العامية :

« أم العريس قومي امشي ولالي
اجيتك كنه كبدر الهلالي
اجيتك كنه والجداب بيدا
تقول للبدر حول من قبالي •• »

ولما جاءت الحرب العالمية الاولى ودخل الأرمن في ميدان صناعة الذهب استبدل الجداب ؛ (الشكل) •

الشكل : وهو عبارة عن سلسلة ذهبية تعلق بهــا عدد من الليــرات الذهبيــة ، كانت في البدء ســبع ليرات ثم زادت الى عشــر ، ولما تحسنت الأوضاع الاقتصادية فيما بعد الحرب العالمية الاولى ، ابتكر نوع جديد من الشكل[1] ، فجعل على سلسلتين معلقتين ببعضهما على نســقين ، وبلغت عدد الليرات سبعا وعشرين ليرة أو أكثر من ثلاثين ، لذلك كان ينشر لكبيرة على الصدر وتلف سلسلة الربط حول العنق ، وحتى يثبت على الصــدر ، ركزت فيه عدد من السنارات تغرز في اللباس تحت الإبطين وفي الاسفل من الثديين ، وقد رافق ظهور الشكل للزينة (المشخلع) أو (الكردان)،وهو ابتكار من ذهب مزخرف بحواش ذهبية كثيرة ، ورغم أنه أصغر حجما من الشكل إلا أنه أجمل منظرا ، فهو يستقر على الرقبة،فيما يسمى باللبة ،وكان

---

(١) هناك نوع من الشكل اقتصر على التعليق بسلسلته على قطع ذهبية من ذات خمس الليرات الذهبية (مخمسة) ، وقد تباهت الفتيات بعدد ما يعلق به من (المخمسات) ، فبلغت سبعا ثم عشرا ثم اثني عشر قطعة .

الأغنياء يحتوونه زيادة في مظاهر الترف ، لذلك لم يعمر طويلا بل سرعان ما حل محله (العقد).وذلك في أعقاب الحرب العالمية الثانية ،وهو أصغر حجما من المشخلع ولكنه مزين ، وقد يربط حول الرقبة كاملة،فيكون بذلك زينة للرقبة كلها •

وفي الخمسينات من هذا القرن صغر العقد ، وأصبح عبارة عن قطعة ذهبية مصنوعة على شكل قلب أطلق عليها أسم (منططيف) ،كما أن هذه القطعة الذهبية بدأت تصغر هي الأخرى ، حتى غدت في الستينات عبارة عن علبة صغيرة مذهبة موضوع فيها بعض من أي الذكر الحكيم وتسمى (المصحف) ، ثم صغرت أكثر فيما يسميه الناس اليوم (اللواحة) ، والتي غدت لباسا للفتيات وبعض الفتيان أيضا •

تزيين الاطراف بالذهب :

معروف في جميع المجتمعات قديمها وحديثها ، أن الأرساغ تزين بالأساور أو (الدمالج) ، وللأساور أنواع لا تحصى من الأشكال ، منها الرفيعة والغليظة والمزركشة ، والمصاغة على أشكال أفاعي أو صور لطيور وحيوانات أخرى ، ولا يزال مجال الابتكار مفتوحا أمام الصياغين لاختراع المديد منها •

كما درج منذ القديم تزيين الأصابع بالخواتم كبيرها وصغيرها ، ومنها ما يصاغ بوضع صور على الخواتم أو حجارة كريمة ، ويتزين بالخواتم النساء والرجال على السواء،حتى لقد غدت الخواتم رمزا للخطوبة والزواج، وأخص بالذكر منها ما يسمى : (الدبلة) ، وتوضع الخواتم عادة في الأصابع ، ولكن خاتم الخطوبة والزواج لا يوضع إلا في البنصر من اليد ، وتكون في بنصر اليد اليمنى عند الخطوبة ، ثم يحول بعد الزواج الى بنصر اليداليسرى • لم يعرف المجتمع السلمي التزين بالحجول في أرساغ الأقدام على نطاق واسع ، فقد كن معدودات هؤلاء اللاتي تزين بالحجول ولفترة جد

قصيرة ، ولكن بعض النساء السلميات تزين بنطاقات مفضضة وهذا في حدود ضيقة جدا .

ومن الملاحظ أن التزين بالذهب غدا في الستينات والسبعينات من هذا القرن يسير الى الاقلال في المجتمع السلمي ، نتيجة الوعي الاجتماعي والاقتصادي في تجميد الذهب بعد صياغته كرؤوس أموال معطلة . لذلك كانت المساعي لجعل الذهب ورؤوس الأموال في حالة من السيولة نتيجة لوقوع مواطني منطقة سلمية في الخمسينيات والستينات في ضائقات مادية نتيجة جفاف المياه ، مما عكس الوعي والادراك البعيدين لنظريات اقتصادية بناءة من خلال العمل بالمال المجمد على أساس أنه ذهب زينة .

العادات والتقاليد في المجتمع السلمي

في أعقاب نجاح اعمار سلمية الحديثة ، تجمعت فيها العديد من الاسر الوافدة من هنا وهناك بطبائع وعادات متباينة ، ولكن الظروف البيئية الجديدة والجوار ، فرضت على جميع الوافدين الى سلمية أن يتصفوا بعادات وينهجوا تقاليد تماشي ما هم عليه من واقع بيئي وجوار ، ولاسيما أن من يجاورهم هم عبارة عن قبائل وعشائر بدوية لها منطلق وحيد هوماعنى عنه الشاعر بقوله :

لا يسألون أخاهم حين يندبهم   في النائبات على ما قال برهانا

فضلا عن واقع البيئة السلمية الشبيهة بالبادية ، ان لم نقل بادية كاملة، فمن هنا كان المنطلق القبلي ذا تأثير بالغ في سلوك السلميين ، حين غدا هذا السلوك محور التقاليد والعادات التي تحلى بها المجتمع السلمي متأثرا أشد التأثر بروح البادية وفطرتها .

فقد لاقى السلميون الأوائل ضغوطا شبه دائمة ، لذا كان عليهم أن يشكلوا فيما بينهم وحدة مصيرية متماسكة أمام أعداء كثيرين طامعين

بمزروعاتهم ومواشيهم ، وبالفعل حقق السلميون هذه الوحدة بقوة،ووقفوا أمام التحديات على مدى أكثر من تسعين سنة ، لا تفتأ تتجدد من حين لآخر مما جعلها طرحا دائم التحدي ، يجابهه السلميون بوحدتهم وتعاونهم وتفانيهم لخير الجموع ، فكان الرد على هذا التحدي دائما هو قول الرسول الكريم :« ردوا الحجر من حيث جاء ،فالشر لا يدفعه الا الشر» من هنا اكتسب السلميون قوة البقاء في منعتهم وصلابتهم،مما أكسب اعتبار الجوار لهم أنهم ذوو شأن يحسب حسابهم أمام كل من تحدثه نفسه بالجولة أو الصولة في سلمية وريفها ٠

أمام هذه الردود على التحدي ، تم إعمار حوضة سلمية وكل شرقي العاصي امتدادا من بلدة القريتين وحتى شرقي معرة النعمان ، وكان لموقف السلميين الأوائل الفضل الاكبر في هذا الاعمار ، والذي عكس في نفوسهم عادات وتقاليد أصبحت مع السنين المتتابعة سمة راسخة لهم ٠

واذا أردنا أن تتقصى هذه العادات ، فإننا نراها كلها أو أكثرها مقتبسا من عادات البادية وساكنيها وأول هذه العادات ٠

الكرم :

ما هو سائد في بادية الشام صفة الكرم العريقة ، فقد انعكست هذه الصفة عند المجتمع السلمي منذ سكناهم قلعة سلمية ، إذ أن الامير اسماعيل جعل احدى غرف القلعة العليا دارا للأضياف ، على غرار ربعة البدوي في خبائه ، ولكن هذه الدار غدت بعد بناء سلمية واتساع عمرانها بالعديد من المساكن مليئة بدور الأضياف ، والتي يسميها السلميون (المنزول) ، حتى لم يخل دار عائلة من غرفة مخصصة للأضياف ، وأصبح اكرام الأضياف عادة متأصلة في نفوس السلميين جميعا ، وتقدم عادة في غرف الأضياف (المنازيل) القهوة العربية المرة والطعام والمنامة لكل زائر ، ومع أنه أسلوب

مقتبس من عادات البدو في طرق فرش الوسائد والسجاد ومناقل القهوة وصناعتها ، إلا أن عادة الكرم هي متأصلة لدى السلميين حتى قبل مجيئهم الى سلمية ، مما جعل هذه العادة متطورة ومنسجمة مع روح البيئةالجديدة، وتتناسب مع الأسلوب السائد في بادية الشام ، والتي تعتبر سلمية جزءا لا يتجزأ منها •

وكانت الطريقة السائدة في هذه المنازيل ، هو تقديم قهوة الصباح المرة ، كما تحل جميع الخصومات والمشاكل فيها ، وفي هذه المنازيل تقوم السهرات الممتعة في أيام الشتاء بالعديد من ألعاب التسلية • ولكل منزول (مصطبة) هي مهد السهرات الجميلة في أيام الصيف ، حيث السماء الصافية والليالي الساحرة تحت قبة السماء ذات النجوم المتلألئة والقمر المطل بروعة ضيائه ينعش الساهرين بالقصص والحكايات والأحاديث المغمورة بنشوة وسحر ممتعين ، أو بألعاب مسلية تنقضي فيها الساعات بدون احتساب ، ولكم تجري في هذه المنازيل المنادمة في العتابا والزجل والقصائد الشعرية البدوية على أنغام الرباب ، أو لعب (الدستكون) ، حيث يجيش الحماس بين المتخاصمين لايقاع الخسارة كل فريق بالآخر •

في المنازيل كان الزمن يمر بسرعة فيطوي معه عمر السلميين بين الحب والعبث والحياة الممتعة الرغيدة •

عادات الأفراح :

تتجلى عادات الأفراح في عدد من المناسبات وأهمها الزواج والختان والزيارات وأفراح المواسم •

الزواج :

ويتم على مرحلتين توصل الاولى الى الثانية :

المرحلة الاولى : الخطوبة : لم يعرف المجتمع السلمي الخاطبات على

غرار المدن الاخرى في الشرق الاوسط لان هذا المجتمع منفتح يعيش بشكل مختلط محتشم ،لذلك لم يكن للخاطبة فيه أي دور ، وحتى أي وجود ، وللخطوبة عادة أفراح تتم حسب مراسيم ثابتة •

تتم الخطوبة على الشكل التالي ، بعد استحسان الشاب للفتاة ، يرشد أهله عن رغبته ، ويطلب منهم خطوبتها له ، فيتصل الأب والأم معا أوأحدهما بأبوي الفتاة الى أخذ رأي الفتاة ، فإذا اســتجابت لهما ، أعطى الأب بعد قناعته وعدا بالموافقة ، ويكون لهذا الوعد أثر قطعي تتم بعده مرحلةالخطوبة بقراءة المراسيم الدينية (الفاتحة) وتوزيع الحلوى •

امـا افراح الخطوبـة :

فهي عبارة عن رقصات بعد إتمام المراسيم الدينية ، ولقد تأثر المجتمع السلمي ببعض العادات من المجتمع البدوي ، والتي تعتبر عـادات سيئة ، ومع أنها أخذت تزول تدريجيا وبالأخص في أيامنا الحاضرة • وهذه العادات غير المستحبة ، والتي لا تزال سمة العادات البدوية ، وتتجلى في أحقية ابن العم في ابنة عمه ،وأفضليته سواء كانت ابنة العم راضية أو رافضة ، لذلك يحق له (توقيف) زواج ابنة عمه ومنع خطبتها لغيره، ومع أن هذه العادة سادت حتى الخمسينيات من هذا القرن إلا أن أعوام الستينات والسبعينات جاءت نهائيا على هذه العادة ، وغدت المرأة حرة كل الحريـة في اختيـار شريك العمر •

أما مراسيم الخطوبة ، فتتم بتحديد المهر مقدمه ومؤخره ، وكان يفضل أن يكون المهر ذهبا مصاغا ومتاع البيت المزمع فتحه من جديد ، وما يدخل في عداد المهر (الجهاز) ، وهو مجموعة من الالبسة التي تحتاجها العروس ومنها الصندوق وله أنواع عديدة منها ما يسمى (الصرافة) وهي عبـارة عن صندوق كبير بابه في أعلاه ، وله في أسفله عدد من الأدراج ، وقد تغير هذا الصندوق ليحل محله اليوم الخزانة ، والتي لا يزال التطور يدخل عليها شكلا ونوعا تغيرات لا تنتهي •

كان من عادة بعض الآباء والأخوة أخذ بعض المال لقاء خطبة بناتهم وأخواتهم وتسمى هذه الأموال (الماكال) ، وهي في الأصل من المآكل بدلالة أنها مساعدة تعطى للأب الفقير في أيام عوزه باعتباره سيخسر بالخطوبة والزواج يدا عاملة ، ومع كل هذه الاعتبارات ، بقيت هذه العادة مستهجنة وغير مستحبة ، ويوصم آخذها بأنه يبيع ابنته أو اخته بمال يدفع له ، الأمر الذي جعل هذه العادة تموت نهائيا •

فتـرة الخطـوبـة :

هي الفترة التي يعتبرها الشباب أجمل فترات الحياة ، فهم يقضـون لياليهم ساهرين مع خطيباتهم يخططون للمستقبل المنتظر ، ويرسم كل من الخطيبين من خلال معايشته أحدهما للآخر الخط الذي يريدان أن يخطاه في حياتهما المقبلة ، ومجيء الشاب الى دار خطيبته شيء عادي ، ولكن ذهـاب الفتاة الى دار خطيبها غير مستحب ومستهجن ، لأن من عادة الرجال طلب البنات ، ومن عادة البنات الخفر والحياء والترفع عن الطلب ، ومن هنا يفسر ذهاب الخطيبة الى دار خطيبها نوعا من الخروج عن الحياء ، كما أن العادة سرت بأن الخطيب القادم الى دار خطيبته لا بد أن يحضر لها أو لأهلها هدية صغيرة ، قد تكون شـيئا من الحلوى أو الفواكـه أو أمتعـة ، وكل هذه الهدايا تحتفظ بها الخطيبة ان كانت من الأمتعة في صندوقها الخاص بها •

ونهاية فترة الخطوبة الزواج ، إذا لم يقع ما يفسخ الخطوبة ، فإذا كان الفسخ من جانب الشاب ذهبت كل الهدايا والتقدمات التي قدمها لخطيبته ، واعتبرت خسارة غير مستردة ، وليس له الحق في طلبها ، أما اذا وقع فسخ الخطوبة برغبة الخطيبة أو أهلها فعليها وعلى أهلها أن يدفعوا الخسـارة بأكملها ، حتى أن هذه العادة قد صيغت كقانون ساري المفعول الى يومنا هذا •

ولكم تطورت مراسيم الخطوبة باقتباس بعض من عادات المدن المجاورة ، وهي على الشكل التالي :

عندما يتم الاتفاق بين الطرفين على الخطوبة ، وفي اليوم المحدد ، تعمد الفتاة مع بعض رفيقاتها ،فيذهبن الى (المصففة) وهي التي كانت تدعى قديما (المشاطة) ، حيث يتم تصفيف شعر الخطيبة وشعور رفيقاتها وأخواتها وأخوات الخطيب وعند عودتها الى بيت أهلها تجلس الخطيبة على (المرتبة) لدناتها وقريباتها وقريبات الخطيب ، وبعد اتمام المراسيم الدينية أي قراءة وهي عبارة عن مكان عال متميز عن سواه بالنسبة للمدعوين ، وتحيط بها الفاتحة الخاصة بالخطبة ، وتوزيع الحلوى ، يحضر الخطيب الى منزل الخطيبة،وتبدأ مراسيم الاحتفال بما يسمى اليوم (التلبيسة) وهي أن يزين أصبع الخطيبة بخاتم الخطبة ، وترد الخطيبة بوضع خاتم الخطبة في أصبع الخطيب ،وهذا هو خاتم الخطوبة المسمى عادة (دبلة) ، وقد جرت العادة أن يثبت خاتم الخطوبة في بنصر اليد اليمنى ، وتتم هذه العملية في اجراءات هي كالتالي :

يعمد الخطيب الى وضع الدبلة أولا بأول في أصبع الخطيبة ثم يقلدها العقد أو اللواحة في جيدها ثم يطوق رسغها بالساعة أو الإسوار ، وبعدها تبدأ الخطيبة بوضع خاتم الخطوبة ففي اصبع الخطيب ، ويتم ذلك بين زغاريد و (هناهين) وأهازيج المدعوين والمدعوات ، حتى اذا أيجز هذا العمل (التلبيسة) ، تبدأ الرقصات والدبكة أحيانا ، حتى هزيع من الليل متأخر ، تتبادل الفتيات والشباب من أصدقاء الخطيب والخطيبة وأقربائهما الرقصات والأغاني ، وفي آخر المطاف يقوم الخطيب والخطيبة بالرقص سوية بين الزغاريد وأحيانا اطلاق الرصاص ابتهاجا بالمناسبة ، كما تتقبل الخطيبة هدايا رفيقاتها من قطع ذهبية أو أدوات منزلية خاصة بالبيت الجديد المنتظر .

فترة ما قبل الزواج :

تعتبر هذه الفترة فترة استعداد من الطرفين ، أما الخطيب فعليه أن يتم الجهاز ، وذلك بأن يعمد مع الخطيبة وأهلها وأهله لشراء الألبسة المطلوبة والحلي المتفق عليها حسبما جاء في الاتفاق على المهر .

أما الخطيبة فتعمد لتجهيز ما سيرافقها من متاع ، وقد درجت العادة أن تتباهى البنات بما يخرجنه معهن من دار أهلهن عند الزواج كعدد الفرش والوسائد والألحفة والمتكآت،ويكون الأبوان قد أعداها خصيصا لابنتهما الراحلة الى البيت الزوجي •

ومن العادات أن أبوي الخطيب والخطيبة يتحملان مجتمعين مصاريف الزواج ، لذا يمكن أن تكلف الفتاة كما يكلف الشاب والده من مصاريف ، وكل ما يوضع في هذه المناسبة هو ملك للزوجين فيما بعد يتصرفان به بكل حرية ، ومن محاسن العادات التي قلما وجدت في مجتمعات أخرى ،فالزوج والزوجة يخرجان الى الحياة الزوجية ببيت كامل الاعداد وأسرة جديدة مكتفية من مشقات إعداد بيت جديد •

وعندما تكتمل الاستعدادات ، تقام حفلة نقل الجهاز من بيت الخطيب الى بيت الخطيبة ، بأن تحمل هذه التجهيزات على أطباق فوق رأس أم الخطيب وأخواته وقريباته ، وهن يرقصن بها بين الغناء والأهازيج والطبلة أو المزمار ، حتى اذا وصل الركب الى دار الخطيبة ، يوضع الجهاز أمامها، ويبدأ الناس بالتفرج على الجهاز ، بينما يجلس المدعوون لتتوزع عليهم الحلوى ، وعندئذ يقدم كل مدعو (النقطة) وهي قيمة مادية توضع على قماشة ، وتمثل هذه النقطة مساعدة لاتمام الجهاز ، يقدمها عادة الاصدقاء والأقربون، وتوهب بأكملها الخطيبة،وينفض بعد ذلك الحفل•

وعندما يصبح كل شيء جاهزا لدى الطرفين يتم الاتفاق على موعد إقامة العرس •

العرس في المجتمع السلمي :

الفارق كبير بين الأعراس القديمة والمعاصرة في المجتمع السلمي ، وهذا الاختلاف يعود لعوامل التطور التي واكبت التقدم الاجتماعي في المجتمع السلمي سواء كان ذلك المجتمع في المدينة أو ريفها من حيث طرق المعيشة

والتأثر بالبيئة والمحيط المجاور ، ومن هنا كان لزاما علينا أن نصف أعراس الماضي وأعراس الحاضر كل على حده رغم أن بعض العادات لاتزال نفسها قديما وحديثا •

أعـراس المـاضـي :

الأعراس على كافة مستوياتها تتفاوت بتفاوت أصحابها ومدى نفوذهم الاجتماعي ولامعارفهم وعلاقاتهم مع غيرهم من المسلمين وغيرهم ممن يجاورونهم، وتسير مراحل العرس كالتالي :

قبل موعد العرس بيوم أن يومـين ينتشر الداعـون لحفلـة العرس (العزامون) الى أصحابهم ومعارفهم بدعوتهم للمشاركة بوقائع الحفـل ، وفي موعد العرس ، يأتي المدعوون ، وقد حملوا معهم ذبائحهم وأكياسا من البرغل والرز وصفائح من السمن ، وباجتماعهم يبدأ العرس بالدبكة علـى الحان المزمار (الأرغول) أو الطبل،اذا كان العرس كبـيرا (مطنطنـا) ، وللأعراس معايير ، فإذا كان العرس غاية في الضخامة يحدد بسبعة أيـام ، ولكنه في الأحوا ل العادية يكون لمدة ثلاثة أيام ، واذا كان العرس بسـيطا حدد بيوم واحد فقط ، تمضى أيام العرس بالدبكات والتي تبدأ عادة من المغرب وحتى وقت متأخر من الليل ، حيث يتحول الى حفلة سـمر يسميها العامة (عربية) ، اذ يتنكر بعض الشبان بأزياء متباينة ،ثم يمثلون وهـم غير معروفين مقاطع هزلية مضحكة مسلية ، ويشارك الرجال والنسـاء في هذه المهرجانات سواء كانت دبكات أو سهرات ، بينما تكون العروس قـد زينت وألبست أجمل ألبستها المسـماة (لباس الصـمدة) ، والتي أعدت خصيصا لهذه المناسبة السعيدة المنتظرة ، بينما تلتف حولها رفيقاتها ولداتها يغنين ويرقصن ويسهرن مع العروس وينمن عندها طيلة أيام العرس •

وفي ليلة الوداع ، أي قبل الزفاف بليلة واحدة ، تخضب يدا العروس بالحناء ، وكذلك قدماها ، ويجاريها الشبا ب بذلك في تخضيبهم يد العريس، كما تعمد كل فتاة وكل شاب لتخضيب يديه أسوة بالعريس والعروس،وكل

ذلك خلال حفلة سهرة الوداع ، إذ يودع الشباب العريس وتودع الفتيات العروس ، وفي اليوم التالي بعد الغداء الذي يقدمه أهل العريس للأضياف، يجلس العريس على كرسي كبير ، ويأتي الحلاق ليقص له شعره ، ويحلق له ذقنه ، ثم يرتدي حلة العرس الجديدة المعدة خصيصا لهذه المناسبة . وتجري هذه المراسيم بين الأهازيج والزغاريد التي ترتفع من الاهل والاصحاب ، وبعدها يمد الحلاق منشفة الحلاقة ، حيث تتساقط عليها قطع النقود ، إذ يعتبر الحلاقون مثل هذه المناسبة مناسبة سعيدة وغنيمة وافرة .

عند العصر يتجه ركب المشتركين بالفرح الى دار العروس ، ويشارك في الزحف المشاة وراكبوا الخيول العربية والإبل المهودجة ، وهذه عادات مقتبسة من المحيط البدوي ، وفي دار العروس ، يدخل أبوها وأخوها الأكبر الى غرفة الصمدة ثم يقودها بيدها بين جموع الباكين حيث تنهمر دموع أمها وأخواتها ورفيقاتها ، وعندما تصل الى ساحة الدار تبدأ الأسرة المودعة بـ (النقطة) ، إذ يدفع الأب لابنته هدية العرس التي يمكن أن تكون مالا نقديا أو شياها أو قطعة أرض ، وكذلك أمها وأخواتها وأفراد أسرتها وجيرانها ، وعلى أنغام المزمار الذي يعزف قطعة مشهورة هي (جورج العروس) الحزينة ، ثم تصعد العروس على ظهر الجمل الاول المخصص لها ، وتصحبها رفيقتان من أصحابها ، كما تركب بقية رفيقاتها على الجمال الأخرى ، وتشد الجمال الى بعضها ، ويقود هذه الجمال رجل معروف بشكيمته وبأسه ، ثم تسير الإبل وحولها الفرسان بطريق يدور حول الحي أو القرية باتجاه اليمين الى دار العريس ، حيث يبدأ طراد الخيول مارة في ساحة الطراد ، حيث السباق بين الشباب الفرسان ، وترتفع للفائزين أهازيج وزغاريد النساء ، وعندما يسير ركب العروس مارا بدور المدينة أو القرية يستقبل أصحاب الدور أصحاب العرس بنثر العطور أو اطلاق الرصاص ، أو دفع المال(الشابوش) ، ولما يصل الركب دار العريس ، وتهبط العروس من على الجمل ، وتسير بين رقصات الفتيات على أنغام المزمار والاهازيج

واطلاق النار ، تقف العروس في ساحة الدار وتبدأ (النقطة) من المدعوين بدءا من أب العريس وأمه وأسرته ثم الأضياف ، حيث يقف العريس فوق الغرفة التي ستدخلها العروس وينثر على الناس قطع النقود ، وعندما تهم العروس بالدخول الى الغرفة تعطى كتلة من العجين (الخمير) وتدفع العروس بيدها هذه الكتلة لتلصقها على حافة باب الغرفة ، فإذا لصقت الخميرة اعتبرت مناسبة سعيدة وزواجا ميمونا ، واذا لم تلصق ، فإن علائم الشر تخيم فوق هذا الزواج ، مما ينبيء بفشل هذه الزيجة ٠

وبعد دخول العروس غرفتها ، يتابع المدعوون الدبكة والغناء ويشارك العريس بالدبكة على رأس الدباكين وعند الغروب ينتهي العرس ، ويعود المدعوون الى بيوتهم ، حيث تتم الدخلة في نفس الليلة ٠

كل ماذكرناه في مراسيم الاعراس التي تقام في سلمية وريفها ، أما اذا كان العرس بين قريتين أو بين سلمية واحدى قرى ريفها ، فإن العربات المزينة تلعب دورا كبيرا في نقل العروس الى بيت العريس ، بعد أن تزين هذه العربات بالأجراس و (الشراشيب) الملونة ، وتتعالى المنافسة بين العربات بتسابقها ، مما قد يسبب العديد من النكبات غداة ذروة الأفراح ، وعند وصول العربة بالعروس الى القرية أو المدينة حيث تحل ضيفة لمدة ليلة واحدة،وبعدها تسير مراسيم العرس على ما سبق وبنفس الطريقة السابقة ٠

الأعراس الحديثة والتغيرات التي طرات عليها :

تغيرت العديد من الوقائع في أعراس اليوم عن سابقها ، فقد اقتصرت أعراس سلمية المدينة بأن لايتم الاختلاط فيها متأثرة بأعراس المدن المجاورة حمص وحماة ، أما في الريف فقد تقلصت أيام الاعراس الى يوم واحد ،كما ألغيت حفلة الحناء ، وكذلك حفلة نقل الجهاز الى دار العروسة ، وكذلك ألغيت حفلة حلاقة العريس ، وغدت الأعراس قصيرة في وقائعها نتيجة لانتشار الشعور بالسرعة باستعمال السيارة وسيلة لنقل المدعوين والعروس

معا بدلا من الإبل والعربات بين داري العريس والعروس ، كما توارى للأبد تسابق الخيول لفقدانها ، وزالت كل التعقيدات والسهرات ، والتي عوض عنها بحفلات الغناء العصري واستعمال الآلات الموسيقية والرقصات الحديثة على أنغام أشرطة التسجيل أو الاغاني الحديثة ، وربما تكون أغاني أجبية، ونستطيع أن تقول : أن الأعراس قد تطورت وماثلت تطور المجتمع وتمدينه بتأثره بوسائل التطور الحديثة كالمذياع والتلفاز ، عدا عن دوافع التقليد الأعمى للعادات الغربية ، إذ كثيرا ما سمعنا عن انتشار بعض الرقصات الحديثة كالتي يرقصها شبان أوروبا أو أمريكا كالروك والجيرك والتشاشا، ومع ذلك فتبقى الأعراس في المجتمع السلمي،وبالأخص الريف محافظة على بعض من التراث التقليدي القديم ، في العديد من وقائعها وأحداثها ، ولكن يبقى الشيء الثابت ، وهو روح المرح التي يعبر عنها الانسان في مناسبة نعتبر اليوم مصدر الفرح والسعادة لقيام حياة اجتماعية جديدة وولادة أسرة جديدة .

الطهور (الختان) :

وهي عادة اسلامية عند اتمامها يعتبر الفتى حكما مسلما ، ومن هذا الاعتبار كا نيحتفل بهذه المناسبة باعتبارها تمثل مرحلة انتقال الفتى من الشرك الى الاسلام .

وقد درجت احتفالات الطهور على دعوات للاصحاب والاقارب،حيث تنحر الذبائح وتقام الولائم ، وبينما تتم عملية الطهور تكون النساء قدشرعن بالأهازيج والزغاريد معبرات عن الفرح الغامر لهذه المناسبة السعيدة ، وبعدها تبدأ حفلة الرقص بالمشاركة بين الشابات والشباب ، ومن هذه الرقصات رقصة الخنجر والسيف على أنغام المزمار أو الطبل أحيانا والشبابة وقد تمتد الاحتفالات من بدء عملية الطهور وحتى وقت متأخر من الليل ولكن وقائع هذه الاحتفالات حتى كل مظاهرها أخذت تتقلص كليا .

الـزيـارات :

وهي مناسبة تتم فيها زيارة أحد أضرحـة الأئمة أو للأولياء ، وهـي عادة معروفة لدى المجتمع الشرقي على كافة النزعات الدينية من مسـلمين ومسيحيين بجميع فئاتهم •

وفي منطقة سلمية تؤدى الزيارة الى المقامات التالية :

١ ـ قبر (الإمام اسماعيل) في سلمية وهو ضريح الامامين تقي محمد ورضي الدين عبد الله من أئمة الإسماعيليين قبل الدولة الفاطمية •

٢ ـ مقام جعفر الصادق قرب قرية تل درة •

٣ ـ مقام الخضر ، وهو بقايا دير يقع شـمالي سلمية في أعالي أحـد قمم جبال العلا وهو دير مارجورجيوس البيزنطي الأصل •

٤ ـ مقام الإمام زين العابدين ، ويقع شمالي مدينة حماة على قمة جبل هو بداية سلسلة جبال العلا من الغرب •

٥ ـ مقام السمعليل ، قرب قرية الكافـات ، والذي تزوره قطعـان الماشية للبركة منه •

٦ ـ مقام الشيخ فرج : ويزوره عادة المصابون بالشلل ويقع شمالي مدينة سلمية وغربي قرية تل عدا •

٧ ـ مقام علاء الدين · قرب قرية السعن •

٨ ـ مقام النبي بري ، وهو يقع بين بري الشرقي وبري الغربي •

٩ ـ مقام الرفاعي : في قرية تل جديد •

وتقام الزيارات عادة الى خارج محافظة حماة أحيانا ، كزيارات متعددة الى مقام الشيخ بدر الخفير في محافظة طرطوس ، ومقام الوفي أحمد غربي

مصياف ، وكذلك مقام المولى حسن بن سنان راشد الدين قرب القدموس ورغم أن عادات الزيارات أخذ تتقلص ، حتى لتكاد يقضى عليها ، إلا أنها لعبت في الماضي دورا هاما أما الآن فقد قضى الوعي والتطور الثقافي على هذه العادة •

اما وقائع الزيارة فهي كالتالي :

تكون الزيارة في الأصل كنذر يقدمه الناذر لحل معضلة أو شفاء مريض أو غير ذلك ، وعند تحقيق ما يريد تكون الزيارة واجبة ومستحقة على الناذر وعليه أن يؤديها •

لذلك يوجه الدعوات للأصحاب والأقرباء قبل يوم أو يومين ، أما واسطة النقل قديما فكانت العربات ، والآن السيارات فيما اذا كان المقام المزار بعيدا ، وقد يرافق العربات بعض الفرسان ممن يمتطون الخيول العربية الأصيلة ، ويسعى الجميع الى المقام بكل معالم الزينة والفرح والأهازيج والزغاريد ، وعند وصول الركب تنحر الذبائح المنذورة ، وتشعل الصحاف المليئة بالبخور ويطوف الناذر حول المقام ، وهو ينشر على المقام (الخلاع) وهو قماش بلون أخضر ، حيث يمزق ما يشبه الخيوط من هذا القماش ، ويوضع للبركة في الاجياد والأرساغ ، كما قد يؤخذ بعض التراب من حول المقام للتبرك به بشكل دائم •

وبعد مراسيم الزيارة هذه ، تبدأ وقائع الاحتفال بالدبكة والرقصات والغناء والأهازيج ، حيث ترتفع الزغاريد من حين لآخر ، وبالأخص اذا قص شعر الناذر خلال حفلة الزيارة ، حتى اذا عدت الموائد تجمع المدعوون للأكل من الطعام المسمى باسم المقام المنذور له ، ومن ثم تتم الزيارة،ويعود الركب بنفس الأفراح والطراد وتسابق العربات الى القرية أو المدينة،وقد استبدلت حديثا أدوات النقل ، فأصبحت السيارات وسيلة نقل انسجاما مع روح التطور ، ولعدم وجود عربات أو خيول •

افراح المواسم :

تتجلى هذه الأفراح بمواسم اعتاد السلميون أن يكون فيها جني نتاج جهودهم المبذولة خلال عام، ففي مجال الزراعة ، الحصاد هو موسم الانتاج، لذلك كان الانتهاء منه يصادف في أعماق الفلاح السلمي فرحة غامرة يعبر عنها ب (الخلاصة) .

الخلاصة : وهي عبارة عن وليمة يدعو اليها الفلاح كل الحاصدين والأقرباء والأصدقاء ، حيث يقدم فيها الى أضيافه (السيالات) ، وهو خبز مشوي على (الصاج) أو على بلاطة حديدية ، وبعد شيه يفرش في صحون متسعة وينثر عليه السكر بعد جعل السيالات أطباقا فوق بعضها ، وتغمر هذه الأكداس بالسمن ، ومن ثم تقطع بالسكين الى قطع صغيرة ، إذاك تكون جاهزة وتقدم للمدعوين الذين يلتفون حولها ويأكلونها بأيديهم دون ملاعق أو شوكات .

وقد فسر بعضهم تقديم (السيالات) بشكل خاص في هذه المناسبة ، كرمز لانتهاء الحصاد ، باعتبار العمل الشاق خلال الموسم كان مداره الحبوب ورأس الحبوب مكانة هو القمح ، والخبز خلاصة القمح عند الفلاح ، لذلك يطعم الفلاح مدعويه خلاصة ما جهدوا لأجله وتعبوا حتى نالوه وهو (السيالات) لكن هذه العادة ، قد أصبحت الآن تسير في طريق الزوال ، بسبب مكننة الزراعة ، وبانتشار الحصادات لم يعد للوليمة بهجتها ومعناها، فالفلاح الذي كان يجهد نفسه في الحصاد ثم على البيدر ، حيث يمضي صيفه كله في جهود مستمرة متنقلا من الحصاد الى الرجاد الى أعمال البيدر، كل هذه الأعمال أصبحت اليوم تنقضي بجهد يوم واحد أو بعض اليوم ، فلم يعد للجهد المبذول أي مبرر وأية مشاعر سوى دفعه أجرة الحصاد ، ونقل الموسم الى البيت مباشرة دون معاناة كان يعانيها بين الضنى والعرق والتعب ، وهكذا لم يعد مبررا لوجود مثل هذه الوليمة التي دفنت الى الأبد كفرحة تغمر الفلاح بعد انجازه أصعب أعماله الزراعية .

أما في مجال الرعي واقتناء الماشية فهناك موسم (القصاص) •

القصاص : هو موسم خاص بقص صوف الأغنام وشعر الماعز ، ولهذا الموسم وقت محدد هو خلال القسم الأخير من شهر نيسان وبداية شهر أيار ، حيث تجز الأغنام والماعز ، وذلك لتحول هذه الماشية من طقس الشتاء البارد الى حرارة الصيف التي توجب تعريتها من أصوافها وشعورها ،والتي تغدو طويلة على مدى سنة كاملة •

ويحتفل صاحب الماشية بموسم (القصاص) ، حيث يدعو عددا من البدو المشهورين بالقص وبعض الاصدقاء والاقرباء ، وتبدأ فرحة القص بجز الماشية بين أهازيج القصاصين وأغانيهم ، وأما صاحب الماشية فينحر منها ما يشاء ، بين دعوات القصاصين بالوفر والغنيمة والبركة في نتاج الماشية وبقائها سليمة بعيدة عن المصائب ، فإذا ما انتهت عملية القص ، مدت الموائد المكللة باللحوم والمنثور عليها السمن ، ويجلس المدعوون ليأكلوا الطعام حسب العادة البدوية أي بدون ملاعق على الطريقة المتعارف عليها بين البدو، والتي اقتبسها السلميون ومهروا في تطبيقها •

مناسبات العمل التعاوني في المجتمع السلمي :

البناء : هناك مثل يتداوله ساكنو سلمية بقولهم : « لا يسكن البناء بدون فجر دم » أي كل بناء جديد يريد صاحبه سكناه ، فعليه أن يذبح على عتبته ذبيحة ، يسيل دمها ثم بعد ذلك يدعو الاصحاب والاقارب الى وليمة قوامها تلك الذبيحة ، ولعل هذه العادة قديمة وعريقة في قدمها ، إلا أن السلميين يمارسونها وحتى يومنا هذا ، ومعنى ذلك أن هؤلاء الذين شاركوا في البناء ممن قدموا عملا لهذا البناء يجب أن يفرحوا مع صاحبه بسكناه ، وبالأخص هؤلاء الذين قدموا عملا دون مقابل ، فهؤلاء لهم قدمت الذبيحة والوليمة ، لأنهم أنجزوا بتعاونهم هذا البناء ، وبعد نهاية الوليمة

يدعو الجميع لصاحب البناء بالسعادة في أن يجعل الله سبحانه سكني هذا البناء ميمونا ويلقى صاحبه الهناء وطيب الحياة •

مناسبة الطين :

منذ بناء سلمية الأول اعتبر أواخر شهر ايلول ومطلع شهر تشرين الاول هو موسم طلي القباب بالطين تهيئة لها لشتاء قادم • ومثل هذا العمل يحتاج الى أيدي عاملة كثيرة ، وغالبا كان ينجز بشكل تعاوني اذ تجتمع الفتيات وبعض الفتيان ويجدون في عملية (جبل الطين) ، وبعدها تبدأ عملية (السياعة) بأن يؤدي كل فرد عملا ،وينتقل الجمع من دار الى دار بشكل متتالٍ ، وهذه العادة أخذت تتسع باتساع البناء في سلمية وريفها ، وأخذت كل حارة في سلمية تقوم بالعمل ، وكذلك كل قرية ثم اقتصرت على الاقارب والاصحاب عندما غدت سلمية وريفها متسعين ، ورغم أن هذه العادة في مثل هذا العمل ، قد غدت ضامرة لانتشار الابنية الحجرية واستعمال الاسمنت ، إلا أن مثل هذا العمل يعكس سمات العمل التعاوني ضمن المجتمع السلمي •

عند الانتهاء من طلي الجدران بالطين ، كان صاحب الدار يكرم العاملين والعاملات ، اما بالحلوى اذا لم يكن بالطعام فيما اذا كان الانتهاء ليس في أوقات الطعام المعروفة ، لذلك كان يسود العمل روح من التعاون والحماس والفكاهة والمرح ، وأحيانا أناشيد وأهازيج تزيح الشعور بالتعب عن كاهل العاملين •

مناسبة دق الذرة :

بعد قطاف الذرة الصفراء ونقلها من الحقل الى البيت ، تجرد العرانيس من أغلفتها الخضراء ، وتعرض لأشعة الشمس حتى تجف نهائيا ، وعندئذ يعمد صاحبها الى دعوة نخبة من الشباب ذوي الكفاءة والمقدرة البدنية الجيدة لـ (دق الذرة) ،إذ يتناول كل منهم عصا ضخمة يهوي بها على

العرانيس اليابسة فتنفرط حباتها من نتاج عمليـة الضرب المتواصل ، بينما ترتفع الأهازيج الحماسية كقولهم: «هي يالله دقوا درة للمشترى هي يالله» •

ويكون هذا العمل عادة في السهرات وخارج البيوت في أماكن معـدة خصيصا لذلك كالمصاطب ، حتى اذا انقضى من الليل وقت طويل • يتوقف الشباب عن أعمالهم ، وقبل الانصراف للراحة والنوم تقدم لهم (التحلاية) ويقدمها (المعزب) أي داعيهم صاحب الذرة ، وتكون هذه (التحلايـة) غالبا من (النمورة) أو (الراحة) ، وكان السلميون القدامى يقدمون التحلاية من الملبن المصنوع من الدبس والطحين ، وبهذه التحلاية يكـون العمل قد انتهى ، والانصراف الى النوم فائدة •

يعتبر موسم دق الذرة موسما للعمل الجماعي التعاوني لدى كل الاسر الزراعية السلمية ، اذ ينتقل الشباب من دار الى دار آخر بالتناوب ، حتى تنجز كل الاعمال الخاصة بهذا الموسم ، ورغم ما يبذل من جهد من خـلال هذه الاعمال إلا أنها تعتبر أعمالا عذبة الليالي ذات ذكريات لدى الشـباب والشابات يتداولونها بالكلام والذكريات الجميلة •

دق التنـور :

التنور هو المكان الذي يشـوى فيه العجين ليسـتحيل الى خبـز ، والمفروض أن يكون التنور متواجدا في الدار ، ولدى كل أسرة في المجتمع السلمي ، وللحصول على التنور ، تجرى عملية خاصة قوامها اسـتحضار التراب الأحمر (الغضار) ونوع من الحجارة البازلتية (الكشـو) والقنب للنفوش ، ثم يعمد الى خلطه وإروائه بالماء ، حتى يصبح الخليط طينـا ، عندئذ يكون قد تم تهيئته ليكون جاهزا لصناعة التنور بدقه •

وعملية الدق هذه لا تكون ذا تصفة فردية ، بل تدعو صاحبة التنور (ربة البيت) كل صبايا الحارة الى سهرة(دق تنور)،وتعطى كل فتاة مطرقة

حديدية وكتلة من الطين ، حيث تنهال عليها ضربا وطرقا وتقليبا على حجر مسطح ، ويسمع لهذه السهرات طرقات تتعالى تارة وتخبو تارة أخرى لترتفع بدلا منها الفكاهات أو صوت ربة البيت وهي تهزج مشجعة ومحمسة الفتيات بخلق روح التنافس بينهن في انجاز أعمالهن بسرعة وجودة •

وفي نهاية السهرة تجمع كتل الطين المدقوق وقد أعدت كاملة (لديران التنور) ، ولابد عند النهاية من تقديم (تحلاية) السهرة للعاملات قبل انفضاض جمعهن ، ورغم أن هذه العادة عادة سهرة دق التنور ، قد زالت من سلمية ، إلا أنها لا تزال موجودة في بعض قرى ريف سلمية ، وأوقات دق التنور موسم معروف في أواخر الربيع وبداية أشهر الصيف، ليكون لدى التنور متسع من الوقت لجفافه ومن ثم تركيبه ، ليغدو جاهزا لشي الخبز السلمي المشهور •

فتل الشعيرية :

أدخل الأرمن الى سلمية بعد استيطانهم صناعة (الشعيرية) ، وهي عبارة عن عجين عادي مخلوط بقليل من السمن ، يفتل كالخيوط ثم يقطع ويحمص بعد جفافه بالسمن ، ويطبخ مع البرغل أو الرز ، وهذا معروف اليوم بصناعته الآلية ، أما قبل فكانت صناعته بيتية تتم بالايدي، وبقيت هذه الصناعة محصورة في مدينة سلمية وبين بعض الاسر التي لها تماس مباشر مع الأرمن ، ومن ثم انتشرت في المدينة فالريف بعد ذلك •

ولما كانت صناعة الشعيرية دقيقة ، وتحتاج الى وقت طويل ، فكان لابد من جمع عدد من الايدي الماهرة بهذه الصناعة ، لذلك كانت ربة البيت تدعو الفتيات الى سهرة فتل الشعيرية ، وتجتمع الفتيات في سهرة يعمل بها على السواء اللسان بالاحاديث المتنوعة والايدي في فتل الشعيرية ، فلا تنقضي السهرة إلا وأطباق الشعيرية ، قد جهزت، عندئذ يأتي دور (التحلاية)

المتعارف عليها بعد انجاز أي عمل جماعي طوعي ، حيث تقدم الراحة أو الشاي أو أنواع من الحلوى المتباينة ، وتبقى سهرات الشميرية أوقاتا تستعذبها الفتيات ، كونها لقاء مستحب مع اللدات والرفيقات في أحاديث قلما تنسى لهن إلا في مثل هذه الاعمال والمناسبات .

عادات الاحزان في المجتمع السلمي

الأحزان عادة هي انعكاس لوجود وفاة :

وللوفاة مراسيم قد تتشابه في المجتمعات الاسلامية إذ تغلب على هذه المراسيم الصفة الدينية ومن الصفات المتعارف عليها في بعض المجتمعات وبالأخص البدوية منها ، أنها تسودها عادة الندب وتجريح الوجوه وشد الشعور ، ولكن المجتمع السلمي خلو من هذه العادات ، إذ أن تشويه الصورة البشرية دلالة الحزن غير مستحبة إطلاقا ، حتى أن الناس يجلون من يستطيع أن يمسك نفسه عن البكاء ويكبرون فيه روح الإرادة والقوة الترفع عن البكاء ،ومن له مثل هذه القدرة يعتبر مضربا للمثل بين أقرانه في مثل هذه المناسبات .

مراسيم الوفاة :

عند وقوع الوفاة ، يجعل جسم المتوفي متجها الى (القبلة) حسب الشريعة الاسلامية ، ومن ثم يهيأ ماء الاغتسال ، بينما يشرع بعض الرجال في حفر القبر بشكل جماعي طوعي ، وعندما يتم غسل المتوفي ، يجعل في كفن من القماش الابيض، ويوضع داخل (السحنية) ، وهي عبارة عن تابوت ينقل فيه المتوفي الى قبره ، ويسير ركب المشيعين يتقدمهم بعض من رجال الدين ، يرفعون أصواتهم في تكبيرات الوفاة ، والتي هي على الشكل التالي « لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم » وتكرر هذه العبارة طيلة مسيرتهم باتجاه المقبرة ، حتى اذا وصل الركب الى المدفن، وضع المتوفى باتجاه الغرب والشرق ، على أن يكون رأسه الى الغرب ،

ويشرع أحد رجال الدين بأداء صلاة الجنازة ، ويؤم بذلك صلاة الجنازة على الشكل الشرعي ، بينما يقف المشيعون صفوفا خلفه يؤدون الصلاة بكل خشوع بعد إتمام الصلاة وقراءة الفاتحة ، يحمل المتوفى ليوارى جدثه ، وحالما ينزل في القبر ترتفع أصوات المقرئين ، وهم يرتلون آيات من القرآن الكريم من سورة (يس) ، ويكون القبر حسب الشريعة الاسلامية غربا وشرقا والرأس من الغرب والوجه باتجاه القبلة ، بعد (لحد) المتوفى في قبره الأخير ، وبعد وضع (الأشطحة)وهي حجارة تصف فوق جسم المتوفى يوارى التراب فوق حفرة القبر حتى الامتلاء ، ثم يشرع بقراءة الفاتحة الثانية عن روح المتوفى ، وفي الوقت نفسه يكون أهل الفقيد وأقرباؤه ، قد وقفوا صفا على نسق حيث يمر جمع المشيعين لتعزيتهم بقولهم عبارات المواساة على النحو التالي :« البقية بحياتكم أو الله يرحمه ويعفو عنه »..

ويعود الناس الى بيوتهم ، حيث تبدأ التعزية لمدة ثلاثة أيام في بيت المتوفى ، إذ تتلى باستمرار آيات قرآنية كريمة ، بينما تبدأ تعزية الوفود من كل حدب وصوب لمؤاساة أهل المتوفى ، وقد يرافق هذه التعزية إلقاء بعض الكلمات المتضمنة التأثر على الفقيد وتشجيع أهله على تحمل المصاب، ومن صفات المجتمع السلمي أنه يهرع لموآساة جميع المصابين سواء كانوا من سلمية أو ريفها ، وحتى من يجاورونهم بكل صدق وأمانة ، وبنفس الحماس والتأثر البالغين ، وهذا ما يعكس لدى المصابين مشاعر الأخوة والمشاركة في الحزن مما يخفف على المصاب مصابه في مثل هذه المواقف العاطفية المؤثرة .

مراسيم الاربعين :

وهي ذكرى مرور أربعين يوما على وفاة الفقيد إذ يقام له بعض المراسيم الدينية في المساجد واذا كان المتوفى شخصية ذا أهمية اجتماعية مرموقة ، يقام له تأبين يشارك فيه الخطباء والشعراء والسلطات الرسمية على غرار مايقام في كل المجتمعات الرسمية .

وبمراسيم التأبين تنتهي مراسيم الوفاة ، كما درج عليها المجتمع السلمي مع العلم أن هذه المراسيم موجودة في أكثر المجتمعات الاسلامية باعتبارها ذات صفات دينية على الأغلب •

بعض العادات في المجتمع السلمي

عادة (الفزاع) النجدة :

صورة المجتمع القبلي تنجلى في قول متعارف عليه منذ القديم وهو : « انصر أخاك ظالما ومظلوما » والمقصود فيه نصرة أفراد القبيلة لبعضهم في كل نزاعاتهم ، وهذه سمة المجتمع القبلي الذي لم يتأثر بالاسلام المبطل لهذه النزعة ، ولا بالمدنية ، والتي ليس لها أي منفذ للمجتمع القبلي •

والسلميون واجهوا المجتمع القبلي بنفس المشاعر خلال بناء سلمية والتعايش معهم في حوضتها ، يعاملون البدو بمشاعر بدوية ، وأنظمة قبلية عشائرية ، وقد عكست هذه الاوضاع في المجتمع صفات مثالية تجلت بالتعاون والفداء ، مما جعلهم يبرزون من خلال الأحداث التي واجهتهم وحدة متماسكة قوية ، جعلت جميع جيرانهم يحسبون لهم حسابا ، ويضعون في اعتبارهم احتسابا لمواجهتهم ، مما جعل أرض سلمية محرمة وممنوع فيها الاقتتال ، وارتفع شأن السلميين حتى سعت القبائل تخطب ودهم وتكسب صداقتهم •

ولقد حافظ السلميون على هذه العادات ، حتى أن أي اعتداء على أي سلمي سواء كان في الشرق أو الغرب،فإن (الفزاع) سوف يصله ويميزه بالمساعدة التي قد تصل الى حد الدم ، وهكذا كانت روح النجدة صفة وتقليدا من تقاليد المجتمع في سلمية ، ولو لم يكن السلميون على غير هذه العادة لما أمكنهم من مجاراة الحياة البدوية ، وبالتالي كانت اقامتهم في سلمية متعذرة •

وهكذا أصبحت العادات البدوية صفة ملازمة للعادات السلمية وتقاليدها، وغدت سلمية مع الزمن محط آمال البدو في حل مشاكلهم ، عندما أصبحت هذه المشاكل تحل على نفس عاداتهم وتقاليدهم ، وقبل جميع أمراء وشيوخ البدو مبادرات السلميين في حل خلافاتهم سواء كانت هذه الخلافات بين البدو أنفسهم أو بين السلميين والبدو .

ولكم سمعنا من مفاخر العديد من السلميين قولهم : « نحن نقتل الرجل فلا يكلفنا ثمنه سوى سبعة فرنكات ولايسجن لنا قاتل ولا نمثل أمام المحاكم » ومن هذا المنطلق هان عليهم مجاراة المجتمع الذي يحيط بهم بقبلية مماثلة ، هذه العادات والتقاليد جعلت مجتمع سلمية مجتمعا متماسكا ضد الأحداث ، وحتى اليوم ورغم روح التمدن وانصهار المجتمع السلمي بروح المدنية والقانون ، فلا يزال في كثير من الاحداث ينزع الى حل مشاكله بالمنطق العشائري ، ولاسيما بعلاقات السلميين مع البدو ، رغم أن (الفزاع) غدا شبه مفقود إلا في بعض الحالات الضرورية ، وذلك لأن المجتمعات البدوية ، هي الأخرى قدتطورت في عاداتهاوتقاليدها ، وبالتالي أخذت ترعوي عن الصفات القبلية المستهجنة إلا في حدود ضيقة غير مشروعة .

الكوان(١) :

هذه العادة هي الأخرى مقتبسة من المجتمع البدوي ، ولكنها تأقلمت مع طبيعة المجتمع السلمي ، والمعروف أن المفهوم البدوي هو تكتل أبناء القبيلة ضد القبائل المعادية الأخرى ، وظهرت هذه العادة في تكتل أبناء الحي كأنهم قبيلة واحدة ضد الاحياء الأخرى في المدينة الواحدة ، ولعل هذه الظاهرة ، والتي كانت تسود أكثر مدن القطر العربي السوري ، نتيجة لسياسة الدولة العثمانية في تجزئة القوى الوطنية مشجعة التأثير البدوي

---

(١) الكوان : كلمة بدوية معناها القتال او الصراع .

لتمزيق المدينة الواحدة تجعلها قوى متصارعة،وذلك باعتراف الدولة آنذاك بمختار الحي واعطائه قوة القانون وشيخ الشباب الذي له قوة الأمن •

أما في سلمية فقد انقسمت المدينة الى أربعة أحياء ، وذلك بعد توسعها الكبير في عام١٩٠٠م وتمت بين أولاد كل حي تكتلات ضد الأحياء الأخرى سلبية وايجابية حسب المصلحة التي تقتضي ذلك ، ويجتمع أولاد كل حي بأمرة أحدهم الذي تتوفر فيه شروط الشجاعة والقوة والقيادة ، ويشكل الأولاد بقيادة هذا القائد المسمى (شيخ الشباب) أو (العقيد) تجمعا شبيها بالجيش المطيع المنفذ الأوامر الصادرة اليه عن العقيد •

معارك الكوان :

يخرج أولاد كل حي وبالأخص المتخاصمون خارج البلدة الى (البيادر أو ساحات المقابر) ، وهناك تبدأ المقاذفة بالحجارة بواسطة المقاليع ، ويفاخر كل فتى إذا كان مقلاعه ذا (طقة) قوية،وقد يدفع الفتى ثمنا لشراء مقلاع (الصبان) الى صانعيه من البدو ، والذين بدورهم يصنعونه من الصوف المخلوط وبر الإبل ، مما يكسبه صفات القوة والمرونة •

في الكوان يتخذ الأولاد وضعا هجوميا أو دفاعيا حسب تقديرات (عقيدهم) ، ولذلك يقسم الأولاد أنفسهم الى قسمين ، قسم يقاذف ، وقسم ممد لهم بالحجارة التي يستحب فيها أن تكون مكورة ذات مواصفات تؤهلها للرمي ، وقد يسعى القسم الثاني الى تهيئة الحجارة قبل نشوب معارك الكوان •

واذا اتخذوا وضعا هجوميا ، فعلى القسم الثاني حمل الحجارة في أطراف أثوابهم (حرج الدراعة أو الجلابية)، وعندما يقترب الخصمان من بعضهما ، يلغى عمل المقاليع وتبدأ المقاذفة بالأيدي ، وقد يقع الالتحام ، وفيه يحدث الأسر ، فمن يؤسر يؤخذ سلاحه ويلحقه العار ، وقد يستعمل

بعض الشباب اليافعين عند الالتحام بالسكاكين والخناجر،إذ يستدعي عندئذ تدخل الرجال العقلاء لحل الكوان •

عاشت سلمية بعد الحرب العالمية الاولى فترات من هذا الخصام ، وانتشرت بين الأولاد مشاعر الكراهية والانقسام ، لذلك كان الشجار على صعيد المدرسة مخربا للحياة المدرسية ، وقد يسبب عطالة بعض التلاميذ ، لعدم سماح أولاد الحي المخاصم من المرور بأحيائهم لاسيما وأن المدرسة كانت في الحي الجنوبي ، ولما كانت هذه المدرسة الوحيدة، فإن على التلاميذ أن يقطعوا سيرا طريقهم في أحياء المعادين لهم ، حيث ينشب العديد من الشجار ، وهكذا كان يجري فيما اذا أرادوا الذهاب الى المدرسة الزراعية غربي سلمية ، وحتى يتمكن التلاميذ المرور في الاحياء المعادية وصولا الى مدارسهم ، كان عليهم أن يتجمعوا بكتل كبيرة لها رهبتها وقوتها لدى الخصوم،حتى أنه درج أن تعتبر فيما بعد أيام الدراسة الأسبوعية أيام هدنة تنتهي بعد ظهر كل يوم خميس وتبدأ الهدنة صبيحة يوم السبت ، فيما سوى ذلك تستعر نار الكوان من جديد ويسود بين أولاد الأحياء أحاديث تدور عن شجاعة الشجعان وخور الجبناء بحماس كبير ، وبقيت هذه الأوضاع في سلمية حتى أواخر الاربعينات من هذا القرن •

بين شباب الكوان مفاهيم عن المفاوضات والاتهامات وعقد الأحلاف ونقضها عند اللزوم ، ولكم تقام للمأسورين محاكمات ، وكذلك لذوي المواقف المتذبذبة (المتجسين) ، وقد يحكم عليهم بالمقاطعة أو الضرب، ومن المعروف أن روح العائلية تختفي بين أولادها،عندما يتواجدون في حيين متخاصمين ، ولقد زالت معالم الكوان في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وبقيت ذكراها في أذهان أربابها ، وفي رؤوسهم آثار الجروح وندباتها وفي الأجساد بقايا رضوض وكسور ، ولايزال المجتمع السلمي المعاصر لهذه الفترة ، يقص برغبة وحماس أحداث الكوان ، وأهم أبطاله في الأحياء

ويتسامرون بالأحاديث والطرف عن تلك الذكريات التي لا يعرف عنها جيلنا المعاصر شيئا •

لم ينتشر الكوان في ريف سلمية أبدا ، وذلك لأسباب عديدة :

١ ــ كون الريف متألفا من قرى صغيرة تشكل بطبيعتها وحدة متكاملة لا مجال للانقسام فيها •

٢ ــ كون الخطر جاثما على القرى من البدو ، لذلك تنصرف أذهان كل السكان للخطر الخارجي ، أما في قرية تل درة ، فقد تميزت عن قرى ريف سلمية بأنها أكبر حجما وأكثرها سكانا،ومع ذلك لم تظهر فيها ظاهرة الكوان اطلاقا ، بل ظهرت فيها شبيهة به من حيث المخاصمة ، إذ انقسم شباب القرية متكتلين حسب أصولهم القادمين منها ، وهم إما عكاريون أو مغاربة ، فمن كان قدومه من عكار انتمى للفئة الاولى ، ومن كانت أصوله من الجبل من الجبل الغربي فهو ومغربي، وبين هاتين الفئتين وعلى مدى ماينوف على الخمسين عاما مشاجرات ومخاصمات كان مجالها الاكبر هو الأعراس ،حتى غدت الخصومات تمتد من الشباب الى أسرهم،وبالأخص بعد تفاقم الخلاف الذي أدى الى سقوط قتلى،وبدأت معالم الانقسام تختفي تدريجيا في مطلع الاربعينات بسبب انتشار الثقافة والتقدم العلمي ، مما جمع كل الشباب على مستوى المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية ، فانمحت من أذهان الشبا بمظاهر الانقسام نهائيا •

الثار :

الثأر عادة متأصلة في الانسان ، ومعناها الانتقام ، والانتقام بحد ذاته هو رد اعتبار ورد تحد ، وليس أصعب على الانسان من الرضوخ للتحدي، والذي يعبر عنه بسمة الذل والخنوع،لذا كان الرد هو دفع التحدي بالانتقام ومن هنا نشأ الثأر •

وقد عرف المجتمع العربي منذ نشوئه الثأر ، بما طبع عليه من معاني الإباء وعزة النفس ، لذلك انعكس الثأر كمعنى للاباء والعزة عند العربي .

والمجتمع السلمي كغيره اعتاد أن لا يسكت على التحدي ، لأنه منطبع بالعادات العربية الأصيلة ، ومن هنا نشأ الثأر عند السلمي كرد على التحدي ، وقد أجج هذه العادة المحيط الذي عاش فيه السلمي كمحيط البادية ، بما تحتويه هذه البادية من السمات العربية ، لذلك كان الرد على الدم المراق بدم يقابله أو الفدية ، عندما يكون الحادث مع غير السلمي ، لذا عرفت (المادة) كوسيلة لذلك ، وقد مرت على السلميين ظروف كانوا يفاخرون شأن كل القبائل البدوية ، بأن ثمن الرجل عدد من الفرنكات أو المجيديات قديما ، يؤديها الفرد ثمنا لمن يقتلونه ، واحتسبت هذه العادة مفخرة يفاخرون بها كل المجتمعات الأخرى . ولكن التقدم الثقافي بعد الحرب العالمية الثا[illegible] والوعي الفكري والاجتماعي جعل العديد من المثقفين يقلعون عن عادة الثأر ، وينظرون اليها على أنها عادة تدل على الهمجية والتخلف والعشائرية ، وهم في غنى عن همجية البادية في مدينة متحضرة كسلمية ، ولكن غير المثقفين لايزالون يعتبرون مثل هذه العادة ضربا من ضروب الشجاعة والكرامة ورد الاعتبار .

ولكن التحضر الحقيقي وانتشار سلطة القانون ، ودعوة المثقفين حسرت الى حد كبير أمثال هذه العادة ، وجعلت السلطة القانونية تأخذ دورها في العدالة ورد الحق المهضوم ، بذلك لوحظ جليا انحسار أفكار الثأر وعادته ، حيث انطوت الأفكار القبلية والعشائرية المشجعة ، ليحل محلها القانون والمفاهيم العصرية الداعية للتحضر والتمدن .

بعض مظاهر التعاون في المجتمع السلمي

التعاون صفة رئيسية في المجتمع السلمي ، وهو اللبنة الاولى التي عليها ارتفع صرح هذا المجتمع ، والأساس المتين الذي بنيت عليه مدينة

سلمية وتوابعها ، وعلى هذا المبدأ تم اعمار شرقي نهر العاصي ، إذ لولا هذا التعاون ، وانصهار الفردية ومصالحها في بوتقة الشعور بالجماعة ، لما أمكن لهذا المجتمع الصغير في عدده وعدته أن يقاوم الصعوبات التي اعترضته ، ويسمو عليها ويتجاوزها ، لولا العمل التعاوني الذي غدا سمة من سمات المجتمع السلمي والسلميين أينما حلوا وسكنوا •

ففي مجال الزراعة :

معروف دائما أن الحياة الزراعية تقوم على التعاون والمساعدة التي يقدمها القوي ذو اليد العاملة الى هؤلاء (الوحدانيين) الضعفاء ، وقد حدثنا العديد من المعمرين الذين استقرأناهم حول تقدم الزراعة في حوضة سلمية ، فكان ردهم كالتالي : « ان الزراعة كانت تقوم على أساس قطاعات متكاملة (حليات) يعمل جميع الفلاحين في القطاع متجاورين وبآن واحد وعمل تعاوني ، حتى ينجزوا عملهم كاملا عندئذ ينتقلون الى (حلية) أخرى : أي الى قطاع آخر سواء كان العمل في الفلاحة أو البذار أو الحصاد والرجاد » •

وفي مجال البناء :

المعروف أن كل الأبنية التي ارتفعت قديما ، كانت تقوم بالتعاون الذي يقدمه المقيمون لمن يهاجرون ويفدون اليهم ، وبفضل هذه المعونة ، يمكن أن تستقيم أحوالهم وتستمر اقامتهم ، حتى اندفع العديد في بناء قباب ومنازل، وأسكنوها أقرباءهم طمعا في تقوية شكيمتهم وشد أزرهم بهم ، وعندما يجتمع الرجال لقبي بيت، يقوم كل واحد بما يستطيعه من خدمات،فلا يمضي يوم أو يومان حتى يكون البيت قد جهز للقادمين،ولقد استعرضنا من خلال الحياة اليومية والأعمال الاجتماعية والمجالات التعاونية التي اتسم بها المجتمع السلمي ، وبهذه الصفات استطاع هذا المجتمع ان يصمد ويتسع

ويقوى رغم كل النوائب والاخطار،كانت أقدامه ترسخ في الأرض ، وتثبت الحياة في رقعة سلمية وتكبر مع الزمن لأن الانسان يشد أزر أخيه الانسان.

الألعاب قديما وحديثا في الوسط السلمي

اللعب تعبير عن انفعالات سيكولوجية وفيزيولوجية ، ولذلك تنعكس بحركات تبدد الطاقة الكامنة في الجسد ، والألعاب في أشكالها وأنواعها لها ارتباط وثيق بتقاليد وعادات المجتمع ، وصورة تعكس نفسية الجماهير ، ومن هنا كان لكل مجتمع ألعابه سواء كانت هذه الألعاب ألعاب كبار أو صغار على السواء ، ولذلك كان علينا أن نستعرض أهم الالعاب التي سرت قديما وحديثا في المجتمع السلمي،نتيجة للاحصاءات التي تمكنا من دراستها تبين أن أكثر الألعاب الدارجة في المجتمع السلمي تكاد تكون كلها أو جلها مقتبسة ممن جاورهم من البدو،لذا تجلى فيهذه الألعاب ظاهرتان متميزتان :

١ ـ القــوة   ٢ ـ الرعونــة

إن بعض الألعاب تكشفت عن لباقة وطرافــة ، وبعضــها الآخر عن اشغال للفكر ، ومما يلاحظ أن الالعاب كلها تقريبا كانت تختص بالذكور ، بينما اقتصرت ألعاب الاناث على فتيات صغيرات ، بألعاب بسيطة ، إذ قــل أن نجد للصبايا ألعابا لسببين رئيسيين .

١ ـ انشغال الفتاة الدائم في أعمال البيت أو الحقل ، مما لا يتيح لها وقتــا للعــب .

٢ ـ اللعب للفتيات عادة مستهجنة ، إذ تعرضها لحركات و تصرفات لا تليق بمركزها الاجتماعي .

هذان السببان جعلا الفتيات بعيدات عن ممارسة الألعــاب ، إذ أن الأعمال الجماعية واللقاءات بين الفتيات كانت غالبا ما تضفي شعور من اللهو

والتسلية ، وكانت (الدبكة) الرقص أكثر المظاهر انتشارا كرياضة حركية تمارسها معظم الفتيات اذا لم تقل كلهن •

ومن هنا اقتصرت الالعاب على الذكور فتيانا وشبابا وبعض الفتيات ممن سنهن دون الرابعة عشرة ، وحتى تتمكن من استعراض هذه الالعاب عمدنا الى تصنيفها حسب نوعيتها على الشكل التالي :

١ ــ ألعاب القوة

٢ ــ ألعاب الخفة

٣ ــ ألعاب الفكر

٤ ــ ألعاب التسلية

٥ ــ الفروسية

٦ ــ الألعاب الحديثة

العاب القوة :

تبرز هذه الألعاب القوة الجسدية لدى ممارسيها ، وهي رغم بساطتها، فإن بعضها ينتشر في أنحاء العالم بأشكال متطورة ، مما يدل على قدمها وعراقتها ، حتى أصبحت جزءا رئيسيا من الالعاب الأولومبية العالمية ، وأشهر هذه الألعاب :

المصارعة :

يمارس هذه اللعبة الشباب الأقوياء بأشكال عديدة ومتنوعة ، يطلق عليها العامة أسماء عديدة منها (المدايلة،والمعابطة وشد الخصر) ، والمصارعة لعبة قوامها رجلان لابد لأحدهما من الفوز على الآخر ، ولهذه اللعبة أبطال مشهود عليهم بالقوة والبراعة في التغلب على الخصم ، وكثيرا ما كان يعمد

الشباب الى تدريب الاولاد الصغار عليها ، وذلك بعقد حلقـات المصارعة بدون مناسبة بينهم •

تدور المصارعة عادة في مناسبات الأعراس أو الأعياد ، وعند بدئها لابد للحضور من أن ينقسموا الى قسمين مع المتصارعين ، لذلك كانت ترتفـع الأصوات المشجعة حالما تبدأ المصارعة ، ولايعتبر وقـوع أحـد المتصارعين أرضا غلبا نهائيا ، فالغلب لا يكون أكيدا إلا في تحقيقه مرة ثانيـة كقول العامة في هذا الصدد (الزيك وأخوه)،وهذه العبارة يرددها من يقع بطلهم أرضا لأول جولة ويودون اعـادة الصراع ، فإما أن يأخذ بالثـأر ، وتعتبر النتيجة التعادل ، أو يغدو مغلوبا بالتأكيد •

كانت ساحات البيادر والساحات العامة هي ميادين الصراع ، وتجري المصارعة على مرأى من المتفرجـين وفي الأعراس على مرأى من المتفرجين والمتفرجات اللواتي كن (ينخين) ويشجعن المتبارين ، وعند سقوط أحدهما ترتفع الزغاريد للفائز المنتصر •

المشـابكـة :

وهي نوع من المصارعة ، لكنها تقتصر على صراع الايدي فقط ولها أشكال عديدة منها :

أ ـ المشابكة بالكف ، وذلك بوضع الكف بالكف ، بينمـا يكـون الذراعان ممدودين ، يعمـد كل شاب الى تدوير كف نده على أن يكـون الشخصان واقفين ، ويضع كل منهما قدم رجله اليمنى مقابل رجل خصمه •

ب ـ المشابكة بالكف والساعد : وذلك بوضع الكفين لدى المتبارين بشكل متماسك مع الابهام من الاعلى ، بينما يستند المرفقان على سـطح مرتفع كطاولة مثلا أو وسائد ، على أن تكون نقطتا الاستناد على خط واحد واستقامة واحدة ، والمتباريان جالسين ، وأي ميل للمرفق عن خط الاستناد

معناه التلاعب في المشابكة ،وهو غش كبير ،وتبدأ المبارقا بأن يشد كل منهما كف الآخر محاولا إمالتها باتجاه اليسار •

جـ ـ المشابكة بالإبهام والسبابة ، وهذا النوع من المشابكة خطر ، إذ غالبا ما يؤدي الى صدع الابهام أوالسبابة لأحد المتبارين، وتسير هذه المشابكة على غرار المشابكة بالكف والساعد ، والفارق بينهما هو اقتصار المشابكة مع أصبعين الابهام والسبابة دون اشتراك الاصابع الاخرى •

القيمة (رفع الأثقال) :

يشترك في هذه اللعبة من حيث المبدأ عدد من الشباب ، وذلك برفع ثقل ما ، قد يكون إحدى قطعتي رحى اليد أو حجر كبير،ثم يعمد الى رفع ثقل أكبر فأكبر في الوقت الذي يتناقص عدد المتبارين حتى التصفية النهائية، والتي تقتصر على شابين أو ثلاثة ، ويتابعون الرفع حتى يفوز أحد الشباب بحمل ثقل يعجز عنه الآخرون •

ولهذه اللعبة أنواع عدة منها :

١ ـ الرفع من الأرض مباشرة الى أعلى الرأس •

٢ ـ الضغط ، وهو وضع الثقل على راحة اليد ، وهي على الكتف ، ويطلب من المتباري رفعها ضغطا الى الاعلى على امتداد ذراعه •

ولعبة القيمة تمارس عادة بيد واحدة ، وقد طورت عالميا برفع الأثقال بواسطة الذراعين معا بنفس الطريقة القديمة(النتر والضغط) ،وقد أصبحت من الألعاب الأولومبية الرئيسية •

ودرجت العادة أن تمارس هذه اللعبة في الأعراس والمناسبات الشبيهة، إذ تنتهي الدبكة والرقصات ، عندئذ ترمى القيمة في الساحة ويطلب من

الشباب رفعها بين المشاهدين والمشاهدات الذين ترتفع أصواتهم مشجعين من يناصرونه ، فإذا ارتفعت القيمة بنجاح ، ارتفعت معها الزغاريد ، وعندما ترسو القيمة على أحدهم ويرفعها في آخر المباراة ، ينظر الناس الى هذا الشاب بنظرة البطولة وتحيطه نظرة الاكبار ، مما يبعث الفخار له ولأسرته والى حيه وقريته •

ألعاب الرشاقة :

هذه الألعاب متعددة الانواع كثيرة العدد،ويمكن أن نحصيها حسب التصنيف التالي :

١ ــ ألعاب ذات حركة بسيطة ٢ ــ ألعاب الركض ٣ ــ ألعاب الحجارة

تتميز هذه الألعاب بالحركة الخفيفة والمرونة والدقة والقوة ، وتكسب الأجسام مرونة ولياقة جسديتين ، رغم أنها لا تخلو من الخشونة الى درجة تصل الى الإيذاء أحيانا كما في لعبة (دريو) أو (دق هريس و(القط المربوط). وهي مرنة تتطلب الخفة، كما في لعبة (ماقينا يا ماقينا) ،كما تتطلب السرعة في الجري كما في لعبة (السمكرة) و (الباحة)و (الحرامية) ، وتتطلب السرعة والدقة معا في ألعاب (التكرعة) و (عود ضاع) ،وأمافي ألعاب الحجارة ، فهي تستدعي الدقة كما في لعبة (هرابيل) و (القاموع)،وقد تستدعي دقة في حركات الجسد كما في لعبة (المستريحة) ، ومن العرض البسيط لأشهر هذه الالعاب نراها مميزة بالخفة والرشاقة ، ولذا كان علينا أن نستعرض كل لعبة شارحين وقائعها •

الألعاب ذات الحركة البسيطة :

تمتاز هذه الألعاب بالحركة البسيطة المصحوبة بالضرب أو القفز أو الرقص ، وأشهرها على الاطلاق :

لعبــة القــط المربوط :

قوام هذه اللعبة عدد من الأفراد ، يدقون وتدا على الارض ، ويربطون به حبلا قصيرا ، وبعد العد لابد أن ترسو اللعبة على واحد من اللاعبين ، يكون هو القط المربوط ، وتسير اللعبة على الوجه التالي :

يمسك من ترسو عليه اللعبة بطرف الحبل،بينما يعقد كل لاعب كوفيته بشكل مقرعة ، وتوضع كل هذه المقرعات حول الوتد ، ويحاول كل لاعب أن يخطف مقرعة ، والقط المربوط يحامي عنها فإذا لمس برجله أو بيده احد اللاعبين ، حل اللاعب الملموس محله ، وأصبح قطا مربوطا ، أما اذا استطاع أحد اللاعبين خطف مقرعة ، فيحق له استعمالها عندئذ لضرب القط المربوط وتسير اللعبة على هذا المنوال •

لعبــة دق هــريــس :

تمارس هذه اللعبة من اللاعبين وهم جلوس ، حيث يجتمعون بشــكل دائري ، ويمدون أرجلهم بحيث تشكل على الارض دائرة ، ويقود (عقيد اللعبة) اللعبة ، فهو يصيح دائما : دق هريس •• دق هريس ،ويردد هذه العبارة اللاعبون ، وعندما يحرك العقيد يده يستجيب اللاعبون له بالتقليد ، فإذا لمس رأسه ، فعلى الجميع لمس رؤوسهم ، ومن يخطيء فعلى العقيــد معاقبته بالضرب بالمقرعة لخطئه ، وهكذا تسير اللعبة ، ومن مميزات هــذه اللعبة أنها من ألعاب الشتاء وفي لياليه الطويلة ، كما يمارس هذه اللعبــة رعاة الأبقار أو الأغنام عندما يتواجدون إبان القيلولة •

لعبــة دح يوبــا :

وهي عبارة عن رقصة مصحوبة بالغناء ، إذ يتماسك اللاعبون في حلبة الرقص يغنون سوية (دح يوبا •• دح يوبا) مع تقديــم الرجــل وتأخيرها، ويقود هذه اللعبة (العقيد) المنتخب بالعد ، فإذا أخطأ أحد اللاعبين فــي بعض الحركات أخرج خارج الحلبة ، وتستمر اللعبة حتى يبقى مع العقيدلاعب

واحد ، يكون هو الفائز ويصبح بعدها عقيدا،وتعاد اللعبة ، وهكذا تستمر، يمارس هذه اللعبة غالبا رعاة الاغنام أو الابقار في أيام الربيع وفي المراعي الواسعة •

لعبة دريو :

تتميز هذه اللعبة ببعض الخطورة أحيانا ، وقوامها عدد من الافراد اليافعين أو الشباب ، إذ يبادر كل لاعب فيغرس مسمارا في مقدمة حذائه ، وبعد العد ترسو حماية الدائرة المرسومة على الارض على أحدهم ، فيدخل هذه الدائرة ، ويصبح حارسا لها ، يمنع أيا من رفاقه دخولها ، لذا يكون هجوم الشباب ودفاع الحارس عن الدائرة ، وذلك بأن يرفس كل من اللاعبين الفريق الآخر بأحذيتهم المسلحة بالمسامير ، وهكذا ، قد يصاب المهاجمون والمدافعون ، وتدمى الأرجل والأفخاذ وأي مكان يصاب بطعنة مسمار،ولكن رغم الإصابة فاللاعب صامد صابر حتى يمسك أحدهم فيغدو أسيرا ، فيحل محله في حراسة الدائرة،بينما ينقلب الحارس القديم مهاجما.

ورغم ماتتميز به هذه اللعبة من الخطورة من تصميم المدافعين ورعونة المهاجمين من رفاقهم •

لعبة ماقينا يا ماقينا :

يلعب هذه اللعبة الشباب والاطفال على السواء ، وهي تتألف عادة من فريقين متساويين من حيث العدد ، أحد الفريقين من فوق والآخر من تحت ، أي أحدهما راكب على ظهر الآخر •

ولهذه اللعبة حكم ، يقف وظهره على الجدار ، بينما ينحني الفريق الذي من تحت ممسكا الواحد منهم بمؤخرة الآخر ، حتى يشكلوا سلسلة، ويقفز أفراد الفريق الثاني ليركبوا ظهور الفريق المنحني ، ويطلق على أفراد

الفريق الراكب أسماء مستعارة من أمثال الذئب والنمر والديك والغزال•• الخ،ويصيح الحكم مرددا العبارة التالية:« ماقينا يا ماقينا يا مطقطق الحجرينا ينزل مانيزل فلان » مسميا أحد أفراد الفريق الراكب ، فإذا أخطأ أحد افراد الفريق بالنزول ، يتحول كافة أفراد الفريق ليصبح من تحت ، ويتحول الفريق الذي كان من تحت ليغدو راكبا ، وتسير اللعبة ، والحكم هو الفصل عند وقوع خلاف في مسيرة اللعب •

مجمل هذه الألعاب متميز بالحركة البسيطة ، ولكنها مصحوبة بالرعونة من خلال الضرب المفروض في بعضها ، حتى ليصل الى حد الإيذاء ، ولكنها رغم كل ما فيها من صفات القسوة ، فهي مسلية تعكس الى حد كبير الصورة البدائية في نفسية اللاعبين القاسية في تمثيل بعضها للروح القبلية في الانقسام بين هجوم ودفاع ، كما تمثل روح الخشونة والقوة،شأن حياة البادية في مظاهرها وطبيعتها •

العاب الركض :

ميزة هذه الألعاب ، أنها تقوم على الركض ، والركض السريع أحيانا مع ممارسة العديد من الحركات أثناء الجري،أو تحقيق العديد من الاهداف، ومن هنا كان على لاعبيها أن يتحلوا بالخفة والمرونة معا وأول هذه الألعاب:

لعبة السمكرة :

يلعب هذه اللعبة عدد من الشباب ، وينقسمون الى قسمين متساويين، وتسير اللعبة على النحو التالي :

قبل بدء اللعب ، يعين على الارض حفرة هي (السمركة) ،ويقف فريق يدافع عنها والآخر يهاجم للوصول اليها لاحتلالها بوضع القدم فيها ، لهذه اللعبة لياقة بدنية عالية ، الى جانب الخفة والسرعة في الجري ، إذ يجب على

المهاجمين أن يدخلوا السركة دون أن يلمسهم أحد من المدافعين ، وقد يستطيع الهجوم القضاء على أحد المدافعين ، فيما إذا استطاع أن (يقطعه) بالمرور بينه وبين السركة ، أما إذا لمس أحد المدافعين مهاجما فإنه يصبح مأسورا ، كما أن المقطوع هو الآخر أسير ، والأسير عادة يخرج من اللعبة، ومن خلال ممارسة اللعب يصفى اللاعبون فلا يستمر إلا ذوو اللياقة البدنية العالية ، وعندئذ تتحول اللعبة الى نوع من المطاردة ، يقصد كل فريق القضاء على أفراد الفريق الآخر ، ولا يفوز أخيرا إلا الأسرع ركضا •

وهناك لعبة أخرى تحتاج الى السرعة هي :

لعبة عود ضاع او عظم ضاع :

ميزة هذه اللعبة أنها لعبة ليلية لا تجري إلافي الليالي المقمرة،ولايمكن ممارستها في ضوء النهار أبدا ، كما أن هذه اللعبة لاتتطلب انقسام اللاعبين وتسير على الوجه التالي :

يقف قائد اللعبة والمسمى (عقيد) ، ويرمي العود أو العظم بعيدا ، وعلى اللاعبين أن يفتشوا عنه ، ومن يجده عليه أن يحفظه ويخبئه ولا يشعر رفاقه به،ومن ثم عليه أن يعيده الى العقيد،فيكون بذلك فائزا،أما اذا شعر به رفاقه ، فإنهم سيطاردونه قاصدين استخلاصه إياه ، وهنا تبدأ المطاردة ، مما يدفع من يلاقيه أن يخفيه في طيات ثيابه أو في سرواله لإشعار رفاقه به ، وعليه أن يوصله الى العقيد بالطريقة التي يراها أسلم له وللعود أو العظم ، ومن هنا يغدو اللاعبون بين مفتش عن الضائع وبين مراقب عمن يتجه الى العقيد الجالس في مكان انطلاق اللعبة ، وتستمر هذه اللعبة حتى وقت متأخر من الليل بمتعة يشعر بها الفائز بالضائع ، والذي استطاع بعد جهد وحيل إيصال الضائع الى العقيد ، فإذا أوصله غدا هو نفسه عقيدا ، وعاد العقيد الى صف اللاعبين •

ومن المعروف أن اللاعبين يتداعون في أول الليل الى اللعب بترداد الكلمات التالية ، « يا عجان قلالو وتعشو وتعالو واللي ما بيجي الليلة أمو تخلف عجيلة » •

وعند انتهاء اللعبة يصيح اللاعبون مرددين العبارة التالية « اللي مابروح عبيتو يكب الزيت على خيتو » •

لعبة الحرامية او (المستخباية) :

لعبة السارق والمسروق ، يمارس هذه اللعبة الفتيان والفتيات على السواء وهم صغار ، وندر أن يمارسها الشباب ، وتسير اللعبة على الوجه التالي :

ينقسم اللاعبون الى قسمين سارقين ومسروقين وعلى المسروقين أن يفتشوا عن السارقين (الحرامية) ، فمن يلقى القبض عليه ، يصبح أسيرا ويخرج خارج اللعبة ، لذلك يعمد السارقون الى الاختباء والتواري عن الأنظار ، كما يكونون قد حددوا مكانا من يصل اليه ، ويلمسه فيكون في أمان من الأسر ، وهكذا تبدأ المطاردة والاختباء ، بعد أن يقف المسروقون مغمضي الأعين متجهين الى الجدار ، يعدون الأرقام حتى رقم عشرة بقولهم : « واحد اثنان •• حتى العشرة » حيث يصيحون: (دارت) أي ابتدأت اللعبة بأنها تمارس في أماكن يمكن الاختفاء فيها كالبيادر أو الزرع أو حتى في دور السكن ، لذلك يمارس الاطفال هذه اللعبة على البيادر ، بينما تمارسها البنات في دور سكناهن •

القفز العريض :

هذه اللعبة دلالة على القوة الجسدية والخفة ، ولهذا النوع من القفز عدد من الاشكال منها :

١ ـ القفزة الواحدة ٢ ـ القفزتان والتكميلة ٣ ـ ثلاث القفزات والتكميلة

والشباب اجمالا يمارسون هذه اللعبة للدلالة على قوتهم ، وغالبا ما يمارسها الشباب بأنواعها الثلاثة ، كما أن بعضهم يمارسها في تخطيهم لمجاري المياه والجداول ، وحتى في أماكن صعبة التخطي ، وتعتبر هذه اللعبة احدى ألعاب الدورات الأولومبية العالمية •

لعبة (اللفة) او (الباحة) :

هذه اللعبة متميزة بسرعة الركض وتحقيق الاهداف ، ويشارك فيها عدد من الافراد ، وذلك بعد أن يعدوا حتى رقم معين ، فترسو اللعبة على من يقع عليه الرقم فيصيح الجميع : « احم أمك » ، ويسعى ذلك اللاعب الى لمس أحد اللاعبين بالركض خلفه ، فإذا استطاع ذلك انتقلت مسؤولية (حماية أمه) بالسعي للمس أحد اللاعبين ليبريء ساحة أمه ، وإلا فإنها تستقر عنده ، ويصيح اللاعبون : « باتت باتت » •

يطلق العامة على هذه اللعبة اسم (الباحة) ، وتمارس عادة من الجنسين كل على حدة أو مختلطة بين الأطفال لسهولة ممارستها ، وعدم تحديد المكان ، فهي تمارس في شتى الظروف ، لذا غدت من الألعاب الاكثر انتشارا ، وامتدت ممارستها في ألعاب رياضة تلاميذ المدارس •

التكرعة : ويسميها الاجانب (الهوكي)

ولهذه اللعبة عند السلميين شكلان ، فهي تمارس التكرعة اذا كانت تلعب في ملعب ، وعندئذ تمارس على الشكل التالي :

ينقسم اللاعبون الى قسمين متساويين ، وأداة اللعب عصا ذات رأس كبير أو انحناء في آخرها ، بحيث يتعين لكل فريق ما يشبه المرمى على جدار ، وتكون (التكرعة) عبارة عن حجر أو كتلة من الخشب مكورة ، يحاول كل

فريق إدخالها في مرمى الفريق الآخر ، وتحصى الاصـابات أو الاهداف ، ويكون مجال اللعب محددا بالمكان ، فلا يجوز اخراج التكرعة خارجـه ، وإلا انتقلت للفريق الآخر ، وإذا مورست هذه اللعبة خارج الملعب سميت (العـرطـوز) •

يبقى اللاعبون فريقين متساويين في عددهما ، وأداة اللعب هي نفسها العصا والتكرعة ، ولكن المرمى هنا مختلف عن سابقة ، إذ يصبح عبارة عن حفرة بعمق حوالي (٢٠) سم وعلى شكل دائرة لا يتجاوز قطرهـا نصف متر ، ويجري اللعب على الشكل التالي •

ينقسم اللاعبون الى فريقين متساويين عددا،فريق مهاجم وفريق مدافع، وعلى المهاجمين إيداع التكرعة في الدائرة (الحفرة) ، وإذا اسـتطاع أحد المهاجمين ذلك يكون عندئذ قد (بيشها) أي حقق هدفا ، وعلى المدافعين إبعاد التكرعة عن الدائرة بقذفها بعيدا بالعصا ، واذا استطاع أحد اللاعبين المدافعين إبعاد الكرة خارج دائرة المهاجمين ، فيكون عندئذ قد (عرطزها)، وخلال ابعادها ، اذا استطاع لمس أحد المهاجمين بطرف عصاه ، فيغدو هذا المهاجم (مقتولا) ويخرج خارج الملعب •

وتعتبر هذه اللعبة خاصة بالشباد ن تتوفر فيهم القوة والمرونة في الحركة والدقة في استعمال العصا و الهدف •

العـاب جـارة

تتميز هذه الألعاب بأن أدواتها هي الحجارة ، وهي بمجملها العـاب يمارسها الشباب ، وأحيانا البنات الصغار دون سن الرابعة عشرة ، وأولى هذه الألعاب هي :

الهـرابيـل :

وهي لعبة يمارسها عدد لا يتجاوز خمسة أشخاص ، ولا يقلون عـن ثلاثة ، وطريقتها على الشكل التالي :

يمسك كل لاعب في يده (دوش) وهو حجر مسطح ، ويقذف اللاعبون هذه الحجر الى موقع التكرعة وهي الاخرى حجر مكور ، فمن جاء دوشه بعيدا عن موقع التكرعة جاء دوره لحراسة التكرعة ومحاولة جعلها ثانية على حجر هو موقعها ، بينما يقذف اللاعبون بأدواشهم التكرعة ، ويسعى كل لاعب لوضع رجله على الدوش الخاص به .، فإذا أسقطت التكرعة عن الحجر أو ابتعدت فعلى المدافع اعادتها ، واذا لمس بعد اعادتها أي مهاجم ، أصبح اللاعب الملموس مدافعا وغدا القديم لاعبا مهاجما ، وهكذا تمارس هذه اللعبة بحماس كبير •

الدوش :

وهي لعبة كسابقتها قوامها الحجارة إلا أنها تسير بطريقة ثانية :

فبعد قذف الأدواش على التكرعة ، يكون أبعدهم دوشا هو حارس التكرعة ، بينما من يكون دوشه أقرب يبدأ اللعب ، وذلك بضرب التكرعة بالدوش ،، فإن أصابها وابتعدت عن موقعها ، يعد اللاعب المسافة التي ابتعدت فيها التكرعة قياسا بالقدم بعده قائلا : « واحد اثنان ثلاث ••حتى العشرين » وبعد هذا الرقم يكمل العد بقوله:« نمز نسرين نأكل بالعنب والتين تينة اثنتان ثلاث •• حتى العشرين » ، فإذا بلغها يكون قد حقق (زيكا) وهو الغلب •

أما اذا قذف أحد اللاعبين دوشه ، ولم يصب التكرعة ، فيكون قد (قطش) أي نبا عن الهدف ، وينقلب عندئذ الى مدافع ، ويصبح المدافع السابق لاعبا،وبعد انتهاءاللعب يفاخر كل لاعب بأنه حقق غلبا عند رفيقه•

القاموع :

لعبة تسلية قوامها عدد من اللاعبين لايتجاوز عددهم على ستة أفراد، ينقسمون الى قسمين متساويين ، يبني كل فريق على بعد قدره حوالي

غشرين خطوة ثلاثة (قواميع) ، وهي حجارة مرتبة فوق بعضها بارتفاع قدره حوالى ـ ٣٠ سم ، ويقف كل فريق على محاذاة قواميعه ، ويضرب كل لاعب حجرا ليرمي من قواميع الفريق الآخر ، فإذا أصاب أحد اللاعبين (قاموعا) كوفيء على هدفه بضرب حجر زائد عن نصابه ، وهكذا تتوالي نوبات القذف بالحجارة ، ويعتبر الفريق فائزا عندما يهدم أعضاؤه جميع قواميع الفريق الثاني ، ويتم تبادل الأماكن بأن يركب كل أفراد الفريق الفائز على ظهور الفريق الخاسر لينقله من أماكنه الى المكان الثاني •

ومن ميزات هذه اللعبة أنها مسلية بالدرجة الاولى وتمارس في الخلاء بعيدا عن المعمورة ويتميز لاعبو هذه اللعبة بالتسديد الدقيق أثناء الرمي ، مما يتيح لهم إصابة الأهداف •

المستريحة :

لعبة البنات الصغيرات ، يمارسنها في الأزقة وفي ساحات البيادر كما في الساحات العامة وهن ممن لا يتجاوز سنهن الرابعة عشرة سنة ، وأداة اللعب بهذه اللعبة (الدوش) الصغير ، أي حجر مسطح صغير ، وقوامها لاعبتان أو ثلاث ، وتسير اللعبة على النحو التالي :

ترسم اللاعبات على الارض ثمانية مربعات على نسقين ، وبعد ترمي كل فتاة دوشها فإذا لمس الدوش خط المربعات أبعد دورها في اللعب ، وتبدأ اللعبة بأن ترمي اللاعبة الدوش في المربع الأول ، ثم تنقله بأن تقذفه برجل واحدة دون الاخرى عبر المربعات ، حتى تصل الى المربع الخاص الذي تستريح فيه اللاعبة ، ثم تتابع اللعب حتى إخراج الدوش من كل المربعات دون أن يقف الدوش على خط أحد المربعات ، فإذا أتهت (الحل) بنجاح كسبت مربعا تستريح فيه زيادة عن مربع الاستراحة ، أي ملكت اللاعبة (مستريحة) ، أما اذا أخطأت أثناء اللعب ،انتقل (الدور) الى احدى

رفيقاتها ، وهكذا تمارس اللعبــة ، ومن تحز على ستريحــات أكثر تكون هـــي الفائــزة •

ألعــاب التسـلية

هي مجموعة ألعاب يقصد بها إضاعة الوقت ، وإملاء الفراغ المقيت ، وبخاصة في أيام الشتاء أو الاوقــات التي تخلو من العمــل ، لذلك يعمد اللاعبون لتبديد الزمن بما يسليهم من لعب ، قد يجلب لهم المرح ، أو ينمي فيهم روح الفوز والنجاح •

وأول هذه الألعاب لعبة السـهرة المحببة لدى الرجال وهي الدستكون•

الدســتكون :

تبدأ هذه اللعبة بالرهان، يدفعه م نيخسر به ءوضع القيمة المادية مع رجل عادل ، وتبدأ اللعبة على الوجه التالي :

يؤتى بـ ١٠ ـ فناجيل صغيرة غير شفافة متجانسة شكلا ، هــذا قبل أن يصنع لهذه اللعبة أدوات خاصة ، وهي عدد من (القموع) ومفردها قمع شبيه بالمخروط من الصفيح بحجم فنجال القهوة ، توضع هذه الأقمعة على وعاء مسطح ، ويتناول الخازن الوسيط هذه الأقمعة ويحركها خفيــة بمنأى عن أنظار اللاعبين ، ويضع تحت أحدها خاتما ، ثم يعود الى اللاعبين، حيث ينتقــي كل منهم واحدا ، ومن يخرج في حصــته الخاتم يكون هو الخاسر ، ويقع عليه الرهان ، وبالتالي يشتري الخازن العادل بما لديه مــن أموال الرهان حلويات يأكلها الحاضرون اللاعبون والمشاهدون ، وقد تتكرر اللعبــة في الليلــة عدة مرات ، وفي كل مرة لا بد من خاسر، وفي الغالب يسود جو الســهرة المرح والضحك والأهازيج ، وقد ينقضي الجزء الأكبر من الليل واللعب دائر دون انتباه •

لعبـة الادريـس (البـدريـس) :

قوام هذه اللعبة لاعبان ، وهما عادة من الاولاد أو اليافعين ، إذ يخططان على حجر مخططا رباعيا ، ويوصلان بين زواياه بقطرين متعامدين ، وكذلك يقسم المربع الى أربعة مربعات متساوية ، وهكذا ترسم لوحة (البدريس) ، أما أداته فهي ست حصوات كـل ثلاث منها بلون واحد،وعلى الاغلب ثلاث سوداء وثلاث بيضاء ، ويختص كل لاعب بثلاث ، حيث يصفها على نسق ، ثم يبدأ اللعب ، ومتى استطاع اللاعب جعل حصواته على نسق قبل رفيقه نال هدفا ، ولكم يحاول من الفريقين عرقلة حركة حصيات رفيقه ، بادخاله حصـوة تؤخر تحقيق الهدف ، الذي يسـمى (حلا) ويكون اللعب عادة (مناقلة) أي يلعب كل واحد بالتناوب ،مع العلم أن كل ثلاثة حلول معناه (برتية) وهي غلب •

السلاقـوص :

هذه اللعبة تمارس عادة من قبل البنات الصغيرات ، بعدد اثنتان فقط، وقد يمارسها الاطفال الذكور تجاوزا وهي على الشكل التالي :

تنتقي اللاعبتان خمس حصوات ، وتوضع على الارض ، وتبدأ احدى

اللاعبتين يرمي حصوة في الفضاء وقبل سقوطها على الارض عليها أن تلتقطها، وهكذا تتوالى في التقاط بقية الحصوات ، حتى تنهتي منها جميعا الواحدة بعد الأخرى ، ثم تتكرر اللعبة بقذف حصوة في الفضاء والتقاط حصوتين دفعة واحدة ، ومتى نجحت تكرر الالفاظ ثلاثا ورباعا ،ثم توضع الحصوات على الارض،وتبدأ المرحلة الثانية من اللعب بوضع يدها على الارض مشكلة نافذة بين الإبهام والسبابة ، وعليها أن تمرر الحصوات من هذه النافذة ، مع قذف حصوة في الفضاء ودفع الحصوات واحدة فواحدة ،، ثم مثنى وثلاث ورباع، فإذا انتهت العملية بنجاح تبدأ المرحلة الثالثة ،بوضع الحصوات على ظهر اليد وتحاول التقاطها بعد رميها في الفضاء،وأي خطأ خلال هذه المراحل معناه انتقال اللعب الى الجهة الثانية بعد خسارة كل النجاحات التي تنخطاها خــلال اللعب •

العــاب الــدحــل :

ويسمى بالعامية (الجل) على أن تلفظ الجيم مصريــة ، وللدحل العديد من الألعاب منها ،

لعبة (اللحقة) ، ويلعب بها اثنان فقط كل يلاحق بدحله دحل رفيقــه بالتناوب ،، فإذا أصاب بدحله دحل رفيقه كسب منه دحلا ، وهكذا •

لعبة (المور) يلعب بهذه اللعبة أكثر من اثنين ، وذلك برسم مثلث على الأرض هو (المور) ويضع كل لاعب داخل المثلث دحلا هو (البيتة)، ثم يبدأ كل لاعب يرمي دحله صوب المور ، فمن يصيب دحلا ويخرجه من المثلث ، فيكون قد كسبه ، وهكذا تسير اللعبة •

لعبة (البيتات) : ويلعب بهذه اللعبة لاعبان أو ثلاثة ، وذلك أن يضع كل لاعب دحلا هو (البيته) على مسافات متباعدة ، ويقذف اللاعبون من مكان الرمي الذي يسمونه عادة (رأس المحج) على الدحلات ، فمن أصاب

دحلا فهو له ، ومن استطاع اصابه دحل رفيقه آخرجه من اللعب ويقول له لقد (خصيتك) ، وقد تتطور اللعبة ، فتصبح البيتات من الجوز أو أحيانا من النقد (فرنكات) مثلا •

لعبة الحفرة ، وذلك أن يجتمع لاعبان أو أكثر ، ويضع كل منهم دحلا أو اثنين ليرميها كل لاعب بدوره صوب الحفرة ، وكل ما ينزل من الدحلات في الحفرة هي ملك للرامي •

وللدحل ألعاب لاتحصى لكثرتها ، وتعتبر هذه الألعاب التي ذكرناها أكثرها شيوعا في المحيط السلمي ، ولا يزال العديد من الاطفال يمارسون اللعب بالدحل حتى في أيام المدرسة ، وتعتبر أيام العطلة الصيفية موسما لألعاب الدحل عادة •

العاب الورق (الشدة) :

الورق معروف ، وقد دخل المجتمع السلمي في أعقاب الحرب العالمية الاولى ، مع دخول الاستعمار الفرنسي ، وانتشر بسرعة في فترة ما بين الحربين العالميتين الاولى والثانية ، وللورق ألعاب لا تحصى منها ما هو للتسلية (القاشوش) أو (الباصرة) ولعبة (الختيار) ولعبة (التشليحة) ولعبة (البنكل) ، وقد انتشرت الاخيرة مع لعبتي (الطرنيب) و (التريسك) ، بعد الحرب العالمية الثانية في المجتمع السلمي ، وتعتبر كل هذه اللعبات للتسلية •

ولكن بعض المقامرين ابتكروا ، أو اقتبسوا العديد من اللعب بالورق وبطرق متنوعة منها (البوكر) و (الجوكر) ، وهما لعبتان مقتبستان ، و (السبعة والنصف) ، وهي مبتكرة ، وهناك العديد من أنواع الألعاب الهادفة للكسب والقمار •

لعبة النرد :

هي لعبة تركية انتشرت بين طبقات الحاكمين العثمانيين ، ومن ثم انتقلت الى صفوف الموظفين ، ومنهم انتشرت بين طبقات الشعب ، وللنرد طاولة ذات مصراعين ، تحتوي ثلاثين حجرة نصفها أبيض والنصف الثاني أسود ، تصف هذه الحجارة على طرفي الطاولة ، وتنتقل بتحريك (الزهر) وهو عبارة عن مكعبين مرقمين على أوجههما الستة بأرقام من ١ — ٦، وتعتبر هذه اللعبة لعبة الحظ واللياقة في نقل الحجارة ، وللنرد العديد من اللعبات في نقل الحجارة منها (المغربية والجلا والمحبوسة) ويطلق على أرقام الزهر أسماء تركية مثل (يك ، د و، سي ، جهار ، بنج ، شيش) ،واذا جاء الرقم مزدوجا دعي (هب يك ودوبارة ، ودوسي ودورجي ودوبيش ودوشيش وهكذا •

الألعاب الفكرية

هي ألعاب تشغل الفكر سواء كانت من حيث العد والحساب، أو من جيث رسم الخطط ، وفي المجتمع السلمي من مهر في هذه الألعاب ، والمباريات تكاد تكون دائمة بين المتفوقين الذين يقصدون بعضهم من مكان الى آخر وأشهر هذه الألعاب :

المنقلة :

قوام هذه اللعبة الحساب والعد ، وأدواتها خشبة محفور فيها أربع عشرة حفرة على نسقين متقابلين في كل نسق سبع حفر ، تملأ هذه الحفر بالحصيات ، وفي كل منها سبع حصوات •

طريقة اللعب : يمارس هذه اللعبة لاعبان ، لكل منهما نسق مملوء بتسع وأربعين حصوة موزعة على الحفر السبع ، ويشرع اللاعب بتوزيع الحصوات على الحفر بوضعه حصوة في كل حفرة ، فإذا انتهى التوزيع ،

وكان العدد في الحفرة النهائية مزدوجا اثنتين أو أربع (آكلها) أي كسبها ويرفعها من المنقلة لتكون في يده مكسبا ، ولذلك يحرص كل لاعب عن طريق الحساب أن تكون نهاية عدة حصوات مزدوجة ، ويكون اللعب بالتناوب ، حتى اذا انتهى اللعب ، وأفرغت كل الحفر من الحصوات عد كل لاعب ماكسبه ، فمن كان أكثر فهو الفائز ،وقد نال بذلك (حلا) يعتبر الفوز بثلاثة (حلول) (برتية) أي غلبا .

وقد جرت العادة أن تجري اللعبة ، وقد التف حول اللاعبين عدد من المتفرجين أو المشجعين ، مما يكسب هذه اللعبة نشاطا وحماسا حتى اذا فاز أحد اللاعبين بحصوة واحدة سميت عندئذ (المهير) وترتفع لذلك الأهازيج تسخر من المغلوب .

الضامة : لعبة الخطط والابواب والتفكير الفردي

أداة هذه اللعبة لوحة مربعة مقسمة الى أربعة وستين مربعا ، ويلعب فيها لاعبان اثنان فقط لكل لاعب ست عشرة خشبة يوزعها اللاعبان على نسقين أمامه ، وهذه الخشبات بمثابة الجنود وعليه أن يتخطى بها صفوف نده بخشبة تصل الى نهاية المربعات سميت عندئذ (ضامة) وللضامة ميزات في تحركها وتجولها المربعات طولا وعرضا ، مما يتيح لها المزيد من التحرك بعكس الخشبة الواحدة التي يحظر عليها أن تسير إلا في ثلاث جهات الامام واليسار واليمين بمربع واحد فقط كل . ة ، لذلك يتناوب اللاعبان نقل أخشابهما ، حتى اذا تسنى لأحدهما أن (يأكل) خشبة نده ، وذلك عندما تلتصق الخشبات ، ويكون وراء أحدهما فراغ ، فتؤخذ هذه الخشبة أسيرة ، وتخرج خارج اللعب ، ومن يقضي على آخر خشبات نده ، يكون فائزا بـ (الحل) وكل ثلاثة حلول تعتبر (برتية) أي غلب .

وفي هذه اللعبة يلتف المتفرجون منقسمين مع اللاعبين في صمت وتفكير

بالخطط والأبواب الممكن فتحها لايقاع اللاعب بالآخر ، وتعتبر لعبة الضامة لعبة سامية لا يسبقها في ميدان التفكير إلا الشطرنج من حيث الأهمية والانتشار العالمي •

الشطرنج :

دخلت لعبة الشطرنج المجتمع السلمي حديثا ، أي بعد الحرب العالمية الثانية ، واقتصرت ممارستها على طبقات المثقفين والعسكريين ، ورغم أن الشطرنج له من الصعوبات والدقة ، إلا أنه يعتبر لعبة محبوبة وتسير في تقدم وانتشار مع تقدم وازدياد نسبة المثقفين ، ولا مجال لشرح لعبة الشطرنج ، فقد كتبت مئات الكتب ، وبشتى اللغات العالمية ، نظرا لكون هذه اللعبة ذات صفات عالمية ونسمع كل عام عن مباريات في هذه اللعبة بين أبطال عالميين ، وتنافس الدول للفوز بالبطولة العالمية •

الفروسية :

لعبت الخيول دورا كبير الأهمية في المجتمع السلمي ، سواء كانت هذه الخيول عربية أصيلة أو خيولا للفلاحة والأعمال الزراعية ، فإن الرجل السلمي معروف بأنه فارس لا يجارى بقوة الشكيمة والمهارة حتى برز في المجتمع السلمي العديد من مشاهير الفرسان الأشاوس •

أما اقتناء الخيول العربية الاصيلة ، فقد رافق العهد الأول لبناء مدينة سلمية ، وهناك العديد من الحوادث والروايات عن دور هذه الخيول في رد غزو البدو ، أو مطاردة اللصوص ، كما في قصة (العوجا) التي سبق أن أوردناها ضمن علاقة السلميين مع البدو •

لذلك ساد إقتناء الخيول الأصيلة في المجتمع السلمي والمفاخرة في أصولها وأنسابها والمحاورة التي لا تنفك عن ذكر فصائل كل فصيلة منها ،

فمن الهدبـا الى المنكيـة الى أم جنوب •• الخ من العديد من الأصول المعروفة عالميا ودوليا وعلى المستوى العربي •

أما استعمال هذه الخيول،فقد اقتصر على الطراد في مناسبات الأفراح كالأعراس والأعياد والزيارات ، ففي عيد الصليب يؤم أصحاب الخيول الى عين الزرقا غربي سلمية لتغسل الخيول ، ومن ثم تعقد حلبات الطراد في سهل الخصيمية شمالي سلمية •

بينما يقوم سكان قريتي تل درة والكافات بزيارة نهر العاصي من أجل نفس الغاية ، وعلى امتداد اسافة بين القريتين ونهر العاصي ، والمقدرة بين / ٥ ــ ٦ / كم تقطع هذه المسافة بالطراد والتباري غدوا ورواحا •

لكن الفروسية بدأت بالضمور في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، حتى أصبحت في أيامنـا نـادرة ، ومنذ العقد السبعيني من هذا القرن ، تكاد الخيول العربية الأصيلـة في سـلمية وريفها مفقودة ، فقد تحول المجتمع السلمي بأكملهالىالمكننة في أعماله سواء كانت زراعية أو تجارية أو رعوية، لما توفر هذه الكننة من جهود وتكاليف ، وحتى بدو منطقة سلمية أنفسـهم نهجوا نفس النهج ، لذلك اختفى الحصان والفرس ، كما أصبح منظر الجمل يجذب العديد من الاطفال ، بعد أن كـان من الحيوانات المألوفة ، وهكذا انطوى عهد الفروسية ، إلا في أذهان بعض الرجال المعمرين حيث يوردون في ذكرياتهم مآثر هذه المرحلة الذهبية في حياتهم وفروسيتهم •

وغدت السيارة والدراجة النارية والآلات الميكانيكية،هي مدار العمل اليومي في شتى مجالات الحياة •

الألعـاب الحـديـثة

إن تحول المجتمع السلمي الى مجتمع متحضر ، معناه الانتقال بكافة

أساليب الحياة القديمة الى أساليب جديدة ، حتى أصبحت الألعاب التي استعرضناها سابقا مجرد ذكرى مدعاة للدعاية في مجرياتها وطرقها ، وحلت محلها الألعاب المنوعة التي يمارسها المعاصرون وهي كما يلي :

١ ـ ألعاب المدارس ٢ ـ ألعاب لها صفة دولية وعالمية

١ ـ ألعاب المدارس :

ويمارسها طلاب المدارس خلال تواجدهم في مدارسهم ، وهي ألعاب ذات مدة زمنية قصيرة تتناسب مع وقت الحصة الرياضية المدرسية أو مع الفرص الممنوحة للتلاميذ بين حصتين درسيتين •

٢ ـ الألعاب العالمية :

ألعاب الكرة : وأولهـا كرة القدم : يشاهد المتجول في سلمية المدينة أو ريفها أفواج الأطفال في الشوارع والساحات يمارسون هذه اللعبة ، كما يمارسها أبناء الريف على ساحات البيادر بجموع كبيرة،ورغم ما يتخللها من نشاط إلا أن النظام فيها ضعيف ، ولكم تحاول منظمة شبيبة الثورة في القطر العربي السوري وفي منطقة سلمية تجميع هذه الطاقات وتنظيمها ، لتخلق منها المجتمع الرياضي المنظم •

ويلاحظ تعلق الاطفال اليافعين بالرياضة من تجمعهم أمام التلفاز خلال استعراض البرامج الرياضية وكذلك حول المذياع ، حتى أن أصغر الاطفال يستطيع احصاء لاعبي القطر بدقة ، كما يحدثك عن أبطال الرياضة العالميين ، لقد تحولت أجيالنا الحديثة عن الاسلوب القديم في اللهو واللعب الى طرق حديثة تنسجم مع تطور المجتمع السلمي في مدارج الحضارة والتمدن،وإذا كان هذا الاتجاه لم يتيسر فيه عنصر النظام الكامل ، فذلك لأن المساعي المبذولة لا تزال بواكير وبدايات لنهضة رياضية جيدة ، فيما لو استغلت استغلالا متقنا ، ووجهت التوجيه المنمي للجسم والأخلاق معا •

التطور الثقافي في سلمية وريفها(١)

إن أول مظاهر الثقافة في سلمية هي الكتاتيب ، كما هو متعارف عليه في مناطق بلاد الشام ، وبالأخص في عهد الدولة العثمانية،بعد أن اقتصرت مدارس الدولة على مراكز الألوية كدمشق والقدس وحلب وطرابلس ، كما رافق القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ظهـور المدارس التبشيرية ، والتي تمركزت على الساحل وكان دخولها الى المدن الداخلية متأخرا •

ومن المعتاد أن تكـون المسـاجد هي مراكز التعليم ، ولكن بعـض الشيوخ كانوا يجذبون الأحداث والأطفال للتعلم في بيوتهم ، وهذا ما دفع لظهور الكتاتيب التي غدت بدورها مصدر الرزق لهؤلاء القائمين عليهـا ، ولا نريد التوسع في دراسة الكتاتيب في بلاد الشـام ، في الوقت الذي يهمنا دراسة الحركة الثقافية في سلمية وريفها ومراحل تطورها •

ولقد حدثنا العديد من المعمرين الذين امتهنوا هذه المهنة ، وبعـض السادة ممن تلقوا علمهم عند هؤلاء ، ولقد مارست الكتاتيب التعليم علـى مراحل ، وقد تمكنا أن نحصي هذه المراحل في ثلاث مراحل هي :

اولا : مرحلة تعليم القرآن الكريم وبعض الطقوس الدينية

استمرت هذه المرحلة حتـى عـام ١٨٩٠ م ، وكانت تقتصر على تعلم القرآن الكريم وبعض الطقوس الدينية كالصلاة والأدعية ، وبعض الأناشيد

---

(١) شارك في معلومات هذا النص السادة : الشيخ علي عيدو والشيخ علي زهرة والسيد محمد طنجور والسيد أسعد الشمار والسـيد علي مقداد من (سلمية) والاستاذ يوسف ابو حمود وقاسم الشيخ يوسف واسعد الحرك من (تل درة) والسيد حسين سيفو مـن (عقارب) وعلي خضر حيدر من (الكافات) ومحمد نايف عبدو من (السعن) والشيخ سليمان الشيخ ابراهيـم (بري الشـرقي) والسيدان محمد ضعون وعباس ضعون من (جدوعة) .

الدينية في مدح النبي الكريم وآل البيت ، وأشهر من عرف من أصحاب الكتاتيب في هذه المرحلة هما الشيخان أحمد خضر ومحمد دلة ، ثم تبعهما بعد فترة وجيزة السادة صالح عارفة ومحمد الساروت وعبد الحميد خضر ، ومركز عملهم في مدينة سلمية ، أما الريف فقد اشتهر في قرية بري الشرقي الشيخ ابراهيم الشيخ ، وفي قرية الكافات الشيخ حميد سعيد وفي قرية تل درة الشيخ حسين العزوقي أبو حافظ ، ويعتبر عام ١٨٩٠ م نهاية هذه المرحلة ،إذ ابتدأت المرحلة الثانية •

ثانيا : مرحلة تعليم القرآن الكريم وبعض نصوص للكتابة :

استمرت هذه المرحلة من عام ١٨٩٠ م وحتى عام ١٩٣٥ ، وقد أبرزت هذه المرحلة تنظيم التعليم في الكتاتيب بشكلين :

أ ــ إن الكتاتيب أصبحت مختلطة أي تشمل الجنسين •

ب ــ أدخل الى جانب تعليم القرآن الكريم كتلاوة اتقان الكتابة •
وقد رتب اتقان التلاوة على مراحل ثلاث هي :

١ ــ جزء عم　　　٢ ــ ربع ياسين　　　٣ ــ القرآن الكريم كاملا

وعندئذ تقام احتفالات (الختمية) ، وينتقل الطالب بعدها الى مرحلة الكتابة بتعلمه الأحرف الهجائية ، وبعض نصوص من الحكم العربية وأبيات شعرية •

ومن أشهر العاملين في هذه المرحلة الشيخان حبيب الخش وموسى زهرة وكانا شريكين والشيخ علي زينو وعملوا جميعا في مدينة سلمية ، أما في الريف ، ففي قرية بري الشرقي كان الشيخ عبد الله الحلاق ، وفي قرية تل درة ابتدأ الشيخ يوسف النجار حتى عام ١٩١٨ م إذ هاجر الى أمريكا ، واستمر بعده قريبه الشيخ حسن وسوف ، أما في قرية جدوعة ،

فقد عمل الشيخان علي الشيخ أحمد والشيخ عبد السلام الشيخ ، وفي قرية السعن اشتهر الشيخ خضر الشيخ أحمد ، وفي قرية الكافات عرف الشيخ آدم الشيخ ، وبعده جاء الشيخان أحمد الحكيم ومصطفى موسى •

وتعتبر نهاية المرحلة بداية ظهور المدارس الابتدائية في مدينة سلمية وعدد كبير من القرى كقرى تل درة وعقارب وبري الشرقي والكافات •

ثالثا : مرحلة تطور الكتاتيب الى ما يشبه المدارس :

سعى بعض العاملين في نطاق الكتاتيب لتطوير مناهجهم باقتباسهم الأسلوب الدرسي ، وكان على رأس هؤلاء الشيخ علي عيدو والشيخ اسماعيل زينو والشيخ محمد الجندي بإدخالهم تدريس النحو والحساب الى جانب العلوم التقليدية ، ومع أن العديد من الكتاب أبقوا تدريسهم على الأسلوب السابق ، إلا أن السادة المذكورين قد أحدثوا تطورا كبيرا في الكتاتيب ، ومن أشهر الذين بقوا على الطريقة التقليدية في سلمية السادة الشيخ علي زهرة الذي استمر بعمله حتى عام ١٩٦٦ م والشيخ شهاب الحموي الذي استمر في عمله حتى عام ١٩٦٤ م والشيخان اسماعيل وأحمد ثلجة ، أما الذين مارسوا العمل في ريف سلمية فهم السادة الشيخ سليمان الشيخ ابراهيم في قرية بري الشرقي ، والشيخ محمد الحلو في قرية عقارب ، واستمر في قرية جدوعة الشيخ عبد السلام الشيخ ، وفي قرية تل التوت الشيخ اسماعيل ونوس ، واستمر في هذه المرحلة امتدادا من سابقتها الشيخ مصطفى موسى في قرية الكافات،وفي قرية العلباوي الشيخ حسون ثلجة ، أما في قرية تل‌درة ،فقد مارس العمل الشيخ حافظ العيزوقي بدلا من والده حسين العيزوقي ، ويعتبر العقد الستيني نهاية الكتاتيب ، إذ بدأت تتوارى الواحد بعد الآخرفي أعقاب‌انتشار المدارس الرسمية‌الحكومية ولم يبق من الكتاتيب في القرى أي‌أثر فيما استمر حتى العقد السبعيني بعض منها في سلمية المدينة ، بمثابة دور للحضانة قبل بلوغ الأطفال السن القانونية للدخول في المدارس ، ولكن الشيخ علي زينو طور عمله ، بشكل

أنه فسح المجال للعديد من الأطفال وذوي السن المتقدم لنيـل الشـهادة الابتدائية كطلاب أحرار ، واستمر كذلك حتى وفاته ، ولم يبق في سـلمية ومناطقها من هذه الكتاتيب بعد عام ١٩٦٦ م أي أثر ، لقد أخذت المدارس دورها بافتتاح دور الحضانة الى جانب المدارس الابتدائية •

المدارس :

أول مدرسة في منطقة سلمية هي المدرسة الزراعية ، ولهذه المدرسة وظهورها دواعي وأسباب ، وهي إذ تعتبر أقدم مدرسة زراعية في بلادالشام على الاطلاق ، فإن لها شهرة كبيرة بما أخرجته من أجيال قبل وبعد الحرب العالمية الاولى ، وسبب ظهور هذه المدرسة يعود لما يلي :

في سنة ١٩٠٦ م جمع الاسماعيليون في كل من سلمية والخوابي أموال الزكاة ، وحسب الطقوس الدينية الخاصة بهم ، فإن هذه الأموال هي ملك للامام ، ولما كان الإمام في ذلك الوقت يقطن في الهند في مدينة بومباي • كان على الاسماعيليين أن يوصلوا المال له ، وقد بلغت هذه الأموال المجموعة لمدة عشر سنوات قدره حوالي / ١٨ / ألف ليرة ذهبيـة[١] ، فاعتبرت السلطات العثمانية إخراج هذه الأموال خارج الأراضي العثمانية نوعا من تهريب النقد الذهبي ، لذا قـام متصرف حماة السيد ناظـم بيك واحتجز الأموال ، وأودعها صندوق المتصرفية في حماة ، وأخبرا والي دمشق الذي سعى بدوره لإخبار حكومة الباب العالي عن مشكلة احتجاز أموال زكاة الاسماعيليين ، فصدرت الفتوى من الأستانة بعدم إدخال مثل هذه الأموال خزينة الدولة ، لأنها حسب الشريعة هي أموال زكاة خاصة بمذهب اسلامي

---

(١) رحلة اثرية : للمهندس وصفي زكريا ص ٢٨٣ : يحدد الكاتب المبلغ بـ ١٠ ـ الف ليرة ذهبية بينما يحددها الشيخ عبد الله المرتضى في كتابه الفلك الدوار ص ٢٠٥ بمبلغ قدره ـ١٨ـ الف ليرة ذهبية والمؤكد هو الثاني لقربه من المصدر وباعتباره كـان مسـؤولا دينيا في ذلك الوقت .

لا يجوز احتجازها ، ووجب إعادتها لأصحابها ، ولكن والـي دمشق أصر على عدم تشجيع الاسماعيليين لإخراج الأموال ، وبعد مكاتبات عديدة بينه وبين الباب العالي ، كان الحل أن يقام بالأموال المصادرة مشاريع تعود على أصحابها بالخير ، وظهرت فكرة بناء المدرسة الزراعية كحل لمشكلة الأموال المصـادرة •

المدرسـة الـزراعيـة :

استملكت الدولة كل الاراضـي الممتدة غربي مدينة سلمية ، حتـى نبع عين الزرقا بين طريقي حماة المعبد شمالا وطريق مزارع المالحة والكريم جنوبا بمساحة قدرها / ١٠٠٠ / دونم ، وشرع في بنـاء المدرسـة بدءا من عام ١٩٠٧ م ، حيث نقلت الحجارة المقطوعة من جبال العلا المجـاورة ، وتم بناء بنائين ، جعل كل منهما من طابقين ، فالطابقـان الأرضيـان مخصصان كقاعات للتدريس ، والطابقات العلويات مخصصـان لسـكنى المدرسـين والموظفين ومهاجع لنوم الطلاب الداخليين ، وخلال ثلاث سنوات من الجهود المستمرة والعمل المتواصل الدائب أنجز بنـاء المدرسـة كاملا عام ١٩١٠ م ، وتقرر أن يباشر العمل التدريسي فيها في مطلع عام ١٩١١ م ، وفعلا تجمع في المدرسة عدد من الطلاب من حماة وسلمية وقلة من حمص في ذلك العام ، ثم توسع في الأعوام التي تلت ، فقـد شملت دمشـق وحلب ، واستمرت المدرسة نشيطة فعالة حتى إطلالة الحرب العالمية الاولى،حيث أغلقت لظروف البلاد الصعبة ، واستمر اغلاقها الى عام ١٩١٩ م ،، حيث تقرر إعادة التدريس فيها[1] ، وهكذا تجمع فيها عدد من الطلاب،وخلال عامي ١٩١٩ ـ ١٩٢٠م تم غرس الأشجار من صنوبر وسرو ، بشـكل منظم صورة حية عن الهندسة

---

(1) اخذت المعلومات : مـن نشـرة مذكرات كتبها السـيد مصطفى الجندي عن أيام تعلمه في المدرسة ، والنشرة في ارشيف المدرسـة الزراعيـة .

الزراعية ، وقد أشرف على هذا التنظيم والهندسة المهندس وصفي زكريا ، كما تم إسالة قناة الري الخاصة بها ، والتي يسميها سكان سلمية (قناة المكتب) وفي عام ١٩٢١ م تخرج منها أول دفعة من الطلاب ، وتتالى العمل في هذه المدرسة بين مد وجزر،حتى يومنا هذا ، ورغم العديد من الصعوبات التي اكتنفت مسيرتها ، فهي الآن مدرسة ثانوية زراعية نموذجية في القطر العربي السوري •

المدرسة الابتدائية في سلمية :

عندما باشرت المدرسة الزراعية في التعليم عام ١٩١٩ م ، كتعليم خاص بالزراعة ، طالب السلميون أن تكون عندهم مدرسة ابتدائية ، ترفد المدرسة الزراعية خدمة للزراعة وما تطلبه من خدمات ، فلبت الدولة هذا الطلب ، واشترطت عليهم بناء مدرسة ، لذلك استكملت كأرض لهذه المدرسة قطعة أرض جنوب سلمية بمساحة قدرها / ٢١ / دونما ، كانت هذه الأرض أملاك وقف خاص بالطائفة الاسماعيلية ، وشرع في بناء المدرسة الابتدائية على نفقة صندوق الدعوة الاسماعيلية بعد موافقة الامام سلطان محمد شاه الحسيني على ذلك،وذلك في مطلع عام ١٩٢٠ م،واستمر البناء مدة سنتين، كانت المدرسة الابتدائية خلال هذه المدة تمارس عملية التدريس في دور سكنية ، حتى تم انجاز البناء عام ١٩٢٢ م •

واستمر التدرس على مستوى ثلاثة صفوف حتى عام ١٩٢٦ م ، ثم أخذ في التوسع حتى اكتملت الحلقة الابتدائية عام ١٩٢٧ م بمساعي مديرها الاستاذ قدري العمر ، والذي شاركه من أسرة التدريس في المدرسة السادة أحمد الجندي وأحمد شركس وياسر نصري ، وكانت أول دفعة تتقدم للشهادة الابتدائية قوامها ثلاثة عشر طالبا ، نجح منهم اثنان فقط ، وقد بلغ عدد طلاب هذه المدرسة في عام ١٩٢٧ م حوالي مئة طالب موزعين على خمسة صفوف في أربع قاعات ، أي يدرس المعلم أكثر من صف في القاعة الواحدة ،

واستمرت هذه المدرسة في عملها حتى تحول بناؤها ليكون مقرا لإعدادية قتيبة بن مسلم الباهلي ، وهي الآن ثانوية كبيرة تحتوي مئات من الطلاب ، وقد وسع بناؤها ببناء أجنحة وملحقات عديدة •

اقدم مدارس ريف سلمية

مدرسة تل درة الابتدائية :

نافس سكان قرية تل درة اخوانهم في مدينة سلمية في طلب العلم ، لذلك سارعوا للمطالبة بافتتاح مدرسة ابتدائية على غرار مدرسة سلمية ، وذلك في مطلع عام ١٩٢٣ م ، وليت الدولة طلبهم على أن يهيئوا بناء ، وسرعان ماتم استئجار دار الشيخ يوسف النجار ، والذي كان قبل يستعمله ،هو الذي يذكره الرعيل الأول ممن تعلموا على يده هو الاستاذ علي أفندي الطحان حيث مكث في قرية تل الدرة يعلم فيها مدة أربع سنوات متعاقبة ، ثم جاء بعده الاستاذ مصطفى الجندي ، وكان للأخير فضل كبير في تشجيع سكان القرية على بناء مدرسة ، وتم لهم ذلك عام ١٩٢٧ م ، وكانت تقع غربي القرية ، وقد أنجز البناء بالسرعة المطلوبة ، إذ أصبح البناء معدا لاستقبال الطلاب في مطلع عام ١٩٢٨ م ، وكان مؤلفا من ثلاث غرف وصالون ، وبناؤه من لبنات من الطين ، ورغم أن الاستاذ مصطفى الجندي كان يتنقل بين مدرستي تل درة وعقارب ، إلا أنه استقر أخيرا في تل درة حتى عام ١٩٣٥ م ، حيث خلفه الاستاذ عبد الجبار مراد ، كانت مدرسة تل درة خلال فترتها هذه تدرس ثلاثة صفوف ابتدائية ، ثم وسعت في عام ١٩٤٢ الى صف رابع ابتدائي ، وفي عام ١٩٤٥ م أحدث فيها صف خامس ، وبعدها بعام واحد تم افتتاح المدرسة الاعدادية الخاصة في القرية •

مدرسة عقارب الابتدائية :

طالب سكان قرية عقارب بإحداث مدرسة على غرار ما أحدث في منطقة

سلمية ، ولم يتسنَ لهم استئجار أو بناء مدرسة ، فقد استعملوا المسجد كمدرسة في النهار ، وتمت موافقة الدولة على ذلك،حيث ابتدىء بالتدريس رسميا في مطلع عام ١٩٢٦ م للصف الاول ، وكان أول معلم يذكره تلامذته هو الاستاذ محمود صبري الذي استمر في التدريس في قرية عقارب مدة ثلاث سنوات ، ومن ثم أعقبه الاستاذ مصطفى الجندي منقولا من قرية تل درة لمدة عام واحد ، ثم جاء بعده نوري البدوي ، وأعقبه عدد من المعلمين منهم الاستاذ مصطفى الصابوني والاستاذ أنور الجندي ، واستمرت مدرسة عقارب ذات ثلاثة صفوف طيلة هذه المدة . وقد جمعت المدرسة بتواجدها في المسجد طريقتين في التدريس ، فالطريقة التقليدية القديمة في جلوس الطلاب أرضا مفروشة (بالحصر) القشية في رحاب المسجد ، أما ما كانوا يأخذونه من دروس ، فهي طريقة منهجية متماشية مع التدريس في المدارس.

واستمر الوضع كذلك حتى تصدع بناء المسجد ، عندئذ أخذ سكان قرية عقارب يستأجرون دورا للسكنى تستعمل مدرسة حتى تم بناء المدرسة على نفقة أموال صندوق الدعوة الاسماعيلية في حوالي ١٩٥٣ م ، حيث توسعت المدرسة الى خمسة صفوف وأصبحت ابتدائية كاملة .

هذه الفترة من التعليم المدرسي تعتبر بحد ذاتها مرحلة تعلمية أولى ، وبانتهاء مدرسة عقارب ، بدأت المرحلة الثانية . وهي مرحلة التوسع في افتتاح المدارس .

المرحلة الثانية :

في أواخر الثلاثينات ومطلع الاربعينات من القرن العشرين شهدت منطقة سلمية تيقظا واندفاعا في مجال التعليم ، (ولذا شهدت توسعا) بافتتاح العديد من المدارس في الريف والمدينة على السواء ، وكان جل هذه المدارس مستأجرة من قبل السكان ، عندما صعب عليهم البناء ، وأهم هذه المدارس في قرى بري الشرقي والمفجر وتل التوت وصبورة وجدوعة والسعن

والكافات ، بحيث افتتحت كل هذه المدارس من ثلاثة صفوف ، فإذا انتهى التلميذ منها فإما أن يكتفي ، وإما أن يتابع بانتقاله الى مدينة سلمية ، وبقيت الحال هذه حتى عام ١٩٤٨ م •

اعـــدادية تـــل درة الخاصـــة :

كان لنجاح عدد من الطلاب في الشهادة الابتدائية ، والعدد الأكثـــر الذي يتابع دراسته في مدينة حماة في مدرستي ثانوية ابن رشد والاعدادية الانجيلية الخاصة ، دافع اكبر دفع رجالات قرية تل درة افتتاح مدرســة اعدادية متعاونين مع المسؤولين في القيـــادة الاسماعيلية ، على أن تكون مقتصرة على الصفين السادس والسابع من حيث المبدأ ، تم لهم ذلك فـــي مطلع عام ١٩٤٦ م وفي نفس العام تم بناء مدرسة حديثة حجرية في تل درة، جعلت للمدرسة الابتدائية ، واستخدمت المدرسة القديمة الترابية كاعدادية ، ولكنها ضاقت على الطلاب الوافدين الى هذه المدرسة ، مما شجع المسؤولين لبناء مدرسة اعدادية جديدة ، وأنجز بناؤها في عام ١٩٥١ م حيث بلغ عدد الطلاب فيها حوالي ٢٥١ طالبا ، وكانت كاملة الصفوف حتى الكفاءة ، وفي المدرسة الجديدة تيسر لهذه الاعدادية الوحيدة في منطقة سلمية أن تستوعب العديد من الطلاب من سلمية وريفها ، حتى بلغ عدد الطلاب عـــام ١٩٥٣ م حوالي ٣٣٦ طالبا ، ولم يخف الضغط الطلابي عليها الا بافتتاح مدرستين في سلمية إحداهما رسمية حكومية في عام ١٩٥٤ م والثانية اعدادية أبي العلاء المعري الخاصة ١٩٥٥ م ، وعندما اقتصرت اعداديةتل درة على طلاب قريتي الكافات وتل درة ، اتجه التفكير أن تكون هذه المدرسة مختلطة من الجنسين ليتيسر للفتاة التعلم على قدم المساواة مع الشـــباب ، وتمت موافقة وزارة التربية والتعليم على ذلك في مطلع عام ١٩٥٦ م ، وبعد عامين غدت المدرسة ثانوية بافتتاح حلقة ثانوية ، واستمرت بعد ذلك بنفس المستوى حتى عـــام ١٩٧١ م حيث تم تأميمها حسب خطة الدولة بالاستيلاء على التعليم الخاص ، حيث أحدثت في تل درة اعدادية رسمية ابتلعت الثانوية الخاصة تدريجيا،

وهكذا انطوت أيام ثانوية تل درة الخاصة المختلطة، بعد عمر تجاوز الخمسة والعشرين عاما ، قدمت فيها هذه المدرسة الخدمات الجلى للأجيال المتلاحقة والتي تشكل اليوم في مجتمعنا تقدما فكريا لايجارى في المجتمعات الأخرى.

مساهمة صندوق الدعوة الاسماعيلية في بناء المدارس وافتتاحها في ريف سلمية

شاهدت السنوات الأربعينية من هذا القرن التوسع العلمي في سلمية وريفها على السواء ، وكان للصندوق الاسماعيلي كبير الأثر في بنائه العديد من المدارس الحديثة ، وتسليمه هذه المدارس الى الدولة ، فقد بني في قرية تل درة مدرستان اعدادية وابتدائية،وتم شراء مدرسة ثالثة ابتدائية للبنات، وتم توسيع اعدادية قتيبة في سلمية نظرا لازدياد عدد طلابها ، كما تم بناء المدارس الابتدائية في القرى التالية ، في تل التوت وبري الشرقي والمفجر وجدوعة وعقارب والسعن والعلباوي ومدرسة ثانية للاناث في المفجر الشرقي وأخرى في تل جديد ، مما سهل على جميع التلاميذ تلقي العلوم في قراهم دون تحمل صعوبات الانتقال من الريف الى المدينة ، وهذا بدوره جعل أعداد المتعلمين وطالبي العلم يتعاظمون ، فهم في ازدياد مضطرد ، ولم يتم الحل إلا ببناء الدولة أعدادا من الاعداديات في القرى خلال الخمسينيات ، فقد تم افتتاح الاعداديات في القرى التالية : بري الشرقي وصبورة وعقارب والسعن وجدوعة والمبعوجة والمفجر وتل التوت ثم في تل جديد وعقيربات ، وقد توسعت بعض هذه الاعداديات لتكون مدارس ثانوية كما في تل درة وصبورة وبري الشرقي ، وقد قامت مؤسسة الأبنية المدرسية في سد الحاجة للتوسع في البناء ببناء مدارس عديدة ، حتى انتشرت المدارس في كل ريف سلمية ، ولم تبق قرية صغيرة أو كبيرة الا وفيها مدرسة ، وتم بناء اعداديات في القرى النائية وثانويات في القرى الكبيرة .

وهكذا أخذ التعليم ينتشر في سلمية وريفها عرضا وعمقا وكيفا وكما .

وذلك بجعل مدارس الريف كلها مدارس مختلطة تستوعب الجنسين وفي جميع المراحل ، فواكبت المرأة الرجل في التعلم ، وقد فتح المجال أمامها على مصراعيه ، بينما شاهدت سلمية المدينة توسعا هائلا في افتتاح المدارس وبنائها ، ولكنها جعلت هذه المدارس للبنين والبنات منفصلين بعكس الريف، وذلك بافتتاح المدارس الابتدائية التالية وهي الهاشمية والكواكبي والعروبة والنهضة والطالبية وأبو الحسن واليرموك وخالد بن الوليد والقادسية وليلي الأخيلية والفاطمية وميسلون وجميلة بوحريد ثم مدارس ضهر المغر •

وكذلك توسعت بافتتاح مدارس اعدادية وثانوية وهي كالتالي : ثانوية علي بن أبي طالب وثانوية زينب وثانوية الزهراء والاعدادية المحدثة ، وكل من هذه المدارس عبارة عن مجمعات تستوعب المئات من الطلاب والطالبات ، كما أنها وسعت التعليم بافتتاح مدرسة ثانوية صناعية •

وقد اتسمت سلمية بأنها مصدرة للمعلمين والمدرسين الفائضين من الجنسين الى مناطق نائية من القطر العربي السوري كالجزيرة والرقة ودير الزور وبعض مناطق محافظة حماة كالغاب ومصياف بأعداد كبيرة •

الأندية الرياضية والثقافية والفنية :

لم يعرف السلميون الأندية ، حتى افتتاح نادي ابن هاني الاندلسي عام ١٩٥٣ م واستمر هذا النادي الثقافي حتى عام ١٩٥٥ م إذ أغلق وعايش هذا النادي ناد رياضي تمحورت حوله كل النشاطات الرياضية ، والتي عكست صورة مشرقة عن مدينة سلمية في بعض الألعاب الشيقة ، وكان هذا النادي واسمه نادي عدنان المالكي أداة فعالة في تقدم الروح الرياضية في مدينة سلمية ، وباستمراره الى السبعينات عمق أثره في صفوف الشباب حتى تم اندماجه بناد ناشيء هو نادي سلمية الرياضي ، وفي عام ١٩٦٠ م ظهر في سلمية ناد فني ، هو نادي الشواف ، ولا يزال هذا النادي بطاقاته

المحدودة يعمل في سلمية بين العثرات العديدة التي يواجهها بين حين وآخر حتى تم انضمامه لنشاطات شبيبة الثورة مؤخرا •

المكتبات الثقافية في سلمية وريفها :

في سلمية مكتبتان ثقافيتان اثنتان هما :

١ ـ مكتبة المجلس الاسماعيلي ، وهذه المكتبة غنية بالكتب ، وبالأخص كتب المصادر ، تأسست هذه المكتبة عام ١٩٥٦ م بما يقدمه صندوق الدعوة الاسماعيلية من مخصصات لها ، وذلك باستمرار حسب ميزانية ثابتة ، لذلك سرعان ما نمت وكبر حجمها ، وكان لرعاية الشباب المثقف لها أن احتوت العديد من كتب المصادر في جميع مجالات الثقافة ، حتى بلغت في السنوات الأخيرة ما خصص لها سنويا مقدار قدره / ١٠ / ألف ليرة سنويا •

وكان نجاح هذه المكتبة في مدينة سلمية أن شجع المجلس الاعلى لافتتاح مكتبات في ريف سلمية ، وكان أولها مكتبة تل الدرة الثقافية عام ١٩٦٩ م، ومكتبة بري الشرقي والسعن عام ١٩٧٣ م ، وقد خصصت لهذه المكتبات ميزانيات سنوية ثابتة ، مما شجع على توسعها واحتوائها لكتب المطالعة على كافة المستويات •

٢ ـ مكتبة المركز الثقافي : تأسست هذه المكتبة في الستينات من هذا القرن ، ورغم حداثة هذا المشروع فقد أغنى المستوى الثقافي بمزيد من الكتب المتنوعة ،وقد لعب الدور الاكبر في قيادة حركة فكرية ثقافية متطورتين ، بما أتاح لطلاب الفكر نهل الثقافة على مستويين اثنين هما :

أ ـ مستوى المطالعة المجانية •

ب ـ المحاضرات والامسيات الشعرية والقصصية التي تكاد تكون دائمة بدو ناقطاع وهكذا أخذت الحركة الفكرية تتطور في منطقة سلمية،

بما تقدمه وزارة الثقافة متضافرة مع ما يقدمه المجلس الاسماعيلي الأعلى في هذا الميدان •

ولا يمكن إلا أن نذكر ما يقدمه المركز الثقافي المتنقل من خدمات ثقافية من خلال الجولات التي يمسح بها منطقة سلمية ، حتى عمق البادية من قرية عقيربات وحتى قرية السعن مقدما للمناطق التي لايوجد فيها مكتبات الخدمات الجلى ، وهذه الدلالات إنما تدل على مدى التقدم الثقافي ،حتى أننا لنستطيع أن نؤكد أن الأمية قد زالت نهائيا في الاعمار ما دون الخمسين من الذكور والخمس والعشرين من الاناث ، ويعود ذلك كله لمساعي الدولة في اقامة دورات محو الأمية والتشجيع الذي قدمه الرعيل الأول من المثقفين، والذين نستطيع أن نحصيهم على الشكل التالي :

أول شهادة ثانوية (بكالوريا) في سلمية نالها الاستاذ أحمد الجندي عام ١٩٣٧ م •

وأول حقوقي في منطقة سلمية هو الاستاذ المرحوم عبد الله تامر عام ١٩٤٠ م وبعد الاستاذ يوسف أبو حمود عام ١٩٤٢ •

وأول طبيب في منطقة سلمية هو الدكتور نايف عجوب •

وأول امرأة جامعية في منطقة سلمية هي السيدة فريحة الأمير أحمد •

وكان لهذا الرعيل الأول دفع المزيد من طلاب العلم للسير في مزيد من العمل رغم الصعوبات لنيل الشهادات العليا ، حتى غدا المجتمع السلمي معروفا بالتقدم الثقافي ومميزا عن سائر المجتمعات الأخرى في قطرنا العربي السوري ، واذا عدت مناطق الثقافة في سورية ، تحتل سلمية المكان المتقدم والمشرق بنور العلم والمعرفة •

الحياة الاقتصادية في منطقة سملية

بالرغم من أننا استعرضنا في تمهيد مطلع الكتاب الموقع الجغرافي

لسلمية ، فلا بد أن نأتي تفصيلا لهذا الموقع وأثره في اقتصاد هذه المنطقة من التضاريس والمناخ والمياه .. الخ .

جغرافية منطقة سلمية(1) :

الموقع : تقع سلمية في الوسط الغربي من حوضة سهلية تميل باتجاه الغرب ، لتصل بحوضة نهر العاصي بممرات مائية حتية ، حيث تتصرف المياه الفائضة بين هضاب كلسية هي جزء رئيسي من الهضبة الكلسية الممتدة شرقي نهر العاصي ، وفي عمق بادية الشام ، مع ملامح تضاريسية تبدو بارزة من حول الحوضة ، إذ تتشكل على الوضع التالي :

يشغل معظم منطقة سلمية هضبة قليلة الارتفاع ، تجمع شبكتها المائية متجهة نحو مجرى نهر العاصي غربا ، وهي ذات ارتفاعات هامة ، وبالأخص على الأطراف ؛ ففي الجنوب الشرقي توجد جبال الباعاس ، وهناك مرتفعات جبال العلا في الشمال الغربي ، ومرتفع السطحيات في الجنوب الغربي ، وكل هذه المرتفعات لا تتجاوز / ٥٥٠ /م ، أما المنخفضات في الوسط فتعتبر نتيجة للانكسار الذي حدث في المنطقة وتقسم التضاريس كالتالي :

١ ـ جبال البلعاس

٢ ـ الهضبة الشرقية البالوجينية

٣ ـ سهل سلمية

٤ ـ الهضبة البازلتية

٥ ـ القسم الغربي حتى نهر العاصي

---

(1) اخذت مراجع هذا البحث من بلدية سلمية واطروحة التخرج الجامعي للاستاذ محمد وردة (ريف سلمية) ومراجعات تقارير دائرة الزراعة في سلمية .

١ ـ جبال البلعاس :

تحد هذه الجبال حوضة سلمية من الجنوب الشرقي ، وتمتد شمالا حتى منطقة وادي العزيب وأسرية أما من الجنوب فتمتد حتى تلاقي جبال الشرومرية الشرقية ، والتي ترتفع في أعلى قممها الى / ١٠٧٧ / م ، بينما ترتفع جبال البلعاس الى / ١٠٩٧ / م في جبل منقذ،وأجزاء جبال البلعاس هي أبو الضهور ومراه والشاعر وأبو رجمين ، وبين هذه الأجزاء تنتشر العديد من الوديان المرعة ، والتي تقصدها الرعاة طلبا للكلأ ، كانت هذه الجبال مغطاة بالغابات التي انحسرت بعد امتداد يد الانسان اليها قطعا وإحراقا ، وأهم أشجارها البطم الذي لو أحسن تطعيمه الى فستق حلبي لأعطى تناجا ضخم الفائدة •

٢ ـ الهضبة الشرقية :

وهي الهضبة الممتدة بين جبال البلعاس وسهل سلمية ، والتي تتألف من مرتفعات قد تبلغ / ٦٣٦ / م ، وترتفع أكثر فأكثر كلما اقتربت من جبال البلعاس إذ تبلغ عندئذ / ٦٧٨ / م ، وتخترق هذه الهضبة العديد من الوديان السيلية ، والتي تتجه باستمرار الى الغرب ، لتشكل روافدا لنهر العاصي مارة من سهل سلمية الى النهر •

٣ ـ سهل سلمية :

منبسط واسع تتجمع فيه المجاري السيلية المنحدرة من ثلاث جهات فتغمر السهل باللحقيات فتخصبه ، وترتفع قاعدة السهل الى / ٤٥٠ / م ، بينما تبلغ في بعض المرتفعات المجاورة / ٥٥٠ ـ ٦٠٠ / م ، وهذه المنحدرات السيلية الثلاثة هي :

١ ـ المنحدر الشمالي القادم عن طريق المبعوجة ـ صبورة ـ تل سنان ـ تل عدا ـ السبخة وينتهي في مجرى عين الزرقاء •

٢ ــ المنحدر الشرقي يأتي من جبال البلعاس الجنوبية مارا بالمفجر ــ بري ــ تــل التوت ــ الســبيل ويدخل الى سلمية عن طريق مجرى شرقي ؛ وقد يسبب في حالات ازدياد الفيضان الأخطار العديدة لسلمية المدينة •

٣ ــ المنحدر الجنوبي يأتي من جبال البلعاس الجنوبيــة ومرتفعات الشومرية ، ويشكل عددا من الوديان كوادي المخرم مارا بقرى أم العمــد وخنيفس وسنيدي ثم يدخل سلمية قرب البلدة ••

أما سهل سلمية فهو فسيح من الشرق ، يضيق تديجيا من الغرب،حتى ينتهي بمجرى نهر العاصي بمجريين والأكبر منهما هو المــار من تل درة ــ الكافات ــ العاصي •

والثاني وهو أقل أهمية ، وهو المار في منطقة المزيرعــة غربي ســلمية الى قرية آل زيدان فقرية قبة الكردي وينتهي الى مجرى نهر العاصي قــرب قريــة القنطــرة ••

٤ ــ مجموعة الجبال البازلتيــة :

تمتد هذه الجبال من شمالي مدينة حماة الى الشما لالشرقي بقواطع جبلية متعاقبة حتى تنتهي بجبل الخضر المطل على سلمية على امتداد قدره حوالي / ٣٢ / كم، وهي متفاوتة في ارتفاعها فهي ــ ٦٢٧ ــ م قرب قرية علي كاسون و / ٦٤٢ / م قرب قرية كيتلون •

هذه المجموعة من الجبال تنحدر على حوضة سلمية بانحدار شــديد لكنها تشكل منحدرات مدرجة متماوجة على سفوحها الشمالية ، وتغطــي هذه الجبال طبقة بازلتية ، وتحت هذه الطبقة تتوضع طبقات الكلس ، وقد أدى الحت في العديد من المناطق الى بروز الكلس بشكل ظاهر •

٥ ـ القسم الغربي حتى مجرى نهر العاصي :

يشكل هذا القسم مجموعة هضاب خددت بعض أطرافها المجاري المائية نحو نهر العاصي ، مما تجعل أعماقها تزداد مع الزمن عمقا كلما اقتربت من نهر العاصي ، وأشهر هذه الوديان وادي سلمية ـ تل درة ـ الكافات وهو بمثابة قناة التصريف للفائض من مياه حوضة سلمية،الممد لنهر العاصي بالسيول في أيام الشتاء الشديدة الامطار ، وقد بني على هذا المجرى شرقي الكافات سد ترابي كبير يحجز السيول ، ويشكل الأودية المنحدرة من الهضبة الكلسية عبر مرتفع السطحيات من أمثال وادي عز الدين ووادي المجمع ووادي النزازة ووادي قبة الكردي وغيرها •

هذه المجموعات الخمس تشكل دراسة عامة لسطح منطقة سلمية ، وتعطي صورة كاملة عن المنطقة وطرق الاستفادة منها زراعيا ، وبالتالي الطريقة لاستثمارها اقتصاديا •

المناخ في منطقة سلمية

يجب أن نولي دراسة المناخ في منطقة سلمية أهمية كبرى لعلاقته الوثيقة بالزراعة وتربية المواشي •

والعوامل المؤثرة في منطقة سلمية نوجزها بما يلي :

١ ـ العرض الجغرافي : ان موقع سلمية على خط عرض ٣٩ يدل على المنطقة المعتدلة الشمالية ، والتي يسودها تيار هوائي غربي وحرارة معتدلة ، مما يجعل الفصول واضحة بارزة •

٢ ـ البحر الابيض المتوسط : يضفي البحر على منطقة سلمية مناخا متوسطيا وشتاؤه بارد قليلا وصيفه حار وجاف ، كما أنه مشحون بمؤثرات ذات أهمية أخرى كالبعد والقرب عن البحر،إذ تبتعد منطقة سلمية عن البحر

بحوالي / ١٠٠ / كم ، لذلك نجد تأثير البادية غالبا ما يكسب مناخ هـذه المنطقة صفة القارية لأنها مفتوحة على البادية وتأثيراتها المناخية ، أما مناخ البحر وتأثيره لا يصل الى منطقة سلمية إلا بعد أن يجتاز سلاسل الجبـال الغربية المنخفضة ، فيما جنوب مصياف وحتى منطقة تلكلـخ ، مما يؤهلهـا ويسمح للتأثيرات المناخية البحرية من عبورها وتأثيرها في المناطق الداخلية حتى سلمية ، وكذلك تلعب فتحـة طرابلس الشـام ـ حمص دورا في ازدياد التأثير البحري ، فيما اذا كانت الرياح البحرية تهب باتجاه الشمال الشرقي، لذلك يؤثر في منطقة سلمية ومناخها تأثيران مباشران هما : البحر الابيض المتوسط من الغرب وبادية الشام من الشرق بشكل متناوب أحيانا • •

ولقد منح الارتفاع عن سطح البحر منطقة سلمية مناخا أكثر قسـاوة في أيام الشتاء ، مما يجعل حفرة الانهدام الواقعة غربها أكثر دفئا من سلمية ومنطقتها ، وتزداد البرودة كلما اتجهنا نحو الداخل باتجاه جبال البلعاس ، أما في الصيف فإن اعتدال الجو وعذوبة الطقس يجعل منطقة سلمية فريدة من نوعها بمناخهـا الصيفي العذب ، وبالأخص فيما بعد الظهر من كل يوم من كل يوم وحتى الهزيع الأول من الليل •

الريـاح :

تؤثر في سورية مجموعة رياح من اتجاهات متعددة ، ولكن التأثـير الأكبر ،إنما ينحصر بتيارين هامين هما :

١ـ تيار بحري غربي ، وهذا يسيطر في العديد من أيـام السـنة ، وتجلب الرياح الغربية الرطوبة والأمطار لذلك تبقى دائما أمل المزارعين في القطر العربي السوري بشكل عام ومزارعي سلمية بشكل خاص ، حتى أنهم يسمون الزاوية الغربية الجنوبية بـ (قرنة المرابعين) أي زاوية الفلاحين الفقراء الذين يعملون عند أصحاب الأراضي بالحصة البالغة الربع •

٢ الرياح الشرقية ويتجلى ظهورها في أيام الشتاء بالجفاف والصقيع، ولاسيما اذا اقترنت برياح شمالية مثلجة •

الأمطـــار :

طبقا لتوزع الأمطار في القطر العربي السوري ، تكون الامطار فـــي المنطقة الغربية أكثر نسبيا منها في شرقها ، وهي متفاوتة من حيث الكم في كل سنة ، ففي سنوات الخصب يتجاوز ما يهطل من أمطار الـ / ٤٠٠ / مم، وقد يصل في سني القحط الى أقــل من / ٢٠٠ / مم ويشترط في كميــة الأمطار حتى تشكل خصوبة في المواسم أن تكون موزعة حسب حــاجة المــزروعــات •

وتبدأ الأمطار في أواخر ايلول كقول المزارعين:« ايلول ذيله مبلول»، ولكن هذا المطر بنظرهم غير مجد لأنه (هريف) ، أمــا المطر المجــدي نفعا هو ما كــان في شهري كانون الاول والثاني ، إذ يقول الفلاحون : « إذا أجدبت فوراها كانون وإن أخصبت فبسبب كــانون » ويحبذ أن ينهمر الثلج ، لأنه خميرة الأرض في رأيهم •

وفي جميع الأحوال اذا كان غطاء السماء سخيا جاءت المواسم جيدة، وإذا انحبست الأمطار كان القحط حيث تغدو المزروعات طعاما للأغنــام ، وهذه سمة الزراعة البعية التي سنأتي على ذكرها •

الدورة النباتية وانواع الزراعة وكيفيتها

١ ــ في مواطن مسيل مياه الأقنية والمجاري المائية ، حيث تسمى الزراعة (السقي) لأن الانبات له صفة دائمة وعندما استعملها الانســان مستصلحا الارض قضى على الاعشاب التي بقيت على ضفاف المياه الجاريــة بشــكل الصفصاف والقصب والسعادي ، ولكنها اليوم اختفت على أنواعها بسبب

جفاف الماء لانخفاض المنسوب المائي ، فلم يعد في منطقة سلمية ينابيع إلا ما ندر •

٢ ـ في الروابي حيث تظهر بعض الاعشاب بدءا من شهر تشرين الثاني وكانون الاول ، حسب تقدم موسم الامطار وتأخرها ، فتنمو هذه الاعشاب من ١٠ ـ ٢٠ سم ، وتغدو مجالا لرعي المواشي قبل أن تلفحها أشعة شمس أيار وتحيلها الى هشيم تذروه الرياح ، ويشكل آذار ونيسان أشهر الجمال، إذ تتفتح الأزاهير البرية بألوانها الزاهية من حمراء وصفراء تبهج العيون منظرا يميس في مشاعر الناظرين مع أنسام رطبة وجو لطيف جذاب •

انواع الزراعة :

الزراعة في منطقة سلمية نوعان البعل والسقي :

البعل : أو الزراعة البعلية ، والتي تتضمن المزروعات التالية القمح والشعير والكمون والجلبان وغيرها من أنواع البقول وكل هذه المزروعات تقبل البعل والسقي إلا أن الكمون ، فلا يزرع إلا بعلا . وأما ما يزرع بعلا فهو تحت رحمة ما تهيئه السماء من أمطار ، فإن كان العطاء سخيا جاء الموسم جيدا ، وإذا انحبست كان القحط ، وبالتالي لافائدة من المزروعات إلاطعاما للماشية،ولذا كانت زراعة البعل عبارة عن مغامرة تحدوها المخاطرة باستمرار •

السقي : وهو نوعان :

١ ـ سقي الأقنية الرومانية ، والتي أعيد فتحها وإسالة مياهها ، وهي ما سبق أن بحثناه في الباب الاول من هذا الكتاب ، والتي أكسبت مساحة واسعة من الارض خضرة دائمة ، وهذا النوع من الري متزن ، لأنه يوزع بين المزارعين طبقا لملكية كل مزارع مما يسميه العامة (العدان) : أي لكل

مزارع وقت من الماء يستلم خلاله المزارع الماء ويسقي أرضه ، ومدة العدان (كدورة مائية) تتراوح من / ٥ ـ ٧ / أيام •

٢ ـ السقي بالمضخات الآلية (الديزل) : شجع المزارع السلمي ارتفاع أسعار الأقطان خلال الخمسينيات،فأخذ يحفر الارض باحثا عن المياه السطحية، ويوسع الحفر تحت الارض بشكل ليحصل على خزان مائي يتجمع ماؤه في بئر رئيسية ، ثم يضخ هذه المياه بواسطة محرك آلي (ديزل) ويروي أرضه، ساعدت هذه الخطوة على توسيع رقعة الارض المزروعة سقيا ، إلا أنها عكست بعد أعوام أوضاعا خطرة ، إذ عملت هذه المضخات العديدة الى انخفاض منسوب الماء السطحي ، وذلك للاسباب التالية :

أ ـ لكثافة الآبار بشكل لم يبعد البئر عن الاخر أكثر من خمسين مترا وأحيانا أقل •

٢ ـ تعاقب سنوات انحباس الأمطار وانخفاض التهطال •

٣ ـ ضخامة أعداد المحركات بشكل أنها بلغت في احصائيات بين عامي ١٩٥١ ـ ١٩٦١ م حوالي / ٨ / آلاف مضخة تعمل ليلا ونهارا في أيام الصيف وأواخر الربيع في حوضة سلمية ، الأمر الذي سبب انخفاض منسوب المياه السطحية وجفاف الينابيع وضمور مياه الأقنية ثم جفافها تدريجيا ، هذا الجفاف الذي خرب الحياة الزراعية في منطقة سلمية ، ولم تجد المزارع السلمي متابعته في الغوص حفرا يبحث عن الماء ، فقد باء العديد من المزارعين بالخسارة الفادحة ، إذ توقفت المضخات الواحدة تلو الأخرى ، لتستحيل الأرض المروية الى أرض بعلية ، ولاح الفقر يقض مضاجع المزارعين السلميين الذين أخذوا يهجرون ديارهم جماعات إثر جماعات للعمل في مناطق أخرى ناشدة الرمق الذي يسدون به جوعهم ، ويدفعون عنهم غائلة الفقر بالشقاء والحرمان ، فنقص عدد سكان سلمية الى النصف ، وانتشر السلميون في أنحاء من القطر السوري والاقطار العربية المجاورة ينشدون العمل باليد

حينا والعلم أحيانا أخرى ، وغدا المنقذ الوحيد الذي بقي يلوح بارقة أمل أمام السلمي هو التعلم ، وبالتالي الوظيفة ، مما أكسب المستوى الثقافي ارتفاعا لا يماثله في أنحاء القطر السوري كله •

أما الفلاح الذي ثبت في أرضه ، فقد عاد لزراعته البعلية ، وأخذ يعمد الى الوسائل العلمية في الزراعة بسلوك يرفد الزراعة بدخل آخر ، ففتح مجالا للعمل في المداجن وتربية المواشي ومعتمدا في الزراعة على المكننة ذات التكاليف القليلة ، وآثر العمل الآلي مع اليد العاملة غير المتوفرة ،فأصبح يزرع الأرض في أيام قليلة بدلا من الشهر والشهرين ويحصدها في يوم أو بعض اليوم بدلا من الأيام،ويدخل محصوله الى بيته من خلال عمل ميكانيكي يوم أو يومين بدلا من شقاء الصيف كله بين الحصاد والرجاء والدراسة والتذرية • كل هذه الاعمال اختصرها الفلاح في أيام معدودة ، وغدا دخله من الأرض يرفد راتبه الوظيفي أو رواتب أولاده أو بناته ••

ومن المستوى الثقافي المتقدم عكف المزارع السلمي على العمل المدروس ، فالجهد والانتاج يحسبان بالحسابات الدقيقة من تنويع للمزروعات والحصول على محاصيل ذات قيمة أعلى ، وتربية أنواع المداجن من طيور وأغنام وأنواع من الحيوانات توفر له دخلا غير دخل الارض ، مما أعاد لمنطقة سلمية بعض حيويتها ، بتوفير اليد العاملة التي التجأت الى العمل الوظيفي أو الرحلة الى الاقطار العربية كعمال أحرار موسميين يعودون برؤوس أموال مدخرة رفعت من المستوى المعاشي لسكان سلمية •

ولقد نهجت الدولة لمعالجة أوضاع سلمية المتدهورة أسلوبا درأ عن سلمية أخطارا كبيرة ، وهذه الأعمال كانت كما يلي :

١ ــ فتحت الدولة عددا من المشاريع الصناعية كان قمتها معمل تجفيف البصل •

٢ ــ اعفاء الطلاب في منطقة سلمية من أثمان الكتب المدرسية لتخفف عن أوليائهم أعباء الدراسة •

٣ ــ جعلت أفضلية العمل للسلمي دون غيره من المناطق الأخرى •

٤ ــ تمليك الفلاحين الاراضي التي ملكيتها للدولة وبعض الاراضي المصادرة من الاقطاعيين من خلال تطبيق الاصلاح الزراعي كما في قرى الكافات ومرج مطر والمزرعة والخفية وبين الجبال وتل التوت وسوحة وبري الشرقي والغربي والعبوي وتلول الحمر وعيدون وقبة الكردي والشحلة ، وكلها أراض كانت لأسر اقطاعية ذات أملاك واسعة ، مع اعطاء العديد من القروض المصرفية ، والتي أشرف عليها المصرف الزراعي •

تربية المواشي

كل الدراسات التي شملت منطقة سلمية تؤكد كلها أن هذه المنطقة ، قد لعبت دورا بارزا في الحياة الرعوية وتربية المواشي وسط بلاد الشام ، وذلك لما لها من مؤهلات متكاملة كالمناخ والخصب ، مما جعلها مجالا للمنازعات بين القبائل البدوية قديما وحديثا ، ولذلك تعتبر تربية الماشية فيها ذات دور أساسي في حياة البدو حتى تم إعمارها مجددا ، فزادت أهمية سلمية في مجال الرعي والزراعة وأشهر أنواع الحيوانات التي تربى في منطقة سلمية هي :

١ ــ الابقار :

تناقص عدد الأبقار باستمرار ، حتى غدا وجودها شيئا يبعث على العجب ، وذلك بسبب إهمال تربيتها وجفاف التربية ، مما أدى الى اختفاء الأعشاب الخضراء الدائمة في المروج القريبة من القرى،حيث أن الأبقار تربي تربية بيتية ، وفيما يلي بعض الأرقام التي تثبت ذلك كما أوردتها دائرة

الزراعة في سلمية ، ففي عام ١٩٥١ م كان عدد القطيع / ١٠ / آلاف رأس وفي عام ١٩٥٩ م أصبح / ٤١٥٠ / رأسا وفي وفي عام ١٩٦٤ م انخفض الى / ٣٨٠ / رأسا ، وأما في بداية السبعينات ، فقد غدا وجود البقر نادرا جدا إلا ما كان في بعض المزارع الحكومية ، ومن أنواع أجنبية كما في المدرسة في المدرسة الزراعية ، وغدا منظر البقرة مستغربا لدى الأجيال الصاعدة •

٢ ـ الخيول وحيوانات الجر :

تناقص عدد الخيول وحيوانات الجر باستمرار ، وحتى الخيول العربية الأصيلة التي كانت مجالا لاهتمام السلميين والبدو على السواء ، ولم تعد اليوم موضع اهتمام أحد ، وسبب ذلك يعود الى عاملين اثنين هما :

١ ـ الجفاف المستمر كان له السبب الأكبر في انخفاض أسعارها وعدم توفر العلف المطلوب لتربيتها •

٢ ـ ولكن الأكثر أهمية هو انتشار الآلة ، واعتماد السكان في جميع أعمالهم على الآلة ، وحسب احصائيات دائرة الزراعة نرى مايلي : في عام ١٩٥١ كان عدد الخيول وحيوانات الجر / ١٤ / ألف رأس ، وفي عام ١٩٥٩ أصبح عددها / ٥٥٠٠ / رأسا وفي عام ١٩٦٤ أصبح عددها / ٤٨٠٠ / منها ١١٠٠ رأس خيولا وبغالا ٢٨٠٠ رأس حميرا ، أما في السبعينات ، فقد تناقص العدد تناقصا سريعا ، ولكن عدد الحمير حافظ على بقائه بأعداد أقل نسبيا في الريف ، بينما غدت الخيول والبغال شبه معدومة •

٣ ـ الإبل :

الجمل المعروف كأداة أساسية في حياة البادية ، لم يعد سفينة الصحراء وأداة للتنقل فيها ، من هنا تناقص عدد الجمال ، وحتى البدوي نفسه لم يعد يهتم بها ، بل غدت حتى وجودها العبء الأكبر ،فقد باع ما لديه منها واحتوى السيارة أو الجرار اللذين غديا وسيلة التنقل عنده ، وحسب الأرقام التالية

تتبين صحة ما ذكرناه ، ففي عام ١٩٥١ كان عدد الإبل في منطقة سلمية كما أوردتها دائرة الزراعة / ٤٤٨٠ / جملا وفي عام ١٩٥٩ تنازل العدد الى / ١٣٨٩ / جملا وفي عام ١٩٦٤ م كان عددها ـ ٤٠ ـ جملا فقط ، أما اليوم فقد غدا منظر الجمل غير مألوف ومدعاة للتعجب من الاطفال السلميين.

٤ ـ الأغنام والماعز :

تربى قطعان الأغنام والماعز سوية في البراري ، ويمكن أن تربي بأعداد محدودة في البيوت بما يسميه السلميون (الشكارات) أي مجموعة قليلة العدد ، ولما كان الطقس وتقلباته يؤثران في هذه الحيوانات ، فإنها غالبا ما تتأثر بمظاهر الطبيعة القاسية كالصقيع والثلج والحرارة الشديدة ، فتسبب لأعدادها النقصان ، لذلك توجب تربية هذه الحيوانات مراعاة واحتياطات اعتاد عليها السلميون ، وقد أحسن سكان سلمية في اقتناء الأجود من الاغنام والمسمى (غواس) الذي يربى عادة لغايات ثلاث هي : الصوف واللحم واللبن ، وهذا النوع بطبيعته ملائم لظروف ومناخ سلمية .

وتكون تربية هذه المواشي على ثلاثة أنواع هي :

١ ـ تربية السلميين أنفسهم كرديف للحياة الزراعية ، لذلك يتم استئجار رعاة من البدو لرعيها بأجرة سنوية محددة تنتهي في أعقاب انتهاء موسم الرجاد (فك الشاغر) أي انتهاء نقل الحصيد الى البيادر .

٢ ـ تربية البدو للأغنام وبالأخص (بدو الديرة) الذين يمارسون رحلات التشاريق والتغاريب يقصدون مواطن الكلأ في أعماق البادية والعودة الى مواطنهم الأصلية في منطقة سلمية ، وهم عادة من بدو النعيم والعقيدات وبني خالد وعنزة والحديديين وما اشتق منهم من بطون وأفخاذ وعشائر .

٣ ـ المشاركة : وهي مشاركة السلميين لبعض البدو في تربية الأغنام، ولهذه المشاركة أنواع عديدة متعارف عليها بين البدو والسلميين .

اهتمام الدولة في تربية الاغنام

أبدت الدولة اهتماما كبيرا في تربية الأغنام ، وبالأخص في باديةالشام، وذلك بأن أحدثت عدة مشاريع في منطقة سلمية ، تسعى بواسطتها الى تطوير تربية الاغنام ، ومن هذه المشاريع :

١ ـ فتح الآبار الارتوازية ، والتي تمد الأغنام ورعاتها بالماء في أيام الجفاف وانحباس المطر حيث تجف (الخبرات)[1] المائية في البادية •

٢ ـ افتتاح مراكز توزيع الأعلاف كما في أسرية وعقيربات ، وذلك في أيام (اللزب) أي أيام الشدة عندما لا تستطيع الأغنام الخروج الى الرعي بسبب الثلوج أو الأمطار ، فتمد هذه المراكز مالكي الأغنام بالعلف بشكل قروض وبأسعار مخفضة •

٣ ـ بناء حظائر تلجأ اليها الأغنام إبان الشدة ، كما في وادي العزيب وأسريه وشاعر ، وفي هذه المراكز أعد الخبراء والأطباء البيطريين لرعاية صحة القطعان ، ومكافحة الأمراض انتشرة بينها •

وهكذا رعت الدولة قدر المستطاع وضمن امكانياتها تربية الأغنام باعتبا رأن منطقة سلمية وخط المنحنى / ٢٥٠ / هو الخط الفاصل بين مناطق الزراعة البعلية ومناطق الرعي ، ومن هنا عرف السكان الخط الأحمر والخط الأخضر ، أي مناطق الزراعة ومناطق الرعي في منطقةسلمية وعمقها في البادية ، وقد أدت هذه الرعاية الى زيادة ملحوظة في عدد الأغنام ، بعكس ما طرأ لبقية الحيوانات ، وتكاد أعداد القطعان تتضاعف عما كانت عليه منذ عشر سنوات •

---

(١) الخبرات:غدران مائية تتشكل بسبب الامطار وتجفبحرارةالشمس

الـدواجـن :

اعتاد السـلميون تربيـة الدواجن في البيوت ، وعلى رأس هـذه الدواجن الدجاج بأعداد كبيرة ، يأتي بعدها الحمام والإوز والبط بأعداد أقل نسبيا ، وكذلك درجت تربية الرومي (الحبشـي) والأرانب على نطـاق ضيق ، مع اعتبار أن تربية الدواجن ليست الوسيلة الرئيسية للعيش بـل كتكملة للحياة الاقتصاديـة للمزارع ، ولكن بدايـة السبعينات تميزت بانتشار تربية الدواجن كأساس اقتصادي ، وقد بنيت لذلك العديد من المداجن في الريف ، وحول سلمية المدينة ، وتنوعت هذه المداجن من حيث الانتاج ، فمنهـا ما كان للبيض ، ومنها ما خصص للحوم ، وقـل أن تجـد مداجن للتكاثر ، وقد استدعى هذا التخصص لايجاد أنواع تجود ضمن ما تختص به من بيض أو لحم ، وغطت هذه المداجن النقص والحاجة الى الى اللحوم أو البيض ، وقد صدر الفائض الى المدن القريبة من أمثـال مدينتي حماة وحمص،ولقد شجع السعر المربح والطلب المستمر الى التوسع في بناء هذه المداجن يوما بعد يوم •

النحـل :

كان الفلاح السلمي يربي باعتناء العديد من خلايا النحل في الفترات البعيدة ، ولكن هذه الظاهرة أخذت تتقلص في السـنوات الأخيرة بسبب تقدم أساليب الزراعـة ، واستعمال المبيدات الكيميائيـة التي ترش على المزروعات بين فترات متقاربة في أيام الربيع والصيف ، مما سبب ضمور عدد الخلايا والمناحل ، فإن هذه المبيدات قتلت العديد من النحل أثناء تجواله في الحقول المرشوشـة ، ثم إن استعمال الخلايـا الترابيـة ذات المواصفات الرديئة ، والتي لا يمكن لسوئها مراقبة النحل ومكافحة أمراضه مما يؤدي الى التخريب السريع وموت النحل تماما •

الصيد :

وسائل الصيد عديدة ، ولكن بنادق الصيد ذات فعالية أكثر أصابت الصيد بخسارات فادحة مما سبب قلة تواجد الصيد لعدة أسباب :

١ ـ الجفاف المستمر دفع الطيور بأعدادها الكبيرة أن تؤم مناطق ذات مياه متوفرة ، لذلك ينشط الصيد خلال فترات عبور هذه الطيور منطقة سلمية خلال رحلاتها بين البادية والداخل أو بين مناطق الدفء في افريقيا والمعتدلة في الأناضول وجنوب الاتحاد السوفييتي •

٢ ـ قلة طيور الصيد المقيمة،وذلك لفقدان ظروف توالدها واستمرار ملاحقتها وقتلها بشكل إبادة •

وأهم هذه الطيور الحجل والحمام البري والقطا والفري والسمان والترغل ، كما قلت الوحوش البرية لنفس السبب وأهمها الثعالب الرمادية والذئاب والضباع والأرانب ، حتى غدا تواجدها في منطقة سلمية شبه مستحيل •

الصناعة

ليس في سلمية صناعة بالمعنى المتعارف عليه ، ولكن في السنوات الأخيرة شاهدت سلمية حركة تصنيع محلية بالإضافة لما قامت به الدولة من مشاركة فعالة في إنماء الحركة الصناعية ، ودفعها الى التقدم والازدهار ، وإذا أردنا أن ندرس الحركة الصناعية في سلمية ، فهي ذات اتجاهين قطاع خاص وقطاع تملكه الدولة •

الصناعة في القطاع الخاص :

تتميز هذه الصناعة بأنها منحصرة في أفراد مستثمرين محليين وهدفها تلبية حاجات انطقة وتنحصر في المجالات التايلة :

١ ـ صناعة الحديد : وهي تتألف من عدة محلات تعمل في مهنة الخراطة ، وتلبي حاجة السكان ، ولقد بلغت هذه الصناعة أوجها إبان التوسع في استعمال المحركات الآلية في مجال استخراج الماء للزراعة ، ثم إن هناك صناعات حديدية أخرى منها تجارة الحديد التي تصنع الأبواب والنوافذ من مادة الحديد ، وقد طورها بعضهم الى صناعات أكثر تعقيدا لصناعة هياكل الجرارات (الترلات) ، وصناعة (الدراسات) لتقطيع القمح والشعير ، وهناك مجال آخر في الصناعات الحديدية ما كان في مجال تصليح السيارات والدراجات النارية وتصفيح السيارات وهياكل سيارات الشحن ، وفي سلمية الآن أكثر من اثني عشر محلا في هذا المجال ، مع نشوء محلات مستحدثة لصناعة نجارة الألمنيوم .

٢ ـ الصناعة الخشبية ، وأولها إطلاقا المناشر : وتشمل هذه الصناعة تطوير لصناعة النجارة الخشبية باستعمال الآلات الحديثة في هذا المجال، مما وسع هذه الصناعة وطورها ، بعد أن كانت يدوية في نطاق ضيق ، وفي سلمية الآن أكثر من ثلاثين منشرة ، عدا عن صناعات خشبية أخرى كصناعة الأدوات المنزلية من خزائن وأسرة .

٣ ـ الصناعات الاسمنتية ، وفي أولها صناعة (البلوك) أي اللبن الإسمنتي ، توسعت هذه الصناعة غداة توسع البناء العصري ، حتى غدت في السبعينات ذات نطاق واسع نتيجة للطلب المتزايد الموافق للتوسع في البناء ، مما جعل مساحة مدينة سلمية تزداد أضعافا خلال الخمس عشرة سنة الماضية وقد تم إحصاء هذه المحلات ، فبلغ أكثر من مئة وعشرين مصنعا في مدينة سلمية وحدها ، وقد طور بعضها فأصبحت مصانع تصنع فيها أنواع من (الموزاييك) ولوازم التمديدات الصحية ، ولا يزال التقدم مضطردا في هذا المجال بابتكار العديد من الصناعات المستحدثة .

٤ ـ المطاحن : كان في سلمية عدة مطاحن مائية قديمة توقفت ثم

استعاض السلميون عنها بمطاحن تسير بواسطة محركات (الديزل) ،ورغم أن الأفران الحديثة بدأت تنتشر بكثرة ومنها الآلية ، إلا أن المطاحن بقيت فعالة ، وبالأخص بعد أن رفدت أعمالها عدا عن طحن الحبوب الى (جرش البرغل) ، ولقد تحولت أكثر المطاحن من محركات (الديزل) الى محركات كهربائية ، فخمدت الضجة المألوفة ، وغدت تسير حسب مستلزمات العصر بصمت وسكون ٠

٥ ــ معمل المياه المثلجة (البوظ) : في سلمية معمل للمياه المثلجة، وهذا المعمل يؤمن منذ نهاية عام ١٩٦٦ م حاجة سكان سلمية من ألواح الماء المثلج في أيام الصيف الشديدة القيظ ، ورغم أن هذه الحاجة أخذت تسد بواسطة آلاف البرادات المنتشرة في البيوت ، إلا أن المعمل لا يزال يعمل ببطء مما ينذر بانتهاء عمره مع المكيفات العصرية التي غدت تغزو الأسر الموسورة وغيرها على السواء ٠

الصناعة في القطاع العام :

بعد هذه الصناعة ما كان في مجال القطاع الخاص ، ولكن حركة التأميم منذ عام ١٩٦٤ م وما بعد حولت بعض الصناعات الى قطاع عام وعلى رأس ذلك :

شركة الأقطان المساهمة :

نشأت شركة لأقطان في سلمية كشركة مساهمة مغفلة ، وقد بديء بالعمل فيها عام ١٩٥٥ م ، وذلك بشراء الأقطان ثم حلجها ، واستمرت في عملها هذا كعمل موسمي يتوقف على استيراد القطن بعد قطافه ثم حلجه وتصديره مدة إحدى عشرة سنة ، حيث وضعت الدولة خطة لجعل كل تجارة القطن وصناعته بيدها ، ومنذ ذلك الوقت أشرفت الدولة على تسيير هذه الشركة ونشطتها ، ووسعت العمل فيها ، فبعد أن كان عدد محالجها

أربعين محلجاً إزداد عدد المحالج ، بعد ضم محالج السيد ابراهيم عيد المؤممة واستيراد محالج أخرى ، وغدت الشركة واسعة ضخمة العمل ، ورغم أن حاجتها من القطن لا تكفيها من منطقة سلمية ، فهي تستورد لسد حاجتها من محافظة حمص أو من موارد أخرى في محافظة حماة •

تعاونية السجاد والنسيج :

قامت في سلمية حركة تعاونية عام ١٩٧٣ م بتشكيل تعاونية لصناعة السجاد ، وكان لنجاح هذه التعاونية أن وسعت عملها بفتح قسم منها لنسيج الألبسة الصوفية ، ونتيجة لاضطراد النجاح أن قرر مجلس ادارة التعاونية عام ١٩٧٨م توسيع هذه التعاونية بحيث تغدو نواة لمعمل نسيجي، وهكذا توسعت هذه التعاونية في عدة مجالات كان أنجحها اطلاقا النسيج، الأمر الذي دفع لفتح عدة فروع لها في منطقة سلمية وريفها ، فقد فتح لها فرع في قرية السعن وآخر في المفجر ، وفتح فرع لها عام ١٩٨١ في بري الشرقي •

الوحدة الارشادية لصناعة السجاد :

أنشئت في سلمية وحدة ارشادية لصناعة السجاد ، وتشرف الدولة على تسيير العمل في هذه الوحدة وهذا معناه ظهور بوادر إنشاء معمل لصناعة السجاد ، بعد تهيئة كادر عمالي متخصص ، وذلك بتعليم العديد من الفتيان والفتيات هذه الصناعة ، وتقوم الوحدة الإرشادية بهذه المهمة، ومن هنا انحصر العمل في الوحدة الارشادية في مجالين : الأول تدريبي يقصد به تعليم الصناعة ، والمجال الثاني انتاجي والآن تقوم الوحدة الإرشادية بهذين المجالين معا •

معمل تجفيف البصل والخضار :

يعتبر معمل تجفيف البصل المعمل الوحيد من نوعه في القطر العربي

السوري إذا لم نقل في الشرق الأوسط ، أسس هذا المعمل عام ١٩٦٧ م وغايته تبرز في أربعة مجالات[1] :

١ ـ تثبيت أسعار البصل للمزارعين بعد أن كانت تتلاعب بها مطامع التجار ، بحصر تجارة البصل بالمعمل دون غيره ، وهكذا أسقط دور التجار وأطماعهم .

٢ ـ تشغيل أكبر عدد ممكن من اليد العاملة ، وايجاد قطاع عمالي ضمن منطقة سلمية ذات الطابع الزراعي .

٣ ـ توريد القطع النادر (على مستوى القطر) من العملات الأجنبية، وذلك مما يؤدي الى رفع الدخل القومي باعتبار أن تجارته تنحصر بتصدير مادة (البصل المجفف) الى دول أجنبية عالمية .

٤ ـ شجع هذا المعمل زراعة البصل ، والتي كانت تنهار تدريجيا ، بعد أن ثبت سعره ، وأصبح دخل المزارع لهذه المادة مرموقا ، مما دفع المزارعين لتوسيع رقعةالأرض المزروعة بعد ضمان نفاذ انتاجه بأسعارحسنة.

ان الطاقةالانتاجية لهذا المعمل ترتفع في أيام عمله الموسمي الى تجفيف / ١٠٤ / طن يوميا مع العلم أن موسم العمل قد يمتد من ٤ ـ ٦ أشهر في العام،لذلك كان كادره من العمال يتألف عادةمن نوعين من العمال:

١ ـ عمال دائميين ، ويقدر عددهم بحوالي / ١٠٠ / عامل وموظف.

٢ ـ عمال موسميين ويصل عددهم كل عام حوالي / ٧٠٠ / عامل وعاملة ، يعملون طيلة أشهر العمل فيه .

وهكذا سد هذا المعمل حاجة كبيرة لتشغيله يدا عاملة كانت عاطلة ،

---

(١) نشرة مواصفات العمل كما وضعتها وزارة الصناعة في القطر العربي السوري .

ومن هنا اعتبر هذا المعمل بحد ذاتـه حركة صناعيـة قائمة بذاتها ضمن منطقـة سـلمية •

التجــارة

يمتاز موقع سلمية بكونها بـاب من أبواب بادية الشـام النافذ على الحاضرة ، لذلك أكسب هذا الموقع سلمية امتيازات تجاريـة في التبادل القائم بين الحاضرة والبادية تجاريا ، ومن هنا رأينـا سوق سلمية كيف ينمو ويتسع باستمرار ، وبالأخص سوق تجـارة المواشـي (الأغنام والماعز) والخيول قديما ، لذا يبدو وسط مدينة سلمية مكتظا بالسكان وبالأخص في أوقات ما قبل ظهر كل يوم ، حيث بدأت المتـاجر تمتد عبر الشوارع الموصلة الى السوق المركزية •

وفي السوق تتنوع التجارة ، وتأخذ أشكالا كالآتي تجـارة المفرق وتجارة الجملة وتجارة (الكمسيون) العمولة •

تجـارة المفـرق :

دلت آخر احصائيات مديرية مالية سلمية أن عدد المتاجر المنتشرة في سلمية[1] وأحيائها يبلغ حوالي / ١٧٤٢ / متجرا وفي ريف سلمية بلغ عدد المتاجر / ٧٥٦ / متجرا ،وهذه المتاجر تتوزع التجارة على الشـكل التالي : تجارة الأقمشة وتجارة العطارة والأحذية وبيع الخضار والفواكه وتجارة الحبوب بأنواعها وتجارة الخردوات وقطع الغيار للآلات وتجارة الألبسـة الجاهزة وتجارة الأدوات والتمديدات الصحية والكهربائية وتجارة المعادن الثمينة (الصاغة) وتجارة إطارات الآليـات والزيوت المعدنية ومحال بيع

---

(١) حصلنـا على هذه الاحصائيات من مديريـة مـال سـلمية بتاريخ ٦ / ٧ / ١٩٨٢ •

الزهور ونباتات الزينة وأماكن بيع الحلويات عدا عن مجال المهن الصغيرة كالخياطة والنجارة وتصليح الساعات والصيادلة وتبييض النحاس وصناعة العقل والصياغة وصناعة (الفروات) والملبوسات الفرائية ومحلات الجزارين ومصلحي الأدوات الكهربائية والحلاقين للجنسين والمكتبات •

كما ساهمت الدولة في تنمية التجارة بالمفرق بفتحها عددا من المؤسسات الاستهلاكية ، ففي سلمية عدد من المؤسسات التابعة لوزارة التموين والتجارة الداخلية ، ومؤسسة واحدة تابعة للجيش والقوات المسلحة ، وقد افتتح أخيرا صالة لبيع المنسوجات •

وقد ازداد عدد باعة الألبسة الجاهزة وخياطة الألبسة ، وبالأخص العربية (كالجلابيات والقنابيز والقدشيات والدوامر) ، وفي سلمية أكثر من ثلاثين ممن يمتهنون هذه المهن ، ولكل منهم متجر يعمل به مع صناعة المتمرنين عنده •

كما أن متاجر بيع الكتب والقرطاسية لها دور في اتساع عدد المتاجر، مع العلم أن باعة المفرق لديهم في متاجرهم أقسام لبيع هذه المادة ، وهذا لا يمنع من وجود مكتبات مختصة بهذه التجارة •

وهناك محلات المصورين وباعة التجهيزات البيتية وباعة اللحوم الذين يبيعون اللحوم بشكلين إما نيئة أو مشوية ، وعندئذ تصبح محلاتهم عبارة عن مطاعم خاصة بشي اللحوم زيادة عن المطاعم الأخرى •

سوق سلمية :

يتألف سوق سلمية من ساحة عامة في وسطها دار الحكومة(المجمعات) والمقهى والمركز الثقافي ، وتتوزع المتاجر على جوانب هذه الساحة ، وتمتد الأسواق بامتداد الشوارع الموصلة الى الساحةالعامة كشارعحماة وشارع حمص والشارع الشمالي وشارع الثورة ، والعديد من الأسواق الفرعية

كسوق الإمام اسماعيل وسوق المخفر وسوق الحمام ، ويستمر الازدحام في هذه الأسواق من ساعات الصباح الأولى حتى الساعة الواحدة بعد الظهر •

أما سوق تجارة الأغنام ، فتقوم خارج المدينة ، وينعقد من الصباح وحتى قرابة الظهر ، حيث تباع فيه الأغنام والماعز ، ويشكل هذا السوق تجارة الاستيراد من البادية والتصدير للحواضر حيث الطلب والاستهلاك •

أما سوق بيع الدواب كالخيول والبغال والحمير فقد كان مركزه عادة الخانات المخصصة لذلك ، ولكنها اليوم أصبحت قليلة بل نادرة ، بسبب الاستغناء عن الدواب لعدم الحاجة الماسة لها •

تجارة الجملة :

ويقصد بها استيراد التجارة بالجملة ثم توزيعها على المحلات لتباع بالمفرق ، وهي تبرز في سلمية وبالأخص بتجارة السمن والعطارة والحبوب والخضار ، ولها دور كبير في اغناء متاجر البيع بالمفرق بالمواد الاستهلاكية المطلوبة في المدينة نفسها وفي ريفها •

وقد قام تجار البيع بالجملة الى زيادة حركة التجارة بين سلمية والمدن ذات الصناعة الاستهلاكية مما يعكس تنشيطا بارزا لحركة النقل

تجارة الكمسيون (العمولة) :

وهي تجارة بيع بالأجرة ، وهذه التجارة لها شأن كبير في سوق سلمية ، إذ تباع الخضار الواردة من الريف ، وكذلك الألبان والحبوب والمنتجات الحيوانية الأخرى كالصوف على حساب أصحابها بينما يتقاضى الباعة أجورا معلومة على هذا البيع ، وفي سلمية العديد من المتاجر التي تعمل بهذه التجارة ، وتنتشر في أنحاء السوق ولها نشاطاتها المعروفة •

النقل والمواصلات

لعشر سنوات انقضت ووسائل النقل تجري على نوعين :

١ ــ القديمة : وتشمل كل أنواع الدواب من خيول وحمير للركوب والجر والجمال التي يستعملها البدو في التنقل ويستعملها السلميون في نقل موادهم التجارية ،وتطورت فيمابعد بفضل العربات التي تجرها الدواب •
٢ ــ الحديثة : وتشمل السيارات بأنواعها والدراجات •

لقد قضي قضاء مبرما على الدواب كوسيلة للنقل في السنوات العشر المنصرمة ، بينما انتشرت الوسائل الحديثة ونحصرها فيما يلي :

١ ــ سيارات الركوب : وهي نوعان سيارات صغيرة تستوعب خمسة أو ثمانية ركاب وسيارات كبيرة وهي عبارة عن حافلات صغيرة(ميكروباص) أو حافلات كبيرة (باص) وقد ساهمت في هذا الميدان الحركة التعاونية في سلمية ، وذلك بقيام تعاونية النقل •

تعاونية النقـــل :

وهي تعاونية مساهمة طورت النقل في سلمية باقتنائها مركبتين على خط حماة ــ سلمية ومركبــة واحدة على خط سلمية ــ دمشق ، وهذا ما قامت به من حيث المبدأ وسرعان ما توسع عملها بفعل النجاح الذي لاقته فاقتنت حافــلات على خطوط متعــددة سلمية ــ حمص وسلمية ــ حماة وسلمية ــ دمشق وسلمية ــ حلب •

مما شجع القطاع الخاص لمجاراتها في عملها ، فاندفع عدد من المهتمين لشراء المزيد من الحافلات على خطوط المواصلات بين سلمية وحماة وحمص ودمشق وحلب وريف سلمية كلــه ، فقد زاد عدد الحافلات على خطوط سلمية ــ حماة على الثلاثين حافلــة ، وكذلك على خط سلمية ــ حمص ، وتوالى التوسع في هذا الميدان بافتتاح عدد من الخطوط الجديدة وبأعداد من الحافلات المتزايد تدريجيا ، وقد بلغ عدد الحافلات في سلمية وريفها ما يزيد على المئة حافلة صغيرة (ميكرو باص) وكبيرة (باص) •

وفي سلمية عدد من المرائب لتنظيم حركـة النقل بين المدينة وريفها والمدن الأخرى ، فهناك مرآب حماة ومرآب حمص ومرآب الريف ، وفي هذه المرائب عشرات السيارات التي تؤدي خدمات كبيرة في ايصال سلمية وريفها بالعالم المحيط بها ، وقد انتشـرت في السنوات الأخيرة سـيارات من نوع النقل الصغيرة (البيكآب) ، والتي يستعملها أصحابها كحافلات نقل بين الرف والمدينة وللركوب أحيانا •

سيارات النقل : في سلمية مرآب خاص بهذا النوع من السيارات الكبيرة المستعملة في النقل ، وفي هذا المرآب يسجل عدد هذه السيارات على نوعيه ، إذ بلغ عددها حوالي / ٣٤ / سيارة موزعة كسيارات الشحن وسيارات النقل الخاصة بالمحروقات ، وتقوم هذه السيارات بأداء خدمات كبرى في مجال النقل بين سلمية والمدن السورية الأخرى ، ورغم أن النقل داخل منطقة سلمية مؤمن بواسطة سيارات (البيكآب)،فإن عمل سيارات النقـل الكبيرة محصور في المجـال الخارجي بايصـال سلمية في المدن السـوريـة الكبـرى •

وقد ابتكر أخيرا نوع من وسـ ـل الحديثة ، وهي عبارة عـن دراجات نارية حولت الى وسائل نقا ، بعد أن زودت بصندوق خاص للتحميل ، وجعل عدد العجلات ثلاثة يطلق عليها العامة اسم (الطرطيرات) وفي سلمية وريفها أعداد كبيرة من هذه الوسـائل ، والتي تعمل في مجال هام بين النقل والزراعة ، فقد حلت محل العربات في العمل الزراعي بعـد ضمور وانتهاء وجود عربات النقل التي تجرها الخيول ، وقد حول بعضها الى عربات صغيرة يجرها حصان واحد يطلق عليها اسم (طنبر) ، وذلك باتجاه المزارعين الى المكننة الزراعية فاستغنوا عن اقتناء حيوانات الجـر باعتبار أن الوسـائل الآلية توفر السهولة وعدم التكلفة •

طرق المواصلات في منطقة سلمية :

تنتشر بين سلمية وريفها شبكة من طرق المواصلات المعبدة ، تصلها بالريف والمدن المجاورة على السواء ، وأهم هذه الطرق هي :

١ ــ طريق سلمية ــ حماة وطوله ٣٣ كم

٢ ــ طريق سلمية ــ حمص ، وطوله ٤٨ كم

٣ ــ طريق سلمية ــ السعن ، وطوله ٤٥ كم وقد امتد هذا الطريق الى قرية الشيخ هلال ، وهناك مشروع ايصاله الى أسرية في البادية ويتفرع عن هذا الطريق ، طريق يذهب من جدوعة الى عقارب وآخر يتفرع من صبورة الى المبعوجة •

٤ ــ طريق سلمية ــ عقيربات ، وطوله ٤٣ كم وهناك مشروع ايصاله عبر جبال البلعاس الى مدينة تدمر الأثرية ، ويتفرع منه عدة طرق فمن بري يتفرع طريق الى المفجر الشرقي والغربي وآخر يذهب الى فريتان ثم تل جديده

٥ ــ طريق سلمية ــ الشيخ علي كاسون ، ويمتد شمالا الى ناحية الحمرا ، كما يتفرع عن طريق سلمية ــ حمص عدد من الطرق الذاهبة باتجاه سنيدي والمرج والمخرم •

الدروب : وهي طرق غير معبدة تسلكها عادة السيارات ، وتصل الريف ببعضه ، ولكنها صعبة وخاصة في أيام الشتاء لما تكتنفها من وحول في الشتاء والغبار في الصيف •

بعض المشاريع :

المشروع الأول : وهو مشروع حيوي إذ بديء به وهو ايصال طريق سلمية ــ حماة عن طريق تل درة ــ القنطرة بطريق حماة ــ حمص مارا من غور العاصي وقد نفذ ليتصل بطريق حمص ــ حماة قرب قرية بسيرين •

المشروع الثاني:وهو مشروع مد طريق عبر بادية الشام ومسايرا لخط البترول من سلمية وحتى مدينة الرقة ويصل الى حمص ، وإذا تحقق هذا المشروع فسوف يوفر على سكان المحافظات الشرقية (دير الزور والجزيرة والرقة) مسيرة / ٤٠٠ / كم عندمـا يريدون السـفر الى دمشق عدا عن قيمته في إيصال المحافظات الشرقية بوسط سوريـة بخط يوفـر مسيرة مسافات طويلة بالدوران حول بادية الشام ـ الى حلب ومع أن طريـق ديـر الزور ـ تدمر قد ىمذ فإن الطريق المفتوح من سلمية ـ الرقـة لا يزال لـه مكانته ودوره الأساسي في مجال النقل والاقتصـاد وعدا عن خدماتـه المتعلقة بمشاكل النفط .

فهرس المصادر المطبوعة

فهرس المصادر المطبوعة

١ ـ تاريخ ابي الفداء ـ اسماعيل ابو الفداء ـ الطبعة الاولى ـ المطبعة الحسينية ـ مصر .

٢ ـ مخطوط احداث منوعة ـ للشيخ علي عيدو ـ واعظ الدعوة الاسماعيلية .

٣ ـ احصائيات مديرية مالية سلمية ـ عن عام ١٩٨٢ .

٤ ـ مجلة الانسانية ـ الجزء العاشر الممتاز ـ عدد شباط ـ طبع بيروت .

٥ ـ البداية والنهاية ـ لابن كثير ـ مكتبة المعارف ـ بيروت ـ ومكتبة النصر الرياض ١٩٦٧ .

٦ ـ تاريخ بيزنطة ـ الدكتور نبيه عاقل ـ طبع جامعة دمشق ١٩٦٨ .

٧ ـ التوراة ـ سفر ارميا .

٨ ـ تاريخ الحروب الصليبية ـ ستيفان رانسيمان ـ دار الثقافة بيروت ـ الطبعة الاولى .

٩ ـ تاريخ حضارة العرب ـ دكتور شاكر مصطفى ـ طبع جامعة دمشق عام ١٩٥٥ .

١٠ ـ حضارة مصر والشرق الادنى ـ الدكتور زرقانة ـ القاهرة .

١١ ـ الحولية التاريخية ـ المجلد السادس ـ بحث الآثار الرومانية في بلاد الشام .

١٢ ـ خطط الشام ـ محمد كرد علي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٦٩

١٣ ـ كتاب الرافدين ـ سيتون لويد ـ تعريب طه باقر وبشير فرانسيس ـ طبع بغداد ١٩٥٤ .

١٤ ـ رحلة اثرية ـ المهندس وصفي زكريا ـ طبع بيروتا ـ المطبعة الارثوذكسية .

١٥ ـ ريف سلمية ـ رسالة جامعية ـ للاستاذ محمد وردة .

١٦ ـ دراسـات اثريـة ـ ح.جون ـ مدير متحف بروكسل ورئيس بعثـة الترميم البلجيكية في افامية .

١٧ ـ دراسات اثرية ـ كامل شحادة ـ الحولية التاريخية ـ المجلد السابع عام ١٩٥٧ طبع دمشق .

١٨ ـ تاريخ الدعوة الاسماعيلية ـ مصطفى غالب ـ دار اليقظة ـ دمشق عـام ١٩٥٣ .

١٩ ـ سجلات النفوس ـ مركز محافظة حماة .

٢٠ ـ سيرة جعفر الحاجب ـ ورسالة استتار الائمة ـ تحقيق ايفانوف ـ طبع المطبعة الارثوذكسية ١٩٥٥ .

٢١ ـ من تاريخ سلمية ـ مخطوط للشيخ شهاب الحموي ـ سلمية .

٢٢ ـ تاريخ سورية ـ دكتور فيليب حتي ـ ج ١ ـ طبع بيروت دار العلـم عـام ١٩٥٠ .

٢٣ ـ كتاب شعوب وحضارات ـ المجموعة الثانية ـ المجلد الاول ـ كونتينيو طبع باريس ١٩٦١ .

٢٤ ـ تاريخ الطبري ـ المجلد السادس ـ دار المعارف ـ مصر ١٩٦٧ .

٢٥ ـ عبقريـة الفاطميين ـ محمد حسن الأعظمي ـ دار مكتبة الحيـاة ـ بيروت ١٩٦٠ .

٢٦ ـ تاريخ العبر ـ ابن خلدون ـ دار البيان ـ بيروت .

٢٧ ـ تاريـخ العرب والاسلام ـ دكتور حسن ابراهيم حسـن ـ ج٢ ـ النهضة المصرية ـ الطبعة الثانية ١٩٧٤ .

٢٨ ـ تاريـخ فتوح الشام ـ الواقدي ـ دار الجيـل ـ بيروت ـ ١٩٦٥ ـ الطبعة الثانية .

٢٩ ـ فتوح البلدان ـ للبلاذري ـ طبع دار الكشـاف ـ بيروت .

٣٠ الفلك الدوار ـ الشيخ عبد الله المرتضى ـ المطبعـة الارذوكسية ـ اللاذقية ١٩٣٣ .

٣١ ـ الكامل ـ لابن الاثير ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت المطبعة الثانية ـ عـام ١٩٦٧ .

٣٢ ـ مختصر تاريخ العرب ـ سيد امير علي ـ ترجمة عفيف بعلبكي ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٦١ .

٣٣ ـ معجم البلدان ـ ياقوت الحموي ـ دار صادر ـ بيروت .

٣٤ ـ تاريخ المسلمين ـ لابن العميد ـ طبع مصر ـ القاهرة ـ الفجالة ـ عام ١٩٥٥ .

٣٥ ـ مذكرات ارمني مهاجر ـ سيمون خشودوريان ـ طبع يريفانذ ـ الاتحاد السوفييتي .

٣٦ ـ نشرة احصائية عن دائرة الزراعة في سلمية .

٣٧ ـ نشرة خطية عن المدرسة الزراعية ـ الاستاذ مصطفى الجندي ـ عام ١٩٨١ .

٣٨ ـ نشرة مواصفات معمل البصل ـ اصدار وزارة الصناعة في القطر العربي السوري .

٣٩ ـ انساب العرب ـ للاستاذ سمير قطب ـ منشورات دار البيان بيروت ١٩٦٦ .

٤٠ ـ ذيل تاريخ دمشق ـ لابن القلانسي ـ مطبعة الآباء اليسوعيين ـ ١٩٠٨ .

الاسم	المنطقة	الاسم	المنطقة
١ ـ ابراهيم الشيخ ابراهيم	عقر زيتي	٢٣ ـ شريف الحايك	سلمية
٢ ـ ابراهيم ديوب	الكافات	٢٤ ـ شريف شاهين	سلمية
٣ ـ ابو حيدر خضور	السعن	٢٥ ـ صالح محمد علي	قلعة العليقة
٤ ـ احمد حسن ديوب	الكافات	٢٦ ـ عباس ضعون	جدوعة
٥ ـ احمد علي عيدو	السعن	٢٧ ـ علي زهرة	سلمية
٦ ـ احمد المسلخ	سلمية	٢٨ ـ علي عيدو	سلمية
٧ ـ احمد الخطيب	سلمية	٢٩ ـ علي خضر حيدر	الكافات
٨ ـ اسعد الحرك	تل الدرة	٣٠ ـ علي حيدر الوتد	بري الشرقي
٩ ـ اسعد الشعار	سلمية	٣١ ـ علي مقداد	سلمية
١٠ ـ اسماعيل الحايك	سلمية	٣٢ ـ قاسم الشيخ يوسف النجار	تل الدرة
١١ ـ اسماعيل المير علي	سلمية	٣٣ ـ محمد ملحم	سلمية
١٢ ـ تامر الحرك	تل الدرة	٣٤ ـ محمد طنجور	سلمية
١٣ ـ حايك سيروبيان	حمص	٣٥ ـ محمد خضر قاسم	تل الدرة
١٤ ـ حسن ابو الجدايل	مصياف	٣٦ ـ محمد فارس عليوي	السخنة
١٥ ـ حسن موسى	الكافات	٣٧ ـ مصطفى شربا	دمشق
١٦ ـ حسن خضر حويجة	الشيخ هلال	٣٨ ـ مدحت كنعان	تل الدرة
١٧ ـ حسين حمادي سيفو	عقارب	٣٩ ـ حسن الخطيب	القدموس
١٨ ـ حمدو حمود	سلمية	٤٠ ـ محمد السيد	برماة رعد
١٩ ـ خضر امين	سلمية	٤١ ـ محمد ابراهيم تقلا	بيت ابو خليل
٢٠ ـ رفعت الامير محمود	القدموس	٤٢ ـ محمود سيفو	عقارب
٢١ ـ سليمان ابراهيم	بري الشرقي	٤٣ ـ محمد ضعون	جدوعة
٢٢ ـ شامان وسوف	السعن	٤٤ ـ محمد نايف عبدو	السعن

الاسم	المنطقة	الاسم
٤٥ ـ محمد حويجة	المفجر	٤٩ ـ محمد حسين فاضل
٤٦ ـ محمدحافظالعيزوقي	تلالدرة	٥٠ ـ مصطفى الجندي
٤٧ ـ مشعل البعريني	بري الشرقي	٥١ ـ يوسف ابو حمود
٤٨ ـ محمد عسكور	تل الدرة	

فهرس الاعـلام

حرف الهمزة

الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة

الاسم	الصفحة

حرف البـاء

حرف التـاء

حرف الخاء

الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة

حرف الصاد

الاسم	الصفحة	الاسم	الصفحة

حرف النــون

فهرس الاماكــن

حرف الهمزة

المنطقة الصفحة

حرف البـاء

المنطقة الصفحة

حرف التـاء

حرف الجيم

المنطقة الصفحة المنطقة الصفحة

المنطقة الصفحة المنطقة الصفحة

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

المنطقة الصفحة المنطقة الصفحة

المنطقة الصفحة المنطقة الصفحة

حرف النون

حرف الهاء



سلمية في خمسين قرنا

يلفت نظرك - اذا كنت زائرا لسلمية - وجود آلاف من الاعمدة والتيجان البازلتية والقرانيتية ، مما يدل على ماض مزدهر للمدينـة . ولو عدت الى المصـادر التاريخية لتستلهم شيئا عن هذا الماضي لما عثرت إلا على شذرات متفرقة في بطون هذه المصادر لا تعطيك صورة متكاملة عن هذا الماضي المزدهر ، لكن جهدا دام اكثر من عشر سنوات توزع بين التنقيب في ثنايا المراجع التاريخية واستنطاق الآثار المتوزعة في كل مكان من منطقة سلمية،واستجواب عدد من المعمرين من ابناء المنطقـة للتعرف على التاريـخ الحديث للمدينـة ، كان كفيلا بتجميع ما تناثر من معلومات ارسـم منها صورة متكاملة عن المدينة ومنطقتها تربط تاريخها الطويل على مدى خمسين قرنـا بشـكل متسلسل ومنسجم وهذا ما جعـل من الكتـاب عمـلا متميزا سـيكون المرجـع الوحيـد عن تاريـخ المـدينة ومنطقتهـا .

مطبعة كرم بدمشق

